مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الحادي عشر

(١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م



المجلد الحادى عشر

(١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

صدر قانون المجمع العلمي العراقي الجديد في ١٦ محرم سنة ١٣٨٣ هـ الموافق لليوم التاسع عشر من شهر حزيران سنة ١٩٦٣ م وكان المجمع يستند في اعماله قبل هذا التاريخ الى نظام صدر سنة ١٩٤٧ سمي « نظام المجمع العلمي العراقي » وقد صدر النظام استناداً الى احكام « قانون المعارف العامة لسنة ١٩٤٠ » وسيتضح للمعنيين بالنظر في احكام القانون الجديد ان هذا المجمع لن يألو جهداً في سبيل النهوض بالاعباء والمهام المطلوبة منه وتحقيق اغراضه في نطاق اشمل وحدود أوسع مما كان عليه متوسلا الى اداء رسالته وتحقيق اغراضه بوسائل عدة في مقدمها اصدار هذه المجلة

هذا ويسعد ديوان رئاسة المجمع العلمي ان يقدم الى القراء هذا الجزء من مجلته وهو الجزء الحادي عشر من اجزائها وسيتضح للمعنيين بالنظر في تاريخ المجمع ومجلته ان اول اعدادها صدر في ايلول ١٩٥٠ أي بعد مضي عامين على تأسيس المجمع ثم توالى صدور المجلة على تفاوت في حجمها وفي عدد ما يصدر من اجزائها سنوياً ولا يخفى ان مجلتنا ككل كائن ناشيء تفتقر الى تعهدها باسباب النمو والازدهار ولذلك استأثر البحث في استئناف اخراجها على الوجه المطلوب بجانب من جلسات المجمع في عهده الحالي وفي الجلسة التي عقدت في ١٩٦٣/١٢/١٦ تقرر وضع خطة شاملة ومنهج ثابت للتحرير اشترط فيه ما يلي :

١ — ان تكون البحوث والمقالات التي تنشرها المجلة وثيقة الصلة بأهداف هذه المؤسسة.

٢ — ان تكون البحوث والمقالات خاصة بمجلة المجمع لم يسبق نشرها او القاؤها في مكان آخر

٣ — ان تتميز البحوث والمقالات باصالتها على قدر الامكان بحيث يستفاد منها مادة جديدة أو رأي طريف

٤ — تدفع للكاتب عشرة دنانير على سبيل المكافأة

٥ — يسلم المقال أو البحث الى ديوان رئاسة المجمع العلمي او الى لجنة المجلة او يرسل بهما الى هاتين الجهتين في بريد مضمون

٦ — اصحاب البحوث والمقالات مسؤولون عما تتضمن من آراء

هـذا وقد تضمن هذا المنهج وما اليه مما يتصل بشؤون المجلة كتاب عام وجه به الى ذوي الكفايات العلمية والأدبية سواء اكانوا اعضاء في المجمع أم لم يكونوا وذلك عملا بخطته في تعزيز صلاته وتوثيق رابطته باعلام الفكر والأدب وسدنة تراثنا القيم ورواد الثقافة قديمها وحديثها أينما وجدوا ، وسينشر هذا الكتاب في مكانه من هذه المجلة وستعقد في مجلتنا فصول عدة منها فصل تنشر فيه خلاصة اعمال المجمع وآخر يخصص بنقد الكتب وثالث يعقد للتعريف بالمخطوطات النادرة الى غير ذلك

ان المجمع وهو بسبيل اخراج مجلته قوي الأمل بعد الله بمن عقد عليهم الآمال من مؤازريه ومعاونيه على الاضطلاع بالمهام التي يضطلع بها والرسالة التي اخذ نفسه بادائها ومن الله العون وهو ولي التوفيق

محمد رضا الشبيبي
رئيس المجمع العلمي العراقي

رحلة في بادية السماوة

بقلم : محمد رضا الشبيبي

المقدمـــة

تيسّر لكاتب هذه الكلمة قبل أكثر من أربعين عاماً القيام برحلة بعيـدة المدى قطع خلالها مفازتين كبيرتين من مفاوز البلاد العربية ، قطع المفازة الأولى من الشرق إلى الغرب أو من بادية البصرة إلى مدينة « حائل » في نجد ثم إلى المدينة المنورة في الحجاز ماراً ببقاع وسهول وجبال وقبائل شتى في مراحل تعـد سبعاً وعشرين مرحلة وقطع المفازة الثانية من الغرب إلى الشرق أو من بادية الشام التي تعرف بالسماوة إلى ضفاف نهر الفرات في مراحل تعد ستاً وعشرين مرحلة ماراً بفلوات موحشة وبوادي شاسعة ولما كانت ماجريات هـذه الرحلة الثانية مضبوطة أو محفوظة أكثر من الأولى قدمناها في النشر على تلك الرحلة النجدية راجين ان يجد فيها الناظر شيئاً من المتعة والفائدة

المرحلة العربية هي الأساس

هذا وقد اتخذنا المرحلة العربية ـ وهي مسيرة يوم ـ أساساً لحساب المسافات إذ لم تكن معنا عدادات ولا مقاييس علمية ولا مزاول متقنة الى غير ذلك مما يتأهب به الرحالون المحدثون لا سيما اذا كانت الرحلات بعيدة

مآخذ من أقوال أهل البادية

ولم تتعد مآخذنا عن اسماء المنازل والمناهل والبوادي والقبائل أقوال أدلائنا وخفرا

قافلتنا من البدو أحياناً إذ كان لنا اكثر من خفير بدوي نتخفر به لان هناك أكثر من قبيلة بدوية تجوب هـذه البادية اما للغزو أو لانتجاع المرعى واقوال رفقائنا من هؤلاء البدو عن المنازل والمناهل والسهول والجبال الى غير ذلك من جملة مضامين هـذه الرحلة ولا شك في ارتجال المتأخرين أو المعاصرين من أهل البادية لكثير من هـذه الأسماء مع أن لمسمياتها أسماء عربية قديمة لا يصعب العثور عليها في كتب البلدان وإلى جهل القوم بتأريخهم وماضي بلادهم مرد هذا الضرب من الارتجال والافتعال

الرجوع الى الفطرة

سلخنا في هذه الرحلة من بادية الشام الى بادية العراق مدة ناهزت شهراً او كادت كنا نعيش فيها على الفطرة أو كما كانت تعيش قبائلها قبل الفي سنة نفترش بساطاً ذهبياً من الرمال ونلتحف غطاءً شفافاً من الفضاء ويفغم انوفنا نسيم البادية العليل. ولم نشعر بحاجة الى خباء أو مظلة لا في النهار ولا في الليل أنا ورفيق لي من ابناء الكرخ في بغداد وكنا نتبلغ من زاد تزودنا به من دمشق قوامه صنوف من الفاكهة المجففة والاغذية المستحضرة.

رياضة الابدان

ولم تكن لنا مراكب في هـذه الرحلة غير الابل النجيبة واذا شبهوا البادية العربية بالبحر من حيث سعها ومخاوفها واخطارها فان سفن النجاة فيها لا تعدو جمالهم ورواحلهم المذكورة ولذلك قالوا : « الجمال سفن الصحراء » وللجمال مميزات طبيعية لا توجـد في غيرها من الحيوان من صبر على الظمأ وقوة وجلد الى قلة في الكلفـة والى خطى متزنة هادئة في المسير ، فلا صخب ولا جلبة في قافلة تستخدم فيها النجائب العربية

الشجرة البرية

ومع ذلك بقينا في نظر فريق من هؤلاء البدو الخلص مضافاً الى من لقيناهم في البادية من

الاعراب لغزاً غامضاً لا حل له ملامح غير مألوفة لرفاقنا في الاشكال والالوان ولا يكتمك بعض القوم زرايهم على ثقل خطانا وبطء حركاتنا ومظاهر الترهل في ابداننا وطالما جوبه الحضر المستضعفون من اهل القافلة بهذه العبارة : « ما اثقلكم على وجه الأرض » وقد لاحظنا أن البدويات من نساء القوم اكثر رشاقة واخف حركة واعظم جلداً وصبراً من رجالنا المنغمسين في اسباب الحضارة ولا عجب فالشجرة البرية أصلب عوداً وابطأ خموداً كما قال الامام علي عليه السلام ، ومما لاحظناه أثناء الرحلة عجز الحضر أو المترفين من صحبنا عن اعداد رواحلهم للركوب أو النزول ولم يكن لهم بد من بدوي يساعدهم على ذلك ، أضف الى ذلك أن شعار البدويات في القافلة كان لا يعدو الاعتماد على النفس في اعداد رواحلهن واخضاعها للركوب والنزول بحذق ومهارة ، ولولا أن ركائب الحضر المترفين في القافلة كانت تندفع بغريزتها أو بدربتها على المسير في الجادة لا تحيد عنها لوقع القوم في اخطار كثيرة

وفيما يلي فصول من كتب التاريخ والبلدان والأنساب وغيرها ورد فيها ذكر لبادية السماوة

١ — كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدي (١)

لا بد لمن يعنى بدراسة هذا الكتاب من أن يساوره شك قوي في نسبته الى الواقدي المؤلف المشهور في السير والتاريخ فالكتاب لا يخلو من قصص محدثة متأخرة يشهد بذلك الاسلوب المتبع في تأليفها وكتابتها وهو اسلوب ضعيف متأخر يختلف عن اسلوب الواقدي وطبقته من المؤلفين في باب السير والتواريخ وفي تضاعيف الكتاب اضطراب غير قليل ، وعلى أي حال فان كتاب فتوح الشام المنسوب الى الواقدي يشتمل على فصل ضاف

---

(١) فتوح الشام المنسوب الى الواقدي طبع الهند (كلكتة) (١٨٧٤) راجع الصفحات الآتية من الكتاب ٤ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥

عن عبور خالد بن الوليد طريق السماوة جاء فيه ما يلي :

« لما وصل خالد الى أرض السماوة قال : أيها الناس ان هذه الأرض لا تدخل إلا بالتزود بالماء الكثير لأنها قليلة الماء ونحن في جيش ، هذا وفي هذه الرواية بعد ذلك تفصيل لما أشار به أوقام به رافع الطائي دليل البادية ، وكان طريقهم من عين التمر الى البادية

٢ — فتوح البلدان للبلاذري :

دومة الجندل : تضمن هذا الفصل من فتوح البلدان للبلاذري بعثة خالد بن الوليد المخزومي إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي ثم السكوني بدومة الجندل ، وأخذه — أي أكيدر — وقتل أخيه وسلبه قباء ديباج منسوج بالذهب ، ومقدمه — أي خالد — بأكيدر على النبي حيث أسلم ، وكتبه له ولأهل دومة كتاباً ينوّه باسلامه ؛ ويشتمل هذا الكتاب على بعض الأحكام المتعلقة بالزكاة وبعض الضرائب الشرعية الأخرى [(١)]

ويلي ذلك حديث آخر أورده البلاذري يتضمن نقض أكيدر لعهده بعد وفاة النبي وخروجه من دومة ، ولحاقه بالحيرة ، وبناءه فيها بناء سماه « دومة » باسم دومة الجندل

ومما جاء في هذا الفصل أنّ خالداً — لما شخص من العراق يريد الشام — أصاب سبايا بدومة الجندل فكان في من سبى « ليلى بنت الجودي الغساني » وهي التي كان عبد الرحمن ابن أبي بكر هَويَها وقال فيها :

تذكرت ليلى و « السماوة » بيننا وما لابنة الجودي ليلى وما ليا [(٢)]

فتوح السواد وشخوص خالد الى الشام : وعقد البلاذري فصلاً طويلاً بهذا العنوان أورد فيما أورد فيه توجه خالد بن الوليد الى العراق ، في خلافة أبي بكر ، وفترحه في السواد [(٣)]

(١) فتوح البلدان ص ١٨ طبعة مصر ١٣١٧ هـ

(٢) المأخذ المذكور ص ٦٩ (٣) المصدر ذاته ص ٢٥٠

وجاء في فصل آخر من كتاب الفتوح المذكور أن خالداً ـ وهو في الحيرة ـ تلقى كتاباً من أبي بكر يأمره فيه بنجدة المسلمين في الشام ، فسار في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ٨٠٠ ويقال في ٦٠ ويقال في ٥٠ ، فأتى عين التمر ، ويقال ان كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقاتل في طريقه جموعاً من العرب والعجم وفتح بلادهم وسبى وغنم — وكانت من السبايا أم حبيب الصهباء ، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب — ثم أغار خالد على « قراقر » — وهو ماء لكلب — ثم فوّز منه إلى « سوى » وهو ماء لكلب أيضاً ومعهم فيه قوم من بهراء وكان خالد لما ركب المفازة عمد إلى الرواحل فأرواها من الماء، ثم قطع مشافرها وأجرّها لئلا تجترّ فتعطش ، ثم استكثر من الماء وحمله معه ، فنفد في طريقه فجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ، ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها وكان له دليل يقال له « رافع بن عمير الطائي » ففيه يقول الشاعر :

لله درّ رافع أنّى اهتدى فوّز من قراقر إلى سوى
ماء إذا ما رامه الجيش انثنى ما جازها قبلك من إنس يرى [1]

وفي هذا الفصل من كتاب الفتوح رواية للواقدي عن رحلة خالد هذه التي اخترق فيها السماوة ومن المياه والمواضع التي ورد ذكرها في هذه الرواية « اركة » أو « أرك » و « دومة الجندل » و « قصم » وفيها عرب من قضاعة ، ثم أتى تدمر فقاتله أهلها فظفر وغنم ، ثم أتى « حوارين » من « سنير » فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل « بعلبك » وأهل « بصرى » وهي مدينة « حوران » ثم أتى « مرج راهط » فأغار على غسان في يوم فصحهم وهم نصارى ، فسبى وقتل [2] وسنعود إلى تمحيص مختلف أقوالهم الواردة عن هذه الرحلة

(١) رويت هذه الأبيات مغفلة غير منسوبة في كثير من المآخذ مضافاً الى اختلاف النصوص وانفرد البكري (في معجم ما استعجم ط باريس ص ٣٣٢) بنسبتها الى خالد بن الوليد نفسه على الصورة الآتية :

ضل ضلال رافع أنى اهتدى فوز من قراقر الى سوى
خمساً اذا ما سارها الجيش بكى

ويراجع عن قصة خالد بن الوليد في مسيره من العراق الى الشام وعبوره مفازة السماوة : الكامل لابن الاثير ج ٢ ـ ط بولاق ص ١٥٦ ، ١٥٧

٣ — تاريخ الطبري : السماوة في سجع الكهان

تضمّن الجزء الأول من تاريخ الطبري حديث طلب كسرى انوشروان الى النعمان بن المنذر ان يوافيه برجل عالم يسأله عما حدث ليلة ولد الرسول فوجّه اليه عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقيلة الغساني ولما قدم عليه وجه اليه أسئلة ، على ان المسؤول المذكور ـ وهو عبد المسيح ـ أحاله على « سطيح » وهو ابن اخت لعبد المسيح ومن اقوال سطيح التي وردت في رواية هذه القصة على اختلاف نصوصها ، قوله : « عبدالمسيح على جمل يسيح الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى ابلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها اذا كثرت التلاوة ، وبعث صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليست الشام لسطيح شاماً [١]

هروب آل المهلب من الحجاج عن طريق السماوة :

وفي تاريخ الطبري رواية عن هروب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه من السجن، ليلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك جاء فيها : « ولما دنا يزيد من البطائح من « موقوع » [٢] استقبلته الخيل قد هيئت له ولاخوته ، فخرجوا عليها ، ومعهم دليل لهم من كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد الرّبعة فأخذ بهم على السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له : انما اخذ الرجل طريق الشام [٣]

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ١ ص ٩٨١ـ٣ « الطبعة الاوربية »

(٢) موقوع هو ـ على ما في كتب البلدان ـ ماء بناحية البصرة ، قتل به أبو سعيد المثنى الخارجي العبدي خرج بهذا الموضع وقتله صاحب شرطة البصرة

(٣) تاريخ الطبري « حوادث سنة ٩٠ هـ »

خروج الوليد بن عبد الملك الى السماوة :

في حديث رواه الطبري جاء فيه : « فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي : ـ المقول له الوليد بن عبد الملك ـ يا أمير المؤمنين ، تدمر حصينة ، وبها قومي، يمنعونك فقال: ما أرى ان نأتي تدمر وأهلها بنو عامر، وهم الذين خرجوا عليّ ولكن دلني على منزل حصين فقال : أرى ان تنزل القرية قال : اكرهها فقال : فهذا الهزيم قال : أكره اسمه قال : فهذا البخراء [1] وقصر النعمان بن بشير قال : ويحك ما أقبح اسماء مياهكم فأقبل في طريق السماوة وترك الريف [2] »

عزل عامل اموي وعودته الى الشام بطريق السماوة :

جاء في سياق الحديث عن عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وتولية منصور بن جمهور مكانه : « فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبي ـ حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور : ما الرأي ؟ قال : ليس لك امام تقاتل معه ، ولا يقاتل اهل الشام الحارث بن العباس معك ، ولا آمن عليك منصور بن جمهور ان قدم عليك وما الرأي إلا أن تلحق بشامك قال : هو رأيي فكيف الحيلة ؟ قال : تظهر الطاعة ليزيد وتدعو له في خطبتك فاذا قرب منصور وجهت معك من أثق به ثم وجه معه من أخذ به طريق السماوة ، حتى صار الى البلقاء [3] »

القرامطة في بادية السماوة

جاء في حوادث سنة ٢٨٩ من هذا التاريخ ما يأتي : « ذكر أن زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا أنه كان داعية قرمط لما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش الى من بسواد الكوفة من

---

(١) للبخراء ذكر في كتب البلدان قال ياقوت (٢ : ط مصر ص ٨٧) البخراء ممدودة كأنها تأنيث الأبخر وهو نتن الفم وهي كذلك ماءة منتنة على ميلين من القديمة في طرف الحجاز هـذا ما قاله ياقوت ، ويلي ذلك قصة طريفة عن مقتل الوليد بن عبـد الملك في البخراء يحسن أن يقابل بما جاء في تاريخ الطبري عن الحادث المذكور

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٩٦ « حوادث سنة ١٢٦ هـ »

(٣) المآخذ ج ٢ ص ١٨٤٠ من الطبعة الفرنجية

القرامطة وألح في طلبهم ، وأثخن فيهم ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب اسد وطيء وتميم وغيرهم من قبائل الأعراب ودعاهم الى رأيه وزعم لهم أن بالسواد من القرامطة يطابقونهم على أمره إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البرّ بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها ، وتحمل — أي كلب — الرسل وأمتعة التجار على أبلها فأرسل زكرويه أولاده اليهم ، فبايعوهم وخالطوهم وذكروا أنهم خائفون من السلطان وأنهم ملجوؤن اليهم فقبلوهم على ذلك ثم دبوا فيهم بالدعاء الى رأي القرامطة فلم يقبل ذلك أحد منهم أعني من الكلبيّين إلا الفخذ المعروف ببني القليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة ٢٨٩ بناحية السماوة ابن زكرويه المسمى بيحيي والمكنى أبا القاسم ولقبوه (الشيخ) على أمر احتال فيه ولقب به نفسه »

٥ — صفة جزيرة العرب :

قال الهمداني في الفصل الذي عقده بعنوان « مساكن من تشاءم من العرب » : « اما كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد ، ومن كلب بأرض الغوطة : عامر بن الحصين بن عليم ، وابن رباب المعقلي »[1] ثم من حوران في ديار كلب عن يمينك في السماوة ، ثم في الدهناء الى أن ترى نخل الفراب ولا يخالط كلبا سواها »[2]

وجاء في الفصل المذكور — أيضاً : « ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حدّ الفرات ، الى بالس في برّية خساف ، وهي من الدهناء ومنها تخرج الى تدمر ذات اليمين ، وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة ، وما وقع في ديار كلب من القرى : تدمر وسلمية ، والعاصمية ، وحمص ، وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق : حماه ، وشيزر ، وكفرطاب لكنانة من

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢١٧ — ٢٢١٨

(٢) صفة جزيرة العرب ص ١٢٩ طبعة ليدن —

كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات »[1]

٦ — في شعر ابن نباتة السعدي :

قال يصف الذئب :

وأطلس ما في سعيه غير أنّـه	يضيق عليه الرزق والخرق واسع
يخاف أخوه حرصه وهو طاعم	ويهرب منـه عرسـه وهو جايع
علا شرف البيـداء يسأل أنفـه	بياناً وقد أكدت عليه المطامع
فنمت إليه الريح أن شظية[2]	وبهماً بأكناف « السماوة » ضايع
فزعزع من قطريـه يذأل ضالعـاً	وما هو إلا بالخديعـة ضالع
على أي حال من يسار وفاقة	يسير بما أهدت إليـه المطامع

٧ — مقامات الحريري :

ولا تخلو مقامات الحريري من ذكر هـذه البادية يشعر بما يكمن في فلواتهـا من وحشة وأخطار

قال الحريري في المقامة الدمشقية : « ولطالما والله جبت مخـاوف الأقطـار ، وولجت مقاحم الأخطار ، فغنيت بها عن مصاحبة خفير ، واستصحاب جفير ثم إني سأنفي ما رابكم ، واستسل الحذر الذي نابكم ؛ بأن أوافقـكم في البداوة ، وأرافقـكم في السماوة »

٨ — رحلة ابن جبير

قال ابن جبير[3] في رحلته ما يأتي : « وعند هذه الثنية — يعني ثنية العقاب المشرفة على دمشق — مفرق طريقين احداهما التي جئنا منها — وقدجاء من حمص — والثانية آخذة شرقاً في البرية على السماوة الى العراق وهي طريق قصد ولـكنها لا تدخل إلا في الشتاء »

مسائل تطرح بشأن السماوة

وقد آن لنا أن نتساءل ما هي مفازة السماوة ، ما حدودها ما موقعها الجغرافي من

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣١ ، ١٣٢

(٢) كذا ورد في الأصل والشظية القطعة

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٦٧

العراق من هم السكان والقبائل فيها لماذا تغلغلت البداوة في السماوة ما الفرق بينها وبين الأقاليم النجدية من هم رواد السماوة وماذا قالوا عنها ؟ هذه أسئلة واردة عن البرية المذكورة والفصول الآتية من هذه المقدمة كفيلة بالجواب

حدود بادية السماوة . التعريف بالمفازة

إذا أخرجنا خطاً وهمياً ممتداً من ضواحي الكوفة الى ضواحي الشام فما وقع من بادية العرب الى الجنوب من الخط المذكور فهو بادية الديار النجدية ، وما وقع من البادية نفسها الى الشمال من ذلك الخط فهو بادية السماوة ، ويشبه أن يكون مدلول الكلمتين أعني نجداً والسماوة واحداً ، فالسماوة مشتقة من السمو ، والنجد من البقاع ما مال الى الارتفاع وهو خلاف الغور ، على أن هذه الوحدة في مدلول الكلمتين لغوياً لا تعني وحدة في الخصائص الاقليمية من طبيعية وإجتماعية فالفوارق بين هاتين الباديتين الكبيرتين غاية في الجسامة

عنى البلدانيون وغيرهم من الباحثين بتعريف برية السماوة وتحديدها على وجه يشعرنا بأنها من ألصق البوادي بأرياف الفرات الواقعة على ضفته الغربية ومن رأى أكثر علماء البلدان أن السماوة أرض بين العراق والشام أو بين الكوفة والشام ويستفاد من كلمة مسندة لابن عباس برواية هشام بن السائب الكلبي انّ اطراف العراق والسماوة وما يليها داخلة في حدود جزيرة العرب من جهتها الشرقية ، فالسماوة بناء على ذلك ليست جزءاً من اجزاء شبه الجزيرة العربية مثل نجد والحجاز ، وانما تعد من جملة حدود الجزيرة العربية[1] والواقع ان هذا المعنى يستفاد من كلام أكثر الباحثين في هذا الموضوع

قال البكري[2] السماوة بفتح أوله مفازة بين الكوفة والشام وقيل بين الموصل والشام ،

---

(١) راجع عن هذه الكلمة المسندة لابن عباس مادة « جزيرة العرب » من معجم البلدان للحموي (المجلد الثاني من الطبعة الالمانية)

(٢) معجم ما استعجم طبعة باريس ص ٧٨٣

وهي من أرض كلب ، هذا ما جاء في كلام البكري ، ولا يخلو هذا من غرابة إذ المعروف ان الموصل من ديار ربيعة وان الجزيرة من بلاد مضر واين بلاد ربيعة ومضر وديار بكر من سماوة كلب وبينهما النهران الرافدان دجلة والفرات ، والفرق جسيم بين هذا التحديد وقول من يقول السماوة : أرض بين الكوفة والشام إذ لا يعترض الحدود بين باديتي الكوفة والشام ولا يفصل بينهما هذان النهران

وعاد البكري الى الكلام عن السماوة قائلا : قال أبو حاتم عن الأصمعي وغيره : السماوة أرض قليلة العرض طويلة ، قال ذو الرمة :

ولو قمت مُذ قام ابن ليلى لقد هوت ... ركابي لا فواه السماوة والرجل

فأفواه السماوة أولها ورجلها آخرها وقال الراعي :

وجرى على حدب الصوى فطردته ... طرد الوسيقة في السماوة طولا

يصف السراب يقول اذا مضت الإبل مضى السراب بين أيديها فكأنها هي تسوقه ، وقال الخليل: السماوة ماءة بالبادية ، وكانت أم النعمان سميت بذلك فكان اسمها ماء السماوة وكانت الشعراء تقول ماء السماء

وفي كتاب المشتركات للحموي (١) : أرض لكلب بين العراق والشام أو بين الكوفة والشام. ويقول البديعي (٢) : السماوة هي الاقليم الواقع بين الكوفة من الشرق وتدمر من الغرب . وفي معجم البلدان : أقصر الطرق من العراق الى الشام قطع مفازة السماوة من وسطها وهي تسمى « سماوة كلب » هناك ، وكان للجيش والبريد والقوافل السريعة طريق خاص من الكوفة الى الشام تقطع في خمسة أيام

---

(١) المشتركات ص ٨ ١

(٢) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للبديعي نقلا عن نسخة طبعت على هامش شرح ديوان المتنبي للعكبري ، ولا يخفى ان لكتاب الصبح المنبي اكثر من طبعة

وفي المعجم أيضاً [1] السماوة : الشخص قال أبو المنذر إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر فيها والسماوة ماء بالبادية وبادية السماوة هي التي بين الكوفة والشام أظنها مسماة بهذا الماء. قال السكوني : السماوة ماء لكلب قلت وإنما قيل : « سماوة كلب » لأنها أكبر قبيلة تضطرب في هذه البادية وتسيطر عليها ولهذه القبيلة العريقة في بداوتها شأن كبير في تاريخ السماوة ، وقلما ذكرت السماوة في كتب التاريخ والبلدان القديمة الا وهي مضافة الى كلب بن وبرة وقد أفردنا للتعريف بهذه القبيلة فصلاً تجده في مكانه من هذه المقدمة

اصطلاح مهجور :

ظلت هذه البرّية تعرف بأنها سماوة كلب اوبادية السماوة او بادية الشام. ثم قل استعمال كلمة البادية مضافة الى كلمة السماوة من بعد القرن السابع وغلب عليها قولهم بادية الشام إلى أن هجرت في تعريف هذه البادية كلمة «السماوة» بالمرة في العصور الأخيرة كما يتضح لنا من تصفح أسفار التاريخ وكتب البلدان والرحلات المصنفة بعد المائة السابعة ومن المؤلفين الذين حافظوا على الاصطلاح القديم الخاص وهو قولهم «بادية السماوة» أبو سعد السمعاني في كتابه المعروف بالأنساب ، كما ستراه مفصلاً في فصل آخر من هذه المقدمة أما صاحب « حماه » فقد اقتصر على استعمال المصطلح العام وهو « بادية الشام » في كتابه « تقويم البلدان » وذلك في فصل عقده للبحث عن جزيرة العرب وقد غلب هذا الاصطلاح على البادية المذكورة في العصور الحديثة ، وهو في الواقع اصطلاح قديم أيضاً أطلقه الاصطخري في كتاب «المسالك والممالك » على هذه البادية ثم أطلق الجمهور بعد ذلك حتى هذا اليوم كلمة « الحماد » عليها

---

(١) معجم البلدان الجزء ٣ من الطبعة الألمانية

وبهذه الكلمة تعرف البادية المذكورة الآن لدى جمهور العراقيين المقيمين على مقربة من منطقة الطفوف أو بين ريف الفرات والمنطقة المذكورة من حدود المسيب اوالفلوجة شمالاً الى حدود كربلاء والنجف والكوفة بعد ذلك جنوباً ، ومعنى الحماد عندهم الأرض الرملية المقفرة في ارتفاع ولا يصحح جماعة من المعنيين بالبحوث اللغوية استعمال كلمة الحماد بالمعنى المذكور

قحط السماوة

كانت قافلتنا تجوب قلب السماوة وتقطعها من الوسط على خط معين بين مشارف الشام من الغرب الى ارياف نهر الفرات من الشرق ، بيد أن السماوة هنا فلاة ممحلة شديدة الجفاف حتى ان رمال الدهناء في قلب البادية النجدية اكثر منها نباتاً وشجراً بكثير .

لا تخلو رمال الدهناء الناعمة الحمراء ـ مع فقدان الماء فيها اطلاقاً ـ من مناظر اخاذة ، ووهاد مخضوضرة معشبة ، وكم كانت خضرتها ريانة ماتعة ، وأريجها فوّاحاً منعشاً ، ورمال الدهناء هذه لا تخلو أيضاً من ذكور العشب ، وأحرار البقول ، وقد كانت الدهناء وما زالت من أكثر بلاد الله كلأً قالوا : اذا اخصبت الدهناء ربّعت العرب ولم يقولوا مثل ذلك في السماوة

لا شك ان الفوارق جسيمة بين هاتين الباديتين الكبيرتين المتجاورتين ، اذ تميزت بادية نجد عن جارها بادية السماوة بخصائص عمرانية لا يستهان بها ، من ذلك خصبٌ وقوة انبات في جملة من أريافها، على أن هذا لا يعني ان ديار كلب وسماوتها مجدبة عقيمة بالمرة ؛ فهذه «منطقة الجوف » وهي «وادي القرى» أو « دومة الجندل» وهذا «وادي السرحان» وماإليه ، ـ على رأي من يرى أنها من السماوة ـ أقاليم تميزت بخصبها ووفرة مياهها بالنسبة الى بقية جهات السماوة ، وقد اشتملت أعالي وادي السرحان على عدد من القرى العامرة منذ القدم اكبرها قرية تسمى « كاف » ، أما موقع الجوف ؛ فهو في ادنى هذا الوادي ، واهم قراه

قرية يقال لها « سكاكة » واخرى يقال لها « القارة » احدى القريّات التي منها دومة الجندل وعليها سور ولكن دومة أحصن ، وأهلها أجلد وقد وردت سكاكة معرّفة في معجم البلدان

هذا ـ وحسبنا من خصب هذا الوادي الواقع على طرف السماوة من ناحية الجنوب الغربي ان البلدانيين العرب سمّوه « وادي القرى » وهو حقاً كذلك بالنسبة الى المنطقة الوسطى الجافة المجدبة من بادية السماوة ، اذ اشتمل الوادي المذكور على مدن وقرى مسوّرة لا تخلو من صناعات يدوية وان كانت بسيطة ، وعيون هذا الوادي الثجاجة تسقي بساتين وحدائق ذات نخل وفاكهة

وقد قامت في هذا الصقع دولة مستقلة لكلب كان الملك فيها « اكيدر بن عبد الملك ابن عبد الحي » وقيام دولة من الدول ـ ولو كانت غير كبيرة ـ ليس بالأمر اليسير لأن للدولة مقومات شتى ، وقد وجدت تلك المقوّمات في دولة دومة الجندل وحكامها ورجالها من قبيلة كلب المذكورة ، وذلك في أواخر عصور الجاهلية، والى اكيدر المذكور صاحب دومة ينسب الحصن الضخم الذي يقال له «مارد» وهو معروف في كتب التاريخ والبلدان . أما بعد الاسلام ـ وقد أسلم من أسلم من أفخاذ هذه القبيلة ـ فان سيرة كلب من حيث محافظتها على عاداتها وأوضاعها وشيمها العربية واطراد حياتها على فطرها الأولى هي هي . وقد ائتمنها أكثر من دولة اسلامية على تنشئة ابنائها في بادينها على الفصاحة والفتوة وقد أصهر الإمام أبو عبدالله الحسين بن علي إلى فخذ من افخاذ هذه القبيلة ، وأصهر الأمويون كذلك اليها ولا يخفى أن ميسون بنت بحدل الكلبية كانت زوجة معاوية بن أبي سفيان وهي التي لم يطب لها العيش في دمشق ، ولم تُغرها الحضارة الباذخة فيها وظل حنينها الى البداوة والبادية يعاودها ، وكراهيها للتصنّع المعهود في الحواضر يجيش في صدرها ولها في هذا المعنى ابيات سائرة معروفة :

للبس عباءتي وتقر عيني احب اليّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرواح فيه احبّ اليّ من قصر منيف

ولا يخفى ان هذا الشعر الرقيق ـ وكانت ميسون شاعرة من جملة شواعر هذه القبيلة ـ اضطر معاوية الى النزول على حكمها وتسريحها الى البادية

كلمة في طبيعة البادية

لا توجد في هذا السمت الذي سلكناه من البادية ما يوجد في بعض البوادي من آجام او غياض او شجر وذلك لندرة المياه او فقدانها بالمرة ، والأودية هنا غير عميقة في الغالب اذا استثنينا « وادي حوران » وتزيد مقادير المياه في جهات السماوة القريبة من حلب والشام على مقاديرها في جهات الشرق المحاذية للعراق

فالمياه الصالحة للشرب في هذه البادية نادرة جداً ، ويستثنى من ذلك ماء المنزلة التي يقال لها (الرطبة) الآن[1] وقد انشئت على هذا الماء قرية تقع في منتصف الطريق بين بغداد ودمشق وثكنة للشرطة كبيرة ، وهي من أقدم الثكنات في هذه البادية ، وفي هذه القرية أيضاً مخازن عدة للباعة وتتوقف عندها السيارات المسافرة بين العراق والشام

وقد هطلت الأمطار مراراً خلال رحلتنا في هذه البادية قبل الوصول الى « وادي حوران » وفاضت الأودية ، وكان ذلك في أوائل فصل الخريف كما كان منظر الأودية والسيول تتدفق فيها والامواج تصطخب منظراً اخاذاً رائعاً حقاً ، ويقال للمطر في هذا الأوان « الوسميّ » وهو ما توسم به الأرض ، ووقوعه في هذا الفصل عندهم دليل على الخصب والريف ، و « الوليّ » ما يليه من المطر في الفصل الذي يلي فصل الخريف

كنا نسير في فلاة قاحلة وفي صحو تام ، وليس من النادر مع ذلك أن نرى السيل يتدفق

(١) الرطبة اسم حديث ، وكان اسمها في البادية (الـكعرة) وذلك قبل اربعين عاما ، وقد نزلنا بعد رحل شاقة في البادية على ماء الكعرة ، اما اسمها القديم في كتب البلدان فالغالب انه (لاهة) او (القارة).

في بعض لأودية ، والعلة في هذا أن الجهات التي هطلت فيها الأمطار تبعد عن خط رحلتنا مسيرة يوم أو يومين او اكثر من ذلك .

سماء صافية مرصعة بالنجوم وأرض ذهبية الأديم وهواء منعش جاف وهدوء تام وبساطة في المعيشة ، و بَشَرة البدويّ من سكان المنطقة ميّالة الى البياض أكثر من بشرة أخيه في الجنوب وعلى كل فان مناخ السماوة هنا موسوم بالاعتدال باعث على الحركة والنشاط

في التكوين الطبيعي :

تختلف بادية السماوة عن بادية نجد من حيث تكوينها الطبيعي فان بادية السماوة او (الحماد) كما يسمونها الآن ارض يغلب عليها الاستواء والتسطيح وتقل فيها الهضاب ، ويندر ان نجد بين دمشق وشواطىء الفرات ـ شواطىء الكوفة والمسيب والفلوجة فما فوقها ـ وهي قلب السماوة ومنطقتها الوسطى ، نقول يندر ان نجد في هذه المنطقة جبلاً شامخاً او هضبة عالية بيد ان الاودية الكبيرة ومجاري السيول التي تنحدر من هضاب الشام الى البادية وتصب في الفرات غير قليلة في السماوة ، ومن اشهرها وادي السرحان ووادي حوران الى اودية اخرى ، وقد يحدث في الفرات مَدّ او فيضان او زيادة مُبكرّة حيث تسمى هناك « حورانية » وينتجون في سقي الفرات نوعاً جيداً من الحنطة يقال لها ايضاً « حورانية » نسبة الى « جبل حوران » لا الى هذا الوادي اذ لا زرع ولا ضرع فيه ، هذا في بادية السماوة اما في نجد فان جبالها الشاهقة غير قليلة ومن اشهرها جبل (اجأ) و (سلمى) او (جبل شمر) في القسم الشمالي من البادية النجدية ، اما في القسم الجنوبي فهناك جبل (طويق) وجبال اخرى محاذية لحدود الحجاز وعسير واليمن

قبائل البادبتين :

هذا والى جانب ذلك نرى بادية نجد حافلة بجملة من اشهر قبائل العرب مثل (بني اسد) و (تميم) و (طي) ، ويلاحظ أن جل قبائل السماوة كانت قحطانية في انسابها ، ومن

ذلك قبيلة (كلب بن وبرة) نفسها على اشهر الاقوال بخلاف قبائل الديار النجدية فان جملة منها تعتزي الى عدنان، ولا شك ان جملة من قبائل الشام البعيدة عن السماوة كانت ترتادمنذ القدم مراعي هذه البادية في فصول معينة، ومن ذلك السكاسك والسكون وقيس وربيعة وزبيد، وما زالت قبائل العراق والشام ونجد احياناً ترتبع اوتخرج بماشيتها الى بادية السماوة الى هذا اليوم اذا نزل الغيث، وقد اعتادت بعض هذه القبائل على البقاء اشهراً في البادية

السماوة من ميادين الكفاح

السماوة في حرب صفين   حجر بن عدي   الضحاك بن قيس

لا يخفى ان صفين التي وقعت فيها الواقعة المشهورة في خلافة الامام عليّ موضع في أعالي الفرات في الجهة الغربية منه او بينه وبين حلب ومن المعلوم أن الامام علياً اختار السير على شواطيء الفرات من الكوفة حتى صفين، وهي أيضاً الطريق التي سلكها الامام الحسن بن علي قبل صلحه مع معاوية، أما جيوش أهل الشام فقد سلك كثير منها بادية السماوة الى صفين وهي اقرب واقل مشقة من طريق اهل العراق

وقد جرت بعض الغارات بين أهل العراق وأهل الشام قبل واقعة صفين الكبرى في بادية السماوة نفسها ومن أشهرها غارة «الضحّاك بن قيس الفهري» من قواد معاوية ـ اي غارته على الحيرة ـ حيث خرج من جانب العراق للقاء الضحاك بامر من الامام علي صاحبه «حجر بن عديّ» حتى مرّ بالسماوة وهي أرض كلب وفيها ـ أي في بادية السماوة ـ لقي «حجر» ـ امرأ القيس بن عديّ بن أوس بن حارث بن كعب بن عليم الكلبي، وهم الذين أصهر اليهم الحسين بن علي فكانوا ادلاءه ـ أي أدلاء القائد العراقي حجر بن عدي ـ في الطريق وعلى المياه، فلم يزل عديّ مغذّاً في إثر الضحاك حتى لقيه في ناحية «تدمر» واقتتلوا هناك[1] ومن رأينا أن هذه الغارة التي قام بها الضحاك الشامي على الحيرة سالكا بادية السماوة وقعت في فصل الربيع أو الخريف، وفيهما يمكن قطع هذه المفازة للجيوش خصوصاً اذا كانت

---

(١) يراجع تفصيل ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الجزء الاول ص ١٥٣ ـ ١٥٥ .

فرساناً او خليطاً من الفرسان وغيرهم. فان الضحاك اتجه من السماوة جنوباً الى حدود الديار النجدية ثم عاد الى طفوف بادية الفرات والحيرة ، ومهنا ماء يقال له « شراف » وعين يقال لها « القطقطانة » ومن هناك اغار على الحيرة

رحم الله حجر بن عدي فقدضرب لنا في سيرته هـذه، وفي اندفاعه اثر الضحاك كالصاعقة مثلا رائعاً في البطولة والتفاني والاخلاص

السماوة مشتى الامويين :

كان الامويون يتحاشون الاقامة في دمشق في بعض الفصول لرطوبتها وحمياتها .. كما كانوا يحنون الى البادية حيث بنوا لهم فيها جملة من القصور والدور ، وكان لعبد الملك بن مروان عدة قصور في البرية قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٤٦٨ « ابن حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد وكان مقدم العرب » وانشأوا طريقاً مرصوفة من صرخد الى اعالي الفرات

كلأ السماوة

في امالي القالي أسنت بنو تميم زمن علي بن أبي طالب فانتجعوا ارضاً من ارض السماوة ويقال لها « صوأر » من الكوفة على عقبة (١)

في معرض المقارنة بين نجد والسماوة :

ولا بد لنا في معرض المقارنة بين نجد والسماوة أن نقول : إننا نعني : المقارنة بين هذه البادية وتلك فقط دون الحاضرة ، ففي نجد بادية وحاضرة ومرافئ وسواحل ، وفي السماوة بادية فقط ، ولا تخلو بادية نجد من خصب وريف ومن مقومات حضارة زراعية ، وفي مقدمتها توفر المياه الجوفية وخصوبة التربة ، وفي تاريخ نجد الحديث شواهد غير قليلة على ذلك ، نذكر من جملتها الدعوة التي انتشرت هناك في سبيل الاقلاع عن البداوة والحث على التحضر والاستقرار ، وهي حركة معروفة أسفرت عن إنشاء كثير من القرى

(١) الامالي ج ٣ ص ٥٢

أخلدت إليها قبائل كانت عريقة في البداوة والاضطراب وشن الغارات، قامت بهذه الحركة الحضارية سنة ١٣٣٠ (١٩١١ م) جماعات من أبناء نجد ، بعضها من قبيلة « مطير » وآخرون من « العجمان » وجماعات من قبائل « حرب » و « شمر » و « عتيبة » وامثالها حيث أطلقوا على كل واحدة من تلك القرى المستحدثة اسم « الهجرة » ، وهم يعنون الهجرة من البادية الى الحاضرة ونسبت كل هجرة أيضاً إلى قبيلتها فقالوا مثلا : « الارطاوية هجرة مطير » ، ولا شك ان الأصل في ذلك النهي المأثور عن الركون الى الاعرابية او الى البداوة بعد الهجرة ، وكانت تلك القرى معروفة باسمائها في ذلك الحين أقام فيها أصحابها معنيين بالحرث والزراعة مدّة ناهزت العشرين عاماً ، ويقال ان بعض هذه « الهجر » نمت في مدة قليلة وبلغ عدد سكانها عشرات الألوف ، على ان السلطات السعودية اضطرت الى اخلائها إثر فتن وقلاقل قام بها بعض القوم هناك ـ وحسناً فعلت ـ هذا وحسبنا ذلك دليلاً على توفر خصائص العمران الزراعي في تلك الأنحاء ، ولعل هذا من أظهر الفوارق بين بادية السماوة والبادية النجدية

أثارت الحشود المذكورة في « الهجر » النجدية كما لا يخفى قلقاً غير قليل في الأقطار المصاقبة لنجد من الشرق والغرب على حدٍ سواء ، خصوصاً العراق والحجاز اذ اصبحت هذه القرى او « الهجر » كما يسمونها قواعد عسكرية يستند اليها بعض القوم في غزو الآمنين من جيرانهم في العراق والحجاز

ولا بد لنا من القول بان هذا التحفز والاندفاع في سبيل الغزو قديم بدأ بعد مضيّ زمن قليل على ظهور الدعوة المعروفة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستجاب لها من استجاب في نجد ، وذلك في صدر المائة الثالثة عشرة فهوجمت غير حاضرة من حواضر العراق ، هوجمت البصرة والزبير والسماوة والرماحية والنجف وكربلاء بين سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٣ ، وردّ الغزاة على الأعقاب الا في الزبير وكربلاء فانهم استولوا على هاتين المدينتين واستباحوهما في حوادث مشهورة، هذا ولا ننسى ما قاسته أخيراً قبائل العراق التي تنتجع مراعي البادية غربي الفرات او غربي الطفوف من تلك الغارات

يتضح لنا من هذه المقارنة ان السماوة فلاة مقفرة أو مجدبة جافة في الغالب لا يوجد في باديتها ما يوجد في بادية نجد من أعشاب حرّة وأشجار و نبات إلا نادراً ، ولا يوجد في السماوة ما يوجد في بادية نجد من آبار واعداد مياه معروفة ترتادها الركبان وتنزل عليها القفول على وجه الدهر إلا القليل ، ونحن نعرف في مراحل هذه البادية النجدية التي قطعناها ، وفي طريق الكوفة والنجف والحيرة إلى نجد اعداد مياه من هـذا القبيل ، منها ، العذيب ، الشبكة ، الثعلبية ، السلمان ، لينـة ، واقصة ، بصية ، البـدع ، أم الرضم ، الشعيبة ، وقد نزلنا على اكثر هذه المياه ، وكنا ضيوفـاً على بعض الحلل والاحياء البدوية هذا عدا ما يوجد من أعـداد مياه في الجنوب أو في الطريق السالـكة من البصـرة إلى الأحساء والى الرياض وما وراءها ، فهنـاك المياه والمناهل مناهل وادي الرمة ووادي العرمة ، وعلى هذه المناهل تمر أعظم الطرق النجدية السالـكة من البادية إلى جهات البصرة من هـذه الناحية ذاعت اسماء المناهل والمنازل في نجد وورد ذكرها في شعر الشعراء ووضعت في التعريف بها كتب ومصنفات دون تلك المناهل والمنازل الموجودة في بريـة السماوة اذ ليس لها نصيب من تلك الشهرة ، فاصبحت منسية او بحكم المنسية

هذا ولا يوجد أيضاً في بادية السماوة ما يوجد في بادية نجد من مظاهر العمران ودلائل البر والاحسان والاصلاح التي تقدمت بانشائها شتى دول الاسلام خصوصاً على عهد الدولة العباسية قال اليعقوبي [1] « من أراد أن يخرج من الكوفة الى الحجاز خرج على سمت القبلة في منازل عامرة ومناهل قائمة فيها قصور الخلفاء من آل هاشم ، وأوّل المنازل القادسية وهلم جرّا وهناك مصانع المياه وبركها والمرافق العامـة والحصون حتى وصفت هـذه الطريق السالـكة من الكوفة والنجف والحيرة الى نجد بأنها « الطريق السلطانية » ، وقد اتسعت بعض المنازل الواقعة في هذا الطريق حتى صارت في فترة ما قرى ومدناً ذات أسوار ومساجد وحمامات مثل « الثعلبية » و « زبالة »

---

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢١١

هـذا ما قاله اليعقوبي عن مظاهر الحضارة والعمران على عهده في الطريق ما بين الكوفة الى نجد والحجاز ، اما اليوم فلا نرى إلا بعض الأطلال والبرك او المصانع المطمورة بالتُراب ، وفي ذلك عِبرة للمعتبرين ، ومن المفيد أن نعلم مع ذلك انالسماوة لا تخلو من اعداد مياه قديمة وان لم تكن كثيرة ، ومن أشهرها : « قراقر » في الشرق و « الهزيم » في الغرب او في جهات وادي السرحان ، و « سوى » في الشمال و« لاهه » و«القارة»او «الكعرة» —كما تسمى الآن— فيقلب السماوة ، ولكن بين بعض هذه المياه « السماوية » مسافات بعيدة ، وقدتقطع القفول في السماوة أربعمراحل أو أكثر بدون أن تجد مهلاً تتزوّد منه كما اتفق لنا في هـذه الرحلة التي قطعنا فيها هذه البادية ، فإننا تزودنا من ماء يسمى « السبع بيار » على ثلاث مراحل من دمشق ثم فوّزنا أربعة أيام أو أربع مراحل لا أثر فيها للماء بالمرّة حتى وصلنا الى ماء «الكعرة » وقد أخذ اليأس مأخذه من القافلة وانقطع الرجاء أو كاد

هذا ولا بد لنا في هذا الصدد من الاشارة الى بعض العوامل التي نشأ عنها تقدم العمرانفي نجد بالنسبة الى بادية السماوة ، من ذلك موقع نجدالممتاز وكونها فيطريق قوافل الحاج الذين يشدون رحالهم منالمشرق والعراق الى الحجاز ، ولا مناص لهم من المرور على البادية النجدية ، وقد عرفنا اكثر من طريق يسلكه الحجيج ، من ذلك طريق يبدأ من الكوفة او من النجف الى نجد ثم الى الحجاز في مراحل معينة ، وطريق آخر من البصرة الى مكة .

وقد عني المسلمون شعوباً ودولاً بهذه الطرق ، واحداث ما يحتاج اليه الحجيج من مرافق ووسائل راحة فيها ، وذلك بين العراق الى قلب البادية النجدية ، ثم الى الحجاز ، وجملة من سراة المسلمين آثار باقية من هذا القبيل

التعريف بقبيلة كلب :

لا تذكر هذه البادية بادية السماوة في كتب البلدان والتاريخ والانساب غالباً إلاّ مضافة الى «كلب» ـ احدى بطون قضاعة ـ التي يعدون من بطونها أيضاً «جهينة» و«بلي» و«عذرة» وأشهر تعاريف البلدانيين القدماء لها قولهم « سماوة كلب » وهي عبارة يكثر ورودها في كتب التاريخ والبلدان ، كأن هذه البادية الشاسعة بعرضها وطولها ومشتملاتها ملك لهذه القبيلة لا نصيب لقبيلة عربية أخرى فيها ، والى انفراد كلب واختصاصها بالسماوة مردّ عزلتها واغراقها في البداوة ، وقلما احتكرت قبيلة عربية واحدة بادية كبيرة مثل احتكار كلب للسماوة في الجاهلية وفي أولى القرون الاسلامية الى ان اخرجتها منها قبائل اشد منها قوة وبأساً بعد ذلك وتلك الأيام نداولها بين الناس

لما قطعنا بادية السماوة أو « سماوة كلب » إلى العراق في رحلتنا من الشام سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) لاحظنا أن القبيلة التي تسيطر على البادية المذكورة هي « عنزة » بعدد من بطونها وافخاذها ، وقد احتلت بطون عنزة البادية المذكورة منذ أمد وما زالت إلى اليوم ، ولم نجد في البادية أثراً لقبيلة « كلب » التي ملكتها في الزمن القديم حتى عرفت البادية بالاضافة إلى هذه القبيلة فقالوا « سماوة كلب » ، ولهذه الناحية أصبح لزاماً علينا تجريد بحث خاص نعرّف بها هذه القبيلة الخطيرة المنسية عند المعاصرين :

ساق الباحثون في أنساب قبائل العرب نسب كلب قائلين « كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة » هكذا ساق النسابون نسب هذه القبيلة إلى قضاعة ، وقد حفلت كتب التاريخ والنسب بذكر « كلب » على تعدد بطونها ، وتسمية منازلها والبحث في أخبارها ووقائعها والتعريف بزعمائها ورجالها في الجاهلية والاسلام

تعد كلب في طليعة قبائل العرب الضخمة العظيمة ، وقد ذهبت بالعدد والشرف

بين بطون قضاعة ، قال النخار العذري ـ وهو خبير في الانساب ـ وقد سأله معاوية عن « قضاعة » : كلب ســـاداتها وأوتادها ، والقين فرسانها واسنّتها ، وعذرة شعراؤها وفتيانها [1] وتحدث النسابون والاخباريون كثيراً عن حلف كلب وتميم ، وللشعراء في هذا الحلف أقوال ، قال جرير :

تميم إلى كلب ، وكلب اليهم   احق وأولى من صداء وحميرا

وقال الفرزدق : من قصيدة يهجو فيها الأخطل : [2]

أشـــد حبال بين حيين مِرّةً   حبال أمرّت من تميم ومن كلب [3]

كلب ودعوة الاسلام :

كانت بطون كلب في مقدمة قبائل العرب التي أدركت ما في دعوة الاسلام من عناصر الحق والخير فآمنت بها فور التبليغ ، واشهر عدد من الصحابة المنتسبين اليهـــا ، منهم « دحية الكلبي » ساقوا نسبه إلى « كلب بن وبرة » شهد مع الرسول « ص » أحداً وغيرها من المشاهد ، وهو الذي بعث رسولا إلى قيصر سنة ست من الهجرة ، وكان دحية الكلبي مضرب الأمثال في جمال الصورة ، وكان وفد قبيلته في طليعة وفود القبائل على النبي «ص» وعلى رأسهم قطن بن حارثة العليمي الكلبي فسأل الدعاء له ولقومه ، وقطن هذا هو الذي حمل إلى كلب واحلافها احدى رسائل النبي « ص » التي تعدُّ آية في البلاغة ، وفيما اشتملت عليه من الاوابد والشوارد [4] وقد تحدثت عنها كتب السير والأدب

---

(١) ذيل امالي القالي ص ٧٠

(٢) أنظر القصيدة في ديوان جرير «مطبعة الصاوي بالقاهرة » وفي نسخة الديوان كلمة « نزار » بدل « تميم »

(٣) طبقات الشعراء للجمحي ط بريل ص ٨١

(٤) يراجع عن وفد كلب هذا وعن رسالة الرسول الى كلب مع قطن بن حارث العليمي التي تضمنت ما تضمنت من الغريب ، كتاب العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٦

والتاريخ [1] وقد بلغت صلة دحية بن خليفة الكلبي من الوثاقة بالرسول انه تزوج عمته درة وهذا يعني صلة تلك القبيلة نفسها به

هذا وما اكثر عدد الاخباريين والنسابين وعلماء الأدب واللغة الذين عنوا بالبحث عن « كلب » ، فهذا ابن دريد ، أفرد في كتاب الاشتقاق بحثاً لغوياً ممتعاً شرح فيه أسماء الأعلام الواردة في نسب هذه القبيلة واشتقاقها حتى اسم قضاعة [2]

---

(١) راجع عن نص هذه الرسالة كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٧٥/١ والاستيعاب لابن عبد البر ج ٥٣٦/٢ ط حيدر اباد

وقد وجه النبي (ص) كتباً غير قليلة الى زعماء العجم والعرب في معنى الدعوة الى الاسلام وتعد هذه الكتب مثلاً اعلى في البيان وآية في البلاغة ، وردت هذه الكتب في اسفار السيرة كسيرة ابن هشام وسيرة ابن اسحاق وفي كتب التاريخ ومن ذلك كتابه الى المنذر عامل البحرين من قبل الفرس بعد اسلامه ، وكتابه الى فروة بن عمر الجذامي ، اورده ابن الجوزي في كتاب «الوفاء» ، وكتاب آخر الى طهفه الفهري وقومه تجد نصه في المثل السائر لابن الاثير ، ويتضمن هذا الكتاب طرفاً من الغريب ، وقد عني بعض المؤرخين بشرح غريبه المذكور

ومن اشهر كتبه (ص) كتاب الى اكيدر صاحب دومة الجندل ذكره ابو عبيدة ، وهذا الكتاب يتضمن كذلك جملة من الغريب تحتاج الى الشرح عني بشرحه بعض المؤلفين

وكتابه الى وائل بن حجر ، واهل حضرموت ، ذكره القاضي عياض في الشفاء ، وهو من الكتب التي عني المؤرخون والمؤلفون بشرحها لاشتمالها على الغريب وغريب الغريب

وكتابه الى قبيلة همذان من اليمن ورد في سيرة ابن هشام وذكره ايضاً القاضي عياض في الشفاء

اما كتبه (ص) الى غير المسلمين فانها معروفة ومنها كتابه الى كسرى ابرويز ، وكتابه الى المقوقس صاحب مصر ذكره ابن عبد الحكم في تاريخه ، وكتابه الى النجاشي ملك الحبشة ورد في سيرة ابن اسحاق ، وكتابه الى هوذة بن علي صاحب اليمامة ، وكتابه الى نصارى نجران ، وكتابه الى ملوك عمان والبحرين الى غير ذلك من الكتب التي وجه بها الى الرؤساء والملوك غير المسلمين كجبلة بن الايهم الغساني وذي الكلاع الحميري تراجع عنها كتب التاريخ والسير ومنها سيرة ابن اسحاق ، وسيرة ابن هشام ، والعقد الفريد ، وصبح الاعشى من ص ٣٦٥ — ٣٨٢ الجزء السادس

(٢) راجع الصفحات الآتية من كتاب الاشتقاق لابن دريد ٢٠ ، ١٨٠ ، ٢٨٤ ، ٥٣٢ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٦٠

ولابن النديم في الفهرست فصول حسنة في تراجم النسابين والاخباريين من الكلبيين – مثل هشام بن السائب الكلبي – وتسمية ما لهم من كتب ومصنفات

أما ابن حزم القرطبي فقد تناول التعريف ببطون كلب ومشاهير رجالها ببحث فذ عني فيه بتعريف المتأخرين من المنتمين إلى هذه القبيلة في العصور الاسلامية [1] ومن الأمثلة على ذلك قوله ـ وقد ذكر هشام بن السائب الكلبي : ـ « قتل أبوه السائب في صفين مع علي » [2] وعقد ابن عبد ربه فصولا عدة في أحوال هذه القبيلة [3]

وعني البلاذري كذلك بذكر وقائع كلب وقيس ، والعصبية بين هاتين القبيلتين وأيامها في صدر الاسلام وبعد ذلك على عهد الدولتين الاموية والعباسية [4]

وفي بحوث الجاحظ عن الرواة والنسابين والخطباء ورد ذكر شرقي بن القطامي الكلبي ومحمد ابن السائب الكلبي وهشام بن محمد بن السائب وعوانة الكلبي ، ويقول الجاحظ : ان الشرقي القطامي اختاره المنصور مؤدباً لاولاده ، وقال عن سفيان بن الابرد الكلبي « إنه من أكابر قواد الدولة الاموية وخطبائها » وقد تحدث ـ اعني الجاحظ كثيراً [5] عن عوانة الكلبي الاخباري النسابة وعن أمثاله من النسابين المنتمين إلى هذه القبيلة

---

(١) تراجع مادة « كلب بن وبرة » من كتاب جمهرة انساب العرب ص ٤٢٥ ـ ٤٣١ .

(٢) المصدر ذاته ص ٤٧٩

(٣) تراجع الصفحات التالية من كتاب العقد الفريد « ج ١ ـ ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣١٢ » « ج ٢ ١١٥٩ » « ج ٤ ١٢٤ ، ١٢٩ » « ج ٥ ١٥٨ ، ١٠٩ ، ١٦١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ » « ج ٧ ١٠٠ ، ١٥٨ ، ١٧٧ » « ج ٨ ١٦ ، ١٦٣ »

(٤) راجع الصفحات التالية من كتاب انساب الاشراف للبلاذرى. ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ـ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ — ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٧ — ١٥٨ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ — ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ٣ ص ١٣٥ الطبعة الجديدة

فرع الكلبيين في حرب صفين

ويبدو لنا من التأمل في تاريخ حرب صفين أن قبيلة كلب هذه قد انشطرت الى شطرين شطر قاتل مع الامام عليّ ، وآخر قاتل الى جانب معاوية ، ففي كلب قوم أصهر اليهم آل علي وآخرون أصهر اليهم معاوية ، وكان من جملة أمراء معاوية في حرب صفين « حسّان بن بحدل الكلبي » وهو على قضاعة دمشق و « عبّاد بن يزيد الكلبي » وهو على قضاعة البادية [1]

ومما يتفاخر به الأمويون أن يزيد بن معاوية كان أعرابي اللسان بدويّ اللهجة ، وايّاه أراد أبوه بقوله : « عليّ بالخطيب الأشدق » وهذه البداوة في منطق يزيد لحقته ـ فيما يبدو لنا ـ من إقامته عند أخواله في كلب بالبادية

ويستفاد على كل حال من كتب التاريخ ولاء فريق غير قليل من كلب للامويين وبيعها لغير واحد من امراء الدولة الاموية [2]

كلب تقتل والياً لمعاوية :

هو النعمان بن بشير بن سعد الانصاري ، وبشير بن سعد عقبي بدري قتلته كلب [3]

معاوية يعزل عاملاً له من كلب :

قال عوانه : استعمل معاوية رجلاً من كلب فذكروا يوماً المجوس وعبدة النار فقال : لعن الله المجوس ينكحون امهاتهم ، والله لو اعطيت مائة الف درهم ما نكحت امي فبلغ معاوية ذلك فقال قبحه الله اترونه لو زادوه فعل ذلك ؟ وعزله [4]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المجلد الاول : ص ٣٤٦

(٢) يراجع عن ذلك العقد الفريد ج ٥ ص ١٥٨ — ١٦٢

(٣) تجد قصته في امالي القالي ج ٣ ص ٨

(٤) العقد الفريد ج ٧ ص ١٧٧

حديث السفياني :

وحديث السفياني وأخباره في كتب الملاحم حديث مشهور، وانه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان يخرج من ناحية دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب ، وفي الحديث ما فيه من الدلالة على اعتزاز الأمويين بولاء هذه القبيلة ، او بولاء من يقيم منها بالشام على الأرجح ، إذ الحق ان أفخاذاً كبيرة من كلب ناوأت الأمويين وحاربتهم في صفين وانشقت عليهم بعد ذلك [1]

الشعر والشعراء :

هذا وليس عدد الشعراء الذين ينتمون إلى قبيلة كلب من جاهليين وإسلاميين بالعدد القليل حتى تهيأ لبعض المعنيين بتدوين شعر شعراء القبائل أن يضع كتاباً عنوانه « أشعار كلب » [2]

ومن تصفح معجمات الشعراء وغيرها اتضح له أن عدد الشعراء الكلبيين الذين تغنوا بجمال بلادهم واستوحوا مظاهر الطبيعة الرائعة فيها غير قليل ، وحسبنا من هؤلاء الشعراء المنتمين إلى هذه القبيلة من سماهم المرزباني في كتابه معجم الشعراء [3] ، على أننا لاحظنا قلة

---

(١) أنظر كتاب صفين لنصر بن مزاحم ط القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ ص ٢٥٥

(٢) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١١

(٣) من هؤلاء الشعراء : الأحمر بن شجاع الكلبي ، الاخنس بن نعجة الكلبي ، الادبرد الكلبي ، أربد بن ضابيء بن رجاء الكلبي ، الاغلب الكلبي ، أمرؤ القيس بن حمام الكلبي ، أمرؤ القيس بن عدي الكلبي ، حواس بن القعطل الكلبي ، حارثة بن أوس الكلبي . حارثة بن شراحيل الكلبي ، جمال بن حسل الكلبي ، حسام بن ضرار الكلبي ، حناك الكلبي ، خرقة بن شعاث الكلبي ، أبو الخطاب الكلبي ، ذو الاصبغ الكلبي العليمي ، زهير بن جناب الكلبي ، عدي بن عطيف الكلبي ، بن عرين الكلبي ، العطاف بن أبي شفقره الكلبي ، عطية بن الاسود الكلبي ، عمرو بن أسود الكلبي ، عمرو بن حجر الكلبي ، عمرو بن زيد بن المتمني الكلبي ، عمرو بن شراحيل الكلبي ، عمرو بن عبدود الكلبي ، فراس بن عبد الله الكلبي ، كلثوم بن وائل الكلبي =

عدد الفحول المجودين ممن ذكرهم المرزباني من شعراء هذه القبيلة ، وهذا لا ينفي أن تكون هناك مآخذ لشعراء آخرين من كلب ولأشعارهم أيضاً ولكنها من المآخذ المفقودة ، وزهير بن جناب الكلبي معدود بين أشهر شعرائهم وأقدمهم ، وهو سيد قومه وشاعرهم ووافدهم على الملوك ، سمي كاهناً لسداد رأيه ، كان في زمن كليب بن وائل [1] والأبيات الثلاثة الآتية من قصيدة له أوردها الطبري في أحد عشر بيتاً (٢ : ٣٩) ومثله ابن سلام في الطبقات (٣٢ — ٣٣) ويقول ابن الكلبي « ثلاثة أبيات منها حق ، والباقي باطل » وهو القائل :

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

ومن شعره السائر :

أبنيّ إن أهلك فإني قد بنيت لكم بنيه
وجعلتكم أبناء سادات زنادكم وريّه
من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه

هجاء كلب :

هجا الشاعر الاخطل قبيلة كلب ، والاخطل كما لا يخفى من تغلب [2] ولكل من جرير والفرزدق شعر في هذه القبيلة [3]

= وقد ترجم ابن دحية في كتابه الذى سماه (المطرب في اشعار اهل المغرب) لجماعة من اعلام الكلبيين في الاندلس وصقلية والمغرب واستوفى ابن حزم في كتابه جمهرة انساب العرب اخبار من اخرجتهم كلب وقضاعة من الاعلام ومنهم امرؤ القيس اوس بن جابر بن كعب بن عليم وقد تزوج الامام علي وابناه الحسن والحسين بناته انظر جمهرة انساب العرب ٤٢٧

(١) وممن ترجم لزهير بن جناب ترجمة مفصلة ابن سلام في طبقات الشعراء ص ١٣ مطبعة بريل سنة ١٩١٦

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٤ ط مكتبة الجاحظ

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٨١ طبع مطبعة بريل سنة ١٩١٦

لكل قبيلة حماها :

قال ثعلب : (الحمى » حمى « فيد » إذا كان في أشعار أسد وطيء ، فأما في أشعار كلب فهو حمى بلادهم)[1] ، ومعنى هذا ان كلباً توازي طياً وأسداً في كثرة شعرائها ، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على جودة طباعها وسعة خيالها وشبوب عواطفها

الفصاحة :

وصفت هذه القبيلة بالفصاحة ، بل هي من القبائل التي يحتج أهل العربية باقوالها شعراً ونثراً ، وكذلك كانت قضاعة ـ وكلب كما لا يخفى بطن من بطون قضاعة ـ ، وفيهم العدد والشرف كما يقول أهل الأنساب ، قال الفرّاء : أهل الحجاز وطي يقولون : فاظت نفسه بالظاء ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون : فاضت بالضاد ، مثل : فاضت دمعته

من عيوب المنطق في قضاعة :

قال معاوية يوماً من أفصح الناس فقال قائل : قومٌ ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشكة تميم ، ليس لهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير ، قال فمن هم ؟ قال : قريش[2]

نائلة الكلبية ، بلاغتها واخلاصها :

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان : هل لك في ابنة عم لي بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، اسيلة الخد ، اصيلة الرأي تتزوجها قال : نعم ، فذكرت له نائلة بنت القرافصة الكلبية فتزوجها ، وهي نصرانية وحملت اليه من بلاد كلب فلما دخلت عليه قال لها لعلك تكرهين ما ترين من شيبي قالت : والله اني لمن نسوة احب ازواجهن اليهن

---

(١) شرح ثعلب على ديوان زهير ص ٣٨

(٢) يراجع البيان والتبيين « ج ١ : ٣١ ، ١٢٣ ، ١٣٨ ، ٢٠٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٣١٠ » ج ٣ : ٣١ ، ١٢٨ »

الكهل، ويلي ذلك حوار دار بين نائلة وعثمان جاء في آخره ، اتقومين الينا ام نقوم اليك؟ قالت ما قطعت اليك ارض السماوة، واريد ان انثني عن عرض البيت، قالوا فلم تزل عنده حتى قتل وهي التي وقته بيدها فجذمت اناملها فارسل اليها معاوية يخطبها فارسلت اليه ما ترجو من امرأة جذماء ؟ ويقال ايضاً انها هشمت فاها بفهر ، وقالت والله لا قعد احد مني مقعد عثمان ابداً (١)

الرياض في ديار كلب :

ويستفاد من كتب البلدانيين ، ان الرياض كثيرة في ديار كلب ، وقد سمّى ياقوت الحموي عدداً لا يستهان به من رياض بادية السماوة ، وأهلها من كلب معززاً ذلك ببيت أو أكثر من الشواهد الشعرية لشعراء كلبيين ، ومن الرياض المذكورة : روضة الحر ، روضة الشبيكة ، روضة قبلى ، روضة الكريه ، روضة المثرى ، روضة المالح ، روضة النجود ، روضة واجد (٢)

سيطرة كلب :

وعلى الإجمال كانت لكلب سيطرتها على السماوة قبل الاسلام وبعد ذلك إلى فترة تاريخية طويلة ، والغالب ان البادية المذكورة كانت مأهولة بهذه القبيلة في العصر الذي ازدهرت فيه مملكة تدمر ، وذلك في اواسط المائة الثالثة بعد الميلاد ، وحاول بعض ملوك تدمر من العرب التقدم إلى الشرق ، وضم بعض أقطاره إلى مملكتهم ولكنهم وقفوا عند حدود البادية ، وكان خراب تدمر كما لا يخفى على يد بعض قياصرة الروم سنة ٢٧١ م

نعم كلب :

حديث مطول يستفاد منه عناية كلب بماشيتها وابلها ، واختيار بعض الحكام جوائزهم

(١) العقد الفريد ج ٧ ص ٩٩ — ١٠٠
(٢) معجم البلدان لياقوت ط المانية ج ٢ — مادة روضة —

من نعم كلب دون غيرها ، ورد هذا الحديث في امالي القالي[1] وفي العقد الفريد مع شيء من التفاوت في الزيادة والنقصان[2]

كلب بين دول العراق والشام :

هذا ومما لا شك فيه أن دول الروم والفرس قبل الاسلام استخدموا بدو السماوة في حروبهم وفي شتى أغراضهم وحالفت كل دولة من تلك الدول من كان بجوارها من هؤلاء العرب في جاهليتهم ، وكان البدو منهم مستخدمين بين دول العراق والشام كما نرى الآن بدو عنزة ، منهم التابعون للعراق ومنهم الملحقون بالشام

ومما لا شك فيه أيضاً أن طرق بادية السماوة في هذا اليوم هي طرقها القديمة التي سلكها الآشوريون والبابليون والروم والفراعنة في حروبهم وغزواتهم غرباً وشرقاً، ومنها نفذ قمبيز الفارسي إلى الشام، وبطليموس الرومي (٢٢٣ م ـ ٣٢٢) إلى العراق بطريق الجوف او تدمر ولا تخلو هـــذه البادية وخصوصاً القسم الشمالي من آثار طرق مرصوفة أنشأها الروم على الغالب بين ضواحي حمص إلى نهر الفرات ، ولا ريب كذلك أن حرس المناذرة في العراق وفي الحيرة وحرس الغساسنة في الشام كانوا يجوبون هذه البادية بين الحيرة والجوف أو بينها وبين الشام

ولنا أن نقول ان الغارات كانت سجالاً بين الغساسنة والمناذرة على حدود السماوة او في قلب هذه البادية ، وكانت لكلب في الجاهلية والاســـلام خفارة القوافل التي تسلك طرق السماوة في تلك العصور

وهذا يعني ان لمملكة المناذرة موقعها الممتاز من بلاد العرب، ولمنطقة الحيرة والكوفة خطرها في تاريخ العراق والبلاد العربية في الجاهلية والاسلام

ويستفاد ايضاً من تضاعيف كتب التاريخ والبلدان ان قوافل التجار والسفار وبريد الدول

---

(١) الأمالي ج ٣ ص ٤٤

(٢) العقد ج ١ ص ٣١٧

كانت تسلك من العراق سبل المنطقة الجنوبية قبل المنطقة الوسطى التي نسلكها الآن خصوصاً في صدر الاسلام وبعد استيلاء المسلمين على العراق والشام، فكانت القوافل تخرج من الكوفة ـ والكوفة يومئذ دار الامارة ـ الى الشام بطريق السماوة وبخفارة خفراء كلبيين ولا يخفى أنها اقصر طريق بين القطرين، ولم يكن يومئذ لبغـــداد ولا للعباسيين الذين أنشأوها وجود

دولة كلب في جزيرة صقلية :

كونت كلب دولة في جزيرة صقلية سميت « دولة الكلبيين » وكانت في أول آمرها تابعـة للدولة الفاطمية ثم انفصلت عنها، وذلك في صدر المائة الرابعة، وقد تعاقب عليها عشرة امراء ينتسبون الى كلب اولهم الحسن بن علي الكلبي حكم في الجزيرة من سـنة ٣٣٦ الى سنة ٣٤٧ وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة «مازر»، وخلفه على الجزيرة جماعة من اهله وذويه آخرهم الصمصام بن تاج الدولة، حكم من سنة ٤١٧ الى ٤٣١ وبعد ذلك استولى الافرنج على الجزيرة المذكورة، ولم يبق بيد الكلبيين منها الا بعض الحصون الى ان استخلصها منهم (رجار الفرنجي) صاحب صقلية ٤٦٤

هذا وقد راجت لاداب اللغة العربية سوق في هذا العصر من عصور صقلية، وظهر فيها كثير من الفقهاء والشعراء والمؤلفين في فنون الادب كابن القطاع الصقلي صاحب تاريخ صقلية، وابي محمد عبد الجبار بن حمديس صاحب الديوان

وحسبنا من شعراء صقلية الامير ابو محمد الكلبي الصقلي [1] وهو القائل :

---

(١) تجد في خريدة القصر (قسم شعراء المغرب والاندلس والقيروان) تراجم موجزة لجماعة من امراء صقلية والقيروان من الكلبيين وكذلك لبعض القواد والكتاب وهم كثيرون، وتجد في هذا القسم فصلاً خاصاً عقده العماد الكاتب لشعراء صقلية ،

وراجع ايضاً كتاب المطرب في أشعار أهل المغرب تأليف ابن دحية، وقد ترجم فيه لجماعة من الكلبيين وابن دحيه الكلبي هو المحدث الاديب الرحالة صاحب كتاب التنوير في مولد السراج المنير، والنبراس في خلفاء بني العباس وقد طبع هذا الكتاب في بغداد وراجع في هذا الباب دراسة ايضاً لنا عنوانها أدب « المغاربة والاندلسيين»

تقول لقد رأيت رجال نجـد ... وما أبصرت مثلك في يماني
الى كم ذا الهجوم على المنايا ... وكم هـذا التعرض للطعان
فقلت لها : سمعت بكل شيء ... ولم اسمع بكلبي جبان

كلب في خفارة طرق المواصلات :

كانت بلاد العرب قبل كشف الطرق التجارية البحرية الحديثة همزة الوصل بين الشرق والغرب ، وكانت لـكلب خفارة طرق المواصلات بين الشام والعراق والخليج الفارسي من جهة ، وبين الشام وبلاد الروم من جهة اخرى

ويستفاد من التأمل في بعض كتب التاريخ ان رؤساء كلب كانوا يفيدون من خفارة القوافل بين الشام والعراق وبين الشام وبلاد الروم الى ان تحولت حركة النقـل في هـذه الجهات من البر الى البحر ، وبطل عمـل القوافل في الاسفار البعيدة الا بين بلد وآخر قريب منه

هكذا تقلبت الاحوال بقبيلة كلب فشرّقت وغرّبت ، وبلغ من بلغ منها مدينــة القسطنطينية بسبب خفارتها للقوافل الذاهبة من الشرق اليها والى بلاد الروم ، وتيسر فيما نرى لجماعة من الـكلبيين أن يعبروا من هذه الجهات الى الاندلس بعد غلبة العرب والمسلمين على جهات من بحر الروم .

ويدعي بعض علماء طبقات الارض ان سواحل بحر الروم كانت ممتدة الى بادية السماوة ، محدودة بسلسلة الهضاب الرملية بين الجوف والديار النجدية الى الهضاب الرملية التي نطلق عليها الآن كلمة (النفوذ)

وقد أقام الروم بين دمشق وتدمر ، وبين تدمر والفرات اثنين وخمسين حصناً او قلعة بين كل مرحلة واخرى مسافة ثلاث ساعات حفظاً للأمن وتفادياً من عبث البادية

واذا بحثنا عن اسباب تقدم تدمر وبلوغها ذروة العمران في عهد سيطرة الروم عليها وجدنا لذلك سببين :

الأول — مرور القوافل واقامتها بها مدة

الثاني — شهرة التدمريين دون سواهم في قيادة القوافل في المفاوز والبوادي ، ومنها مفاوز بادية السماوة ، وكانت من اهم طرق المواصلات

وقد شبهوا هذه الحاضرة - اي تدمر - عرفأ امين على ساحل بحر البادية ترسو عندها القوافل وقد اقيمت الاعمدة والعلامات للدلالة على الطرق بين تدمر وشواطيء الفرات

رواد السماوة

خالد بن الوليد ، المتنبي ، السمعاني

١ — خالد بن الوليد :

مرّت بنا كلمة موجزة عن رحلة خالد بن الوليـد من العراق إلى الشام عن طريق بادية السماوة ، وها نحن نعود إلى استيفاء هذا البحث على قدر الامكان

لا شك أن أوّل قائد او صحابي فاتح أقدم على قطع بادية السماوة من الشرق إلى الغرب هو خالد بن الوليد المخزومي فاتح اليمامـة والحيرة في أوائل العقد الثاني من الهجرة ، وكان المسلمون المجاهدون وقائدهم أبو عبيدة بن الجرّاح في الشام بحاجة إلى نجدة عاجلة كنجدة خالد لهم ، وقـد اصبحت هذه الرحلة النادرة حديث الأجيال يتوارثها الخلف عن السلف إلى عصرنا هذا في جهات الحيرة والـكوفـة ، ولا ننسى نوادر المعمرين من مشايخنا الذين كانوا يتحدثون إلينا في مجالس النجف وأنديـة الكوفة عن أقصر طريق بين الكوفة والشام ، وانّ من يريد قطعها لا يحتاج إلى أكثر من خمسة أيّام حتى كانوا يصوّرونها لنا ايماءً الى الغرب أو الى ناحية الشام نقول: لاشك ان هذه النوادر والاحاديث الممتعة كانت تستند في أصلها إلى رحلة خالد بن الوليد هذه من الحيرة بلد المناذرة إلى الشام ثم إلى رحلات القفول التي أصبحت تتردد بين الكوفة والشام رأساً في صدر الاسلام، وعلى عهد الراشدين ، وهي طريق البادية السالكة

بين القطرين في ذلك الحين ، وعلى كل حال فان خالداً فوّز من أحد المواضع على حدود السماوة في العراق الى مواضع تقابلها في الجهة الأخرى من الشام ، ويستفاد من رجز شعري شايع صوّر قائله هذه الرحلة أنها بدأت من ماء من مياه المفازة في الشرق يسمى « قراقر » وانهت إلى ماء يسمى « سوى » في الجانب الآخر من المفازة ، وأن هذين الماءين كليهما من مياه قبيلة كلب وأن خالداً قطع المسافة بين قراقر وسوى في خمسة أيام

قبيلة طي في هذه الرحلة :

ومما أجمع عليه المؤرخون في هذه الرحلة ان خالداً اعتمد فيها على دليل يقال له « رافع الطائي » وليست هذه أول رحلة لخالد بن الوليد يعتمد فيها على خبرة دليله الطائي والواقع أنه من قدامى الأدلاء أو الخبراء بمجاهل البوادي ومياهها الذين اعتمد عليهم ابن الوليد في أوائل زحفه على اليمامة ثم على الشرق فالعراق ، كما اعتمد عليه بعد ذلك في قطع مجاهل السماوة ، وقد اشتد الاحتياج فيما نرى إلى هؤلاء الأدلاء والخبراء بطرق البوادي ومياهها خلال تدفق الجيوش الاسلامية على اليمامة والعراق ، وعلى بادية المصرين البصرة والكوفة ، وعلى بادية السماوة بعد ذلك ، ويستفاد من أخبار زحوف المسلمين على العراق أنهم عنوا اذ ذاك باتخاذ هؤلاء الادلاء او الخبراء في طرق البادية ، كما فعل المثنى ابن حارثة ، وعدي بن حاتم الطائي [(١)]

هذا وفي حاجة خالد إلى خبرة دليله رافع الطائي برهان على المخاوف التي تنطوي عليها هذه الرحلة ، وعلى أن مجاهل هذه البادية أعني بادية السماوة كانت غريبة بالنسبة إلى خالد وصحبه ، وأن مواقع المياه فيها غامضة مجهولة ، والواقع أن المياه لم تكن مجهولة فقط بل كانت مفقودة في قلب السماوة ، ولا بد للقفول المترددة في هذه البادية من التزود بكمية من الماء تسد حاجة الجيش خيلاً ورجالاً ، ومما أجمعت عليه الروايات ايضاً في رحلة السماوة أن الضرورة ـ ولا يخفى أنها تفتق الحيلة ـ قد ألجأت خالد بن

---

(١) تاريخ الطبري (١/٥٠٤)

الوليد في سبيل التزود بحاجته من الماء إلى حفظه في اكراش رواحله ، وذلك أنه طلب عشرين جزوراً سقاها الماء ، وجعل من اكراشها مزاود له ، فكان ينحر في كل مرحلة من تلك المراحل الخمس عدداً من هذه الركائب للتموّن مما في اكراشها من الماء ، إلى هذا وما إليه مما يحتمل النقاش جداً اذ أن اكراش عشرين جزوراً كما ورد في النصوص بل أضعافها ملئت ماءً لا تكفي جيشاً كجيش خالد مهما كان عدده في مدة كتلك المدة ، ومما لا شك فيه فيما نرى أن عدداً غير قليل من الفرسان والهجّانة في هذا الجيش الغازي كانت لهم مزاود ماء خاصة جرت عادتهم باتخاذها ، وإن لم تصرّح الروايات بذلك فهي لا تخلو من غموض او قصور على كل حال ، ومن رأينا إذا صححنا الروايات بحذافيرها ان حفظ خالد الماء على تلك الصورة ، وفي اكراش الرواحل ليس اكثر من مجرّد احتياط

دفع أوهام :

ولا بد لنا من القول إن سرد المؤرخين لماجريات هذه الرحلة من مبدئها في الحيرة إلى دمشق يُوهم أنها استغرقت مدة خمسة أيام فقط ، وهذا غير صحيح بل غير ممكن ، والصحيح أن المسافة المعنيّة في هذه الرحلة هي المسافة بين قراقر وسوى ، وليس بين الكوفة والشام وقد انهت الرحلة من قراقر بسوى في الجانب الآخر من الشام ، وحسبنا أن نحتكم إلى قول الراجز

فوز من قراقر إلى سوى خمساً إذا ماسارها الجيش بكى

ولا ذكر في هذ الرجز كما لا يخفى للحيرة ودمشق وهذه المسافة بين قراقر وسوى يستطيع الجيش الغازي المجد قطعها في خمسة أيام ، ويحتاج الجيش قبل ذلك للوصول إلى قراقر من الحيرة إلى مسيرة ايام اخرى ، وإلى الوصول من سوى إلى دمشق إلى مسيرة يومين على أقل تقدير كما دلت تجربتي على ذلك . فمجموع المدة التي استغرقتها الرحلة من الحيرة إلى دمشق تتراوح بين عشرة ايام الى اثني عشر يوماً ، ولا يمكن أن تكون خمسة أيام فقط ، وهذه المدة أعني اثني عشر يوماً ليست قليلة لقطع تلك المسافة من قبل الجيش المذكور ، ولا ينبغي أن تثير دهشة المؤرخين ، وموضع الدهشة في رحلة خالد هذه يكمن في قطع المفازة بجيش كبير معتمداً

على الخيل مضافاً إلى الهجن مع فقدان المناهل والمياه فيها على الغالب ، ولا غنى للخيل ولا للجيش عن كمية كبيرة من المياه في مثل هذه الرحلة

طرق شتى :

ولا بد لنا من القول ان طرق المفازة المذكورة بين العراق والشام متعـددة تختلف باختلاف مواقعها من القطرين ، فمنها ما يبدأ من اقصى الجنوب فيهما ، ومنها ما يبدأ من الوسط ومنها ما يبدأ من الشمال ، ولـكل طريق عدد معين من المراحل ، وقد ورد ذكرها مفصلاً في كتب المؤلفين في البلدان والتاريخ ، فمن تلك الطرق طريق تبدأ من بادية البصرة ، وأخرى من بادية الـكوفة ، وثالثة من بادية عين التمر ، وطريق رابعة تبدأ من الأنبار ، هذا مضافاً الى مسالك أخرى تسـلك في بادية السماوة من أعالي الفرات الى الشـام ، ويلاحظ ان أقوال المؤرخين تضاربت في تعيين أي طريق من هذه الطرق سلـكه أو فوّز منه خالد فانهم لم يتفقوا على تحديد نقطة البداية والنهاية فيها ، وإذا علمنا ان خالداً وهو في سبيل نجـدته لجيش المسلمين في الشام لامناص له من سـلوك اقصر الطرق رجحنا أنه اخذ طريق الحيرة ماراً بعيون الطف غربي النجف ، ومن هذه العيون « الرهيمة » « الرحبة » ، « القطقطانة » ، «عين صيد» ، «عين جمل» وبعدها « الحياضيّـة » ، وهي عيون معروفة في الغالب بأسمائها هذه إلى الآن خصوصاً لدى النجفيين ، بل هي على الاكثر من جملة ضياع النجفيين وأملاكهم ، ومن هناك سار خالد معرجاً على عـين التمر الى « قراقر » على الأرجح ، وهي ـ اي قراقر ـ من مياه كلب في الجانب الشرقي او العراقي من السماوة ، وهناك رواية تاريخية تشير الى أن خالداً فوز من قاعدته في الحيرة إلى « الجوف » او « وادي السرحان» وهذه الجهات كلها تعد من بلاد كلب في ذلك الحين ثم عطف على « قراقر » ومنهـا فوّز الى « سوى » وهي رواية مرجوحـــة ، والأرجح أن خالداً خرج من الحيرة الى عين التمر ثم ســار منها الى مياه قراقر ، ومن هذه المياه فوّز إلى « سوى » رأساً ، وهذا لاينفي غزو خالد « لوادي القرى » و « الجوف » وفتح « دومة الجندل » وما الى ذلك في غزاة له وقعت في غير هذا التاريخ .

رحلة المتنبي في السماوة ومقصورته في وصفها :

قام ابو الطيب المتنبي سنة ٣٥١ برحلة خطيرة من مصر الى الكوفة قطع فيها مسافات شاسعة فاخترق اولاً بادية سيناء او صحراء (التيه) ، وثانياً بادية السماوة خرج اليها من التيه ، وكان الباعث على رحلته ما ساوره من الملل والسأم وخيبة الآمال في القاهرة وفي اميرها كافور خاصة

لم يسلك ابو الطيب في رحلته هذه تلك السبل المألوفة التي تسلكها القفول ، وانما اختار طرقاً غامضة مجهولة في العادة لا يسلكها ولا يغامر فيها إلا قلة من خبراء البوادي والقفار ، او كما قال عنه احد المعنيين بسيرته « سار على الحلل والاحياء والمفاوز المجاهيل والمياه الاواجن » ولهذه العلة اختلف من اختلف اليه من هواة الاسفار والرحلات ليحفظوا عنه اسماء المنازل والمناهل في رحلته المذكورة

ويحسن بمن يعنيه الاطلاع على مفصل رحلة المتنبي هذه ان يرجع الى شروح ديوانه مطبوعة ومخطوطة ، ومنها شرح المعري ، وشرح ابن جني ثم الى ديوان الشاعر نفسه ، ففي شعر المتنبي وصف للبادية والبدو ، وهو شاعر لا يجارى في الفن المذكور هذا وفيما يلي اسماء المراحل في رحلته بين القاهرة والكوفة

اولاً — في صحراء سيناء :

نَجْهُ الطير ، الديثة ، نخل ، النقاب ، النقع وهو من بادية معن وسنبس ، تربان منزلة فيها ماء يعرف بغرندل ، حسمى ، (وصلها بعد مسيرة يوم وليلة من تربان) وهي ارض جبلية فيها جبال ملساء كثيرة العشب والنبات ، وتكون باديتها مسيرة ثلاثة ايّام في يومين يعرفها من رآها بأنها لا مثيل لها في الدنيا ، ومن جبالها جبل يقال له أرم ، تزعم اهل البادية ان فيه كروماً وصنوبراً ، وللمتنبي قصة طريفة في بادية حسمى مع بدوها ، ويقال انه اقام شهراً في حسمى ، وله فيها وفي اهلها شعر مثبت في ديوانه ، وفي مادة حسمى هذه من معجم البلدان للحموي بحث ممتع ذكر فيه موقعها وحدودها ، واورد ما قاله المتنبي عنها في الرحلة هذا ومن يتصفح معجم ياقوت يتضح له ان رحلة المتنبي ومقصورته من جملة مآخذه في البحث عن المواضع والمياه بين القاهرة والكوفة

ثانياً — في بادية السماوة :

وانتقل المتنبي من حسمى الى بادية السماوة ، واوّل مراحله « البياض » ومن البياض الى « رأس الصيوان » وانحرف منه الى دومة الجندل ، ثم المنازل الآتية ، حدر الكفاف ، البويرة بعد ثلاث ليال ، بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة

بسيطة مهلاً سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى

فظنوا النعام عليك النخيل وظنوا الصوار عليك المنارا

فامسك صحبي بأكوارهم وقد قصد الضحك فيهم وجارا

وورد « العقدة » ، وسقى بالجراوي ، واجتاز بالاضارع فبات فيها ، وسار الى « اعكش » حتى نزل الرهيمة ، ودخل الكوفة ، وفي الكوفة انشأ مقصورته وضمنها اسماء المراحل المذكورة

نبذة عن المتنبي :

ولد ابو الطيب المتنبي في الكوفة وعشيرته ـ وهي كندة ـ من اشهر عشائرها . وفي الكوفة يومئذ مجمع الأئمة والعلماء بفنون اللغة العربية ، وقد شدا ما شدا منها في فترة الشباب ، ومن الكوفة انتقل ابو الطيب الى الشام مواظباً على الدرس في كنف دولة بني حمدان دولة الشعر والأدب ، وعلى رأسها الأمير المجاهد سيف الدولة ، وفي هذا الوطن العربي الجديد جاشت قريحته وانطلقت بديهته فاستوحى احداث الدولة الحمدانية ووقائعها مع الروم من جهة ، ومع قبائل السماوة من جهة اخرى ، وكانت شمائل بني حمدان واريحيهم وعروبتهم وجهادهم واكبارهم للادب وشغفهم بالشعر ، نقول كانت من أجل مصادر الهامه في ارقى طبقة من اشعاره ، فالمتنبي اذن شاعر عربي النجار والمربى ، عربي الروح ، بل هو الى أن يكون بدوياً او اعرابياً في بعض احواله ، وفي ثورته وصرامته ، واحتقاره للترف وتنويهه بالبدو والبداوة اقرب من أن يكون شيئاً آخر

ووطّن المتنبي نفسه على تحمل الاذى والاعتقال في مناهضته لبعض اساليب الحكم

في عصره ، وقصته في خروجه من (سلمية) وهي مدينة شامية تقع على طرف بادية السماوة الى بادية كلب هناك مأثورة، ودعواه العريضة في البادية معروفة، حتى خرج اليه اميرُ حمصٍ وقاتله ، وشرّد من كان معه من كلب وغيرها من قبائل العرب ، وحُبس الرجل ثم استتيب وافرج عنه

ومما كان يتحدث به ابو الطيب الى قبائل السماوة انه خلق مشاءاً عارفاً بالفلوات وبمواقع المياه يسير سيراً لا غاية بعده من حلة الى اخرى وبينهما مسيرة خمسة ايام كأن الارض تطوى له ، واحبّ شيء الى البدو والبادية هذه الاحاديث ، واليها فيما نرى ثقة من وثق به ، وايمان من آمن بدعوته الغريبة – اذا صحّت – ، وثورة من ثار بسببها من قبائل السماوة على الاكثر

ولا يخامرنا ادنى شك بان المتنبي كان خبيراً بأمزجة البدو واهواء النفوس في البادية، ولا ينكر ذلك على من له خبرته الواسعة بطبايع الناس واسرار الحياة البشرية من جهة عامة ، وشعره من اقوى الادلة على ذلك ، وقد حاول بعضهم انكار هذا الضرب من معرفة المتنبي باحوال البادية ، ومواقع المياه والمناهل فيها وما الى ذلك، ولكنهم لم يدلوا بحجة مقنعة. وفي شعر المتنبي كما لا يخفى ما فيه من الدلالة القاطعة على شغفه بالحياة البدوية والتنويه بمزايا البادية ، ومقصورته التي وصف بها رحلته المذكورة ، وسمّى فيها تلك المنازل والمناهل معروفة ، وقد تضمنت هجاءً مراً لكافور ، وفيما يلي قطعة من هذه المقصورة :

الا كل ماشية الخيزلى	فدى كل ماشية الهيدبى [1]
وكل نجاة بُجاوية	خنوف وما بي حسن المشى
ولكنهن حبال الحياة	وكيد العداة وميط الاذى

(١) الهيذبى رويت بالذال المعجمة والدال المهملة ، وهي مشية فيها سرعة

ضربت بها « التيه » ضرب القمار	اما لهـذا واما لـذا
اذا فزعت قدمتها الجياد	وبيض السيوف وسمر القنا
فمرت « بنخل » وفي ركبها	عن العالمين وعنه غنى
وامست تخبرنا « بالنقاب »	ووادي المياه ووادي القرى
وقلنا لها « اين ارض العراق »	فقالت ونحن « بتربان » ها
وهبت « بحسمي » هبوب الدبور	مستقبلات مهبّ الصبا
روامي « الكفاف وكبدالوهاد »	وجار « البويرة » وادي الغضا
وجابت « بسيطة » جوب الرداء	بين النعام وبين المها
الى « عقدة الجوف » حتى شفت	بماء « الجراوي » بعض الصدىٰ
ولاح لها « صَوَرَ » والصباح	ولاح « الشغور » لها والضحىٰ
ومسّى الجميعي دئداؤها	وغادى « الأضارع » ثم الدنا
فيا لك ليلاً على « اعكش »	احمّ البلاد خفيّ الصوىٰ
وردنا « الرهيمة » في جوزه	وباقيه أكثر مما مضىٰ
فلما أنخنا ركزنا الرماح	بين مكارمنا والعلىٰ
وبتنا نقبل أسيافنا	ونمسحها من دماء العدىٰ
لتعلم مصر ومن بالعراق	ومن بالعواصم اني الفتىٰ

ومن محاسنه فيها :

وكل طريق اتاه الفتى	على قدر الرجل فيه الخطا
ومن جهلت نفسه قدره	رأى غيره منه ما لا يرىٰ

مغامرات المتنبي :

ولا بد لنا من القول ان سيرة المتنبي شبيهة بسيرة مغامر او مقامر ، غامر بحياته في اكثر من رحلة قام بها في البوادي الشاسعة ، ولنا ان نقول انه دوّخ بادية السماوة وجاب آفاقها ، واسهم مع الامير سيف الدولة بن حمدان في خروجه من حلب الى قتال بدو السماوة ، وهم عشائر ضخمة

وللمتنبي في وقائع سيف الدولة ببادية السماوة سنة ٣٥١ قصائد تعد من عيون شعره ذكر فيها المياه والمناهل والمنازل والخطط في القسم الشمالي من تلك البادية

ولايخفى ان ديوان ابي الطيب المتنبي نشر مراراً ، على أن طبعة الديوان سنة ١٣٦٣ هـ في القاهرة تميزت فيما تميزت به بفصول او مقدمات او مصطلحات انشأها الشاعر نفسه ، وفي هذه المقدمات تفاصيل لا توجد في مكان آخر عن بادية السماوة ، ووقائع سيف الدولة فيها وردت فيها اسماء المياه والمناهل واسماء القبائل الثائرة في بادية حلب ودمشق ، وهي غير اسماء المناهل والمياه والقبائل الواردة في مقصورته المتقدمة ، ومن ذلك ما اسماه المتنبي هناك « طف السماوة » ويستفاد من هذا ان طف السماوة أي ما اشرف منها على الريف طويل كالسماوة نفسها عتد من طفوف الكوفة وكربلاء في العراق الى طف حلب والشام، ومعنى ذلك ان المتنبي استوفى ذكر مناهل السماوة ومياهها في شعره او في رحلاته، ولم يفته ذكر ما كان منها في الجنوب أي بين البلقاء او بين دمشق والكوفة ـ كما رأيت ـ او تلك المناهل والمنازل الواقعة الى الشمال والغرب ، في بوادي حلب ودمشق وحمص وسلمية

قال في قصيدته التي اولها :

بغيرك راعياً عبث الذئاب وغيرك صارماً ثلم الضراب

منها

وتملك انفس الثقلين طراً فكيف تحوز انفسها كلاب

(ص ص)

طلبتهم على « الامواه » حتى تخوف ان تفتشه السحاب
وتسأل عنهم « الفلوات » حتى اجابك بعضها وهم الجواب
وقد خذلت ابو بكر بنيهـا وخاذلهـا قريظ والضباب
ترفق ايهـا المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب
وما جهلت اياديك « البوادي » ولكن ربما خفي الصواب
ولو غير الامير غزا كلاباً ثناه عن شموسهم ضباب

ومن ذلك قصيدته التي قالها في واقعة خطيرة ظفر فيها سيف الدولة بقبائل كثيرة ثارت عليه في بادية السماوة ، ومهّد المتنبي لهذه القصيدة بمقدمة ضافية وردت فيها جملة من اسماء المياه وركايا بادية السماوة، ومطلع القصيدة :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

منها :

برأي من انقادت «عقيل» الى الردى؟ واشمات مخلوق واسخاط خالق
فليت ابا الهيجا يرى خلف « تدمر » طوال العوالي في طوال السمالق
وسوق « علي » من معد وغيرها قبائل لا تعطي القفيّ لسائق
توهمها الاعراب سورة « مترف » تذكره البيداء ظل السرادق
فذكرهم بالماء ساعة غبّرت (سماوة كلب) في انوف الخزائق

ومما قاله ابو الطيب في هذه الوقعة التي لم يشهدها فشرحها له سيف الدولة وسأله ان يصفها :

طوال قناً ، تُطاعنُـا قصار وقطرك في ندىً ووغىً بحار
وكان بنو كلاب حيث كعب فخافوا ان يصيروا حيث صاروا
ومروا (بالجباة) يضم فيها كلا الجيشين من نقع ازار

وجاؤا «الصحصحان» بلا سروج ... وقـد سقط العمامة والخمار

وارهقت العـذارى مردفات ... واوطئت الاصيبية الصغار

وقد نزح (الغوير) فلا غوير ... و(نهيا) و(البييضة) و(الجفار)

وليس بغير «تدمر» مستغاث ... وتدمر كاسمهـا لهم دمار

اذا فاتوا الرماح تنـاولتهم ... بارماح من العطش القفار

يرون الموت قداماً وخلفاً ... فيختارون والموت اضطرار

اذا سلك «السماوة» غير هادٍ ... فقتـلاهم لعينيه منـار

ومال بها على ارك وعُرض ... واهل الرقتين لهـا مزار

واجفل بالفرات بنو نمير ... وزأرهم الذي زأروا خُوار

فهم حزق على الخابور صرعى ... بهم من شرب غيرهم خمار

السمعاني الرحالة

رحلته في طلب الحديث، زيارة العراق، السمعاني مع بدو السماوة

أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي النيسابوري مصنف كتاب الأنساب (٥٣٧ ـ ٦١٤) محدث رحالة غرّب، وشرق في طلب العلم والحديث، فمن جهة المشرق وصل الى ديار السغد والترك، وفي ضمن ذلك بلاد ما وراء النهر وسمرقند وبخارى، وزار بعد هذا خراسان عدة مرات، والري وأصفهان وبلاد الجبال، أما من جهة الغرب فإنه شد الرحال من مرو إلى العراق والموصل والجزيرة والشام طلباً للعلم والرواية ويستفاد من تصفح كتابه المعروف بالأنساب انه زار عدا بغداد والبصرة والكوفة التي قصدها ـ أعني الكوفة ـ خمس مرات، — تكريت وباجسرى [١] القريبة من بعقوبة

(١) تسمى «باجسرى» الآن «ابو جسرة».

وتلعفر والرقة والأبلّـة والانبـار متحملاً في هـذه الرحلة عن عـدد طائل من العلمـاء والمحدثين .

سلك السمعاني في سفره من بغداد إلى الشام طريق الموصل والجزيرة وحلب على أنه عاد من تلك البلاد إلى العراق بطريق ثانية هي «بادية السماوة» ، وتفصيل ذلك كما يتضح لمن يعنى بدراسة كتاب الأنساب دراسة دقيقة انه بارح دمشق آخذاً الطريق منها إلى « القريتين » ثم إلى « تدمر » ومن تدمر فوّز إلى « كبيسة » ومن كبيسة اتجه إلى الفرات في جهات هيت والرمادي والفلوجة ثم إلى « دممّا » وهي القرية العراقية او الفراتية التي خرج اليها من البادية وهو لا يصدق ـ كامثاله ـ أنه نجا بجلده من تلك المفازة

قبائل السماوة في عصر السمعاني :

خفاجة ، عبادة ، غزية ، اليسار

ويلاحظ أن السمعاني اختار التفويز إلى العراق في القسم الشمالي من المفازة ، وهو يبعد عسافة عن سمت الطريق الذي فوّز منه كاتب هذه الكلمة من ضمير فالسبع بيار إلى « الگعرة» ثم الى حوران ثم إلى ريف الفلوجة ، هذا وفي تضاعيف رحلة السمعاني هذه طرائف ممتعة عن بدو السماوة وباديها في ذلك الحين ، وعن بعض رفقائه من البدو في الرحلة ، ومنهم صاحبه او خفيره « ابو زيد الخفاجي » وقـد روى عن الخفير المذكور نبذة من أشعارهم البدوية ، ومن قبائل بادية السماوة في منتصف القرن السادس اي في عصر السمعاني قبيلة « خفاجة » و « عبادة » و « غزية » و « اليسار » ، ولا يخفي أن هـذه القبائل تقطن هذا اليوم في العراق ، نخفاجة واليسار من قبائل الحلة ، و « غزية » و « عبادة» وجمهرة خفاجة من قبائل المنتفق والبصرة ، ومعنى هذا ان كتاب الانساب للسمعاني من المآخذ التي يحسن الرجوع اليها في موضوع البحث عن حركة القبائل المذكورة في حلها وترحالها ، وعن هجرتها او اقامتها واستقرارها بين العراق وبادية السماوة .

كلب في عصر السمعاني :

ويلاحظ كذلك ان السمعاني أغفل قبيلة كلب ، مع انها القبيلة التي تضاف اليها السماوة ، ولا نظن تلك البادية كانت خالية منها في عصره وان فقدت سيطرتها وسطوتها القديمة ، ومردّ ذلك على ما أظن إلى أن عصر السمعاني هو العصر الذي بدأت فيه هجرة بعض بطون كلب من السماوة إلى الغرب او إلى ارياف الشام وشرق الأردن وفلسطين ، اوالى المنطقة الشمالية من الديار الحجازية في جهات « الوجه» و « العلا » فاننا رأينا في هذه الجهات عند وصولنا اليها بقطار الحجاز سنة ١٩٢٠ قبائل عـدة لم تضبط أصولها او أنسابها ، ومنها « الحويطات » و « الشرارات » و « هيثم » إلى غير ذلك ، وقد جوّز بعض الباحثين ان تكون في اصلها من بقايا كلب او قضاعة ، وان كانت أدلة من يرى هـذا الرأي غير قاطعة ، هذا وفي بحث السمعاني عن القبائل المذكورة فوائد طريفة نوردها على الطريقة الآتية :

خفاجة :

قال السمعاني في مادة « الخفاجي » من كتاب الأنساب ، هذه النسبة إلى « خفاجة » وهو اسم امرأة ، هكذا ذكره لي «أبو زيد الخفاجي» ولها أولاد كثر ، وهم يسكنون بنواحي الكوفة ، وكان أبو زيد يقول يركب منا على الخيـل أكثر من ثلاثين ألف فارس سوى المشـاة ، وقال السمعاني بعد ذلك : لقيت منهم — يعني من خفاجة — جماعـة وصحبتهم ، ويستفاد منه ان « خفاجة » كانت في عصر السمعاني وما اليه اي في المائة السابعة من جملة قبائل بادية السماوة والكوفة ، وفي كتب التاريخ والرحلات شواهد غير قليلة على ذلك ، ولا شك ان هذه القبيلة هجرت البادية بعـد عصر السمعاني الى ارياف الفرات واستقرت على ضفاف الانهار ، ولا يخفى أن كثرة خفاجة الآن تقيم في المنتفق أو بين الشطرة والناصرية ، وهي أفخاذ عدّة تعنى كلها بالزراعة ، ومن خفاجة فريق اخر يقيمون قرب الحلة على شاطيء الفرات ويتعاطون الزراعة كذلك ، ومن هذه القبيلة أيضاً أفخاذ متفرقة في انحاء

العراق ، هذاوا ينما وجدت خفاجة فانها القبيلة التي تحافظ على أنسابها وعلى سجاياها العربية

كبيسة :

في مادة « الكبيسي » من كتاب الأنساب للسمعاني أنها نسبة إلى « كبيسة » بلد على طرف « برية السماوة » على أربعة فراسخ من « هيت » مما يلي الفرات ، قال الرحالة المذكور نزلت بها وبت بها ليلة في منصرفي من الشام وكتبت بها عن جماعة من أهلها يعني المحدثين .

غزية . عبادة . :

قال السمعاني في مادة « الغزوي » « غزية » قبيلة كثيرة العدد ، قال لي أبو زيد الخفاجي في بادية السماوة : نحن — يعني خفاجة — أكثر خيلاً وفرساً وغزية أكثر عدداً ورجالاً وعبادة أكثر جملاً وبعيراً ، فاما غزية وظني أنهـا حوالي نجد فصحبني بدوي منهم يقال له « طعـان الغزوي » وكان خفيراً منهم في بادية السماوة ، وعلقت عنه شيئاً من الشعر

وقال السمعاني في مادة « العبادي » عبادة حي من العرب كثير عددهم نزلوا على جانب الفرات ، سمعت أبا زيد الخفاجي في « برية السماوة » ، وقلت له : أي العرب أكثر؟. فقال: نحن أكثر خيلاً ، وعبادة أكثر جملاً وغزية اكثر رجلاً ، وقال : يركب من قبيلتنا خفاجة ستون الف فارس .

دِمما ..

قال السمعاني في نسـبه : « الدميّ » ، « دممـا » بكسر الدال المهملة وفتح الميم المشدّدة هذه النسبة إلى « دممـا » وهي قرية كبيرة عند الفلوجة على الفرات دخلتها في رحلتي إلى الأنبار ، ثم دخلتها عند خروجي من السماوة ينسب اليها بعض المحدثين ، هـذا ما جاء عن « دممـا » في كتاب الأنسـاب ، ويستفاد منه أنها قريـة من القرى الواقعة بين «الرمادي» والفلوجة ، وكل هذه القرى الثلاثة اعني الأنبار ، دممـا ، الفلوجة تنزل عليها القفول القادمة من برية السماوة او الخارجة من العراق إلى البادية المذكورة حتى اليوم

قال ياقوت الحموي : « دممـا » قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة ينسب اليها جماعة من أهل الحديث .

رِحلةٌ في بادِيةِ السَّماوة

المرحلة الأولى

من دمشق الى ضمير . المطاري النجفي رواد التجارة العراقية رواد السماوة

الاربعاء ١٤ صفر سنة ١٣٣٩ ـ ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

في صباحه سافرنا من دمشق الى (ضمير) في مركبة تجرها الخيول انا وبعض الرفاق العراقيين ، وكان في تشييعنا الى ظاهر دمشق بعض الاصدقاء من الدمشقيين . وقد وصلنا الى (ضمير) بعد مسير ست ساعات وهنا كان الملتقى برجال القفول المسافرة الى العراق في بادية السماوة ، وهي المفازة التي تفصل بين مشارف الشام وارياف العراق بارحنا دمشق ـ بعد ان سلخنا فيها وفي غيرها من حواضر الشام سنة كاملة ـ وكان ذلك في فصل من اطيب الفصول ألا وهو الخريف ، والخريف هو الربيع الثاني في دمشق ، واذا قالوا لبعض حواضر العراق « أم الربيعين » ، ونعم ما قالوا ، فالاجمل ان يقولوا إن فصول السنة كلها ربيع في الشام ، والخريف أوفق الفصول للقيام بمثل هذه الرحلة على ظهور الجمال النجيبة لأن بادية السماوة لا تعتسف في فصل الصيف أو في فصل الشتاء إلا من قبل أهلها الموغلين في البداوة ، وذلك لفقدان الحلل والمنازل وكثرة المجاهل في البادية المذكورة ، وفي الفصل المذكور الذي تركنا فيه دمشق كانت الحياة تسري في تربة البلاد سريان الروح في العروق ، وكنا ونحن نسير في البلد نرى النبات ينجم على غير ساق بين قطع المرمر والرخام في أعالي الشرفات والأسوار

أو في ثنايا العقود والازاج ، ولم ر حتى الآن تربة أمرع من تربة دمشق ولا عشباً أندى ولا أكثر طراوة أو نضارة من عشب المروج الشامية ، وهكذا قل في الزروع وفي كثير من الغروس في كورة دمشق وفي الغوطة

المكاري النجفي ، رواد التجارة العراقية في الديار النجدية

وكان مكارينا ـ أي الشخص الذي اكرانا رواحله من دمشق الى بغداد ـ نجفياً اسمه (حسن هادي ادريس) من اسرة تتعاطى التجارة وقد تخلقت باخلاق الاعراب واصطنعت عادات ابناء البادية حتى اصهر آل ادريس الى نخذ من شمر وتآخى القوم مع القوم فكان لهم ما لشمر وعليهم ماعليهم وذلك بحكم النظم البدوية والعصبية القبلية ، وان شئت فقل بحكم الخلق العربي الذي اشتهر بالوفاء وحفظ الذمام، وقدعرف هذا المكاري النجفي واخوانه بمضائهم ونشاطهم وميلهم الى الكدح وحب التجارة والتمرس بالاسفار فحصلوا من هذه الناحية على ثروة لا بأس بها في تلك الأيام

ولم ينفرد آل ادريس وحدهم بهذه الخصلة من بين النجفيين فقد عرف النجفيون ببعد الهمة في الترحال والاقدام على الاغتراب وهم من ابعد الناس نجعة في المكاسب والتجارات ، شهد بذلك لهم من زارهم من الرحالين وفي مقدمهم ابن بطوطة ، وأنا اعرف أسراً من أبناء النجف تغربت عن العراق في سبيل التجارة وامتزجت بابناء نجد باديها وحاضرها وذلك بحكم الجوار و بسبب المهنة أو الاصهار الى القوم ورأيناهم يحذون حذو البدو في أزيائهم وعاداتهم ولهجاتهم وقد مضى على بعض هذه الأسر في ذلك أكثر من قرن وكان بعضهم مقربين من أمراء « الرشيد » ، ولا ينكر المنصفون من النجديين أثر هؤلاء التجار العراقيين في بلدة (حايل) وما اليها ،وذلك من النواحي العمرانية والاقتصادية ، وعلى الاجمال كان النجفيون في(حايل)وما اليها محور الحركة التجارية وكان لهم ربض خاص في حايل قاعدة الامارة وذلك قبل

اضطرارهم الى مبارحة الديار النجدية في أواخر أيام « الرشيد » بسبب جفاء بعض النجديين ، ولا شك في ان خسارة حايل كانت فادحة بسبب هذا الجلاء ، كما لا نشك في ان امراء « السعود » لا يحبذون مثل تلك المعاملة الجافية

رواد السماوة

شاهدنا على مرحلتين من عاصمة الشام اثنتين من السيارات الجديدة الثمينة غارزة في كثيب من الرمل ولم نهتد الى السبب الذي من اجله جاءت هذه السيارات المهجورة الى البادية ولم يكن استعمال السيارات معروفاً في هذا الصقع ، والغالب ان الغرض منها سبر الطريق بين العراق والشام في السماوة ، وذلك لاول مرة وكان هذا على حساب رواد هذه البادية من التجار والمستعمرين الاوربيين ، وقد افلحوا بعد ذلك كما لا يخفى في الاهتداء الى الطريق المطلوبة هذا والطريق بين ضواحي دمشق وضمير سهل منبسط على الاكثر تحده من الغرب جبال الشام ومن الشرق بادية السماوة ولم نجد في هذه الطريق أثراً لبلدة اللهم الا بلدة (دومه) الواقعة على محاذاة الطريق المذكورة من الغرب ، وتكثر في ضواحي دومه بساتين الكروم ويعدوها من قرى الغوطة ويخترق ضميراً جدول أو نهر صغير ينحدر اليها من الجبال الغربية وليس في هذه القرية بساتين ولا اشجار ، وجبالها القريبة منها جرداء ولكن السهل بينها وبين دمشق معشوشب اخضر فيه مروج ترعاها الماشية وتمرح فيها الانعام

ضمير في كتب الانساب والبلدان

قال السمعاني[١] : « الضميري » هذه النسبة إلى « ضمير » وهي قرية وحصن في آخر دمشق مما يلي أرض السماوة واياها عنى المتنبي بقوله :

---

(١) كتاب الانساب (الورقة ٣٦٢)

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا   ليحدثن لمن ودعتهم نـــدم

وقال بعض المتأخرين :

بين عـــذرى وضمير عرب   مأمن الخايف فيهم ما جنى

كلما شنت عليهم غارة   اغمـدوا البيض وسلوا الأعينا

وذكر ضميراً ياقوت قائلا : « ضمير مصغر موضع قرب دمشق قيل هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة » قال عبد الله بن قيس الرقيات :

اقفرت منهم الفراديس فالغو   طة ذات القرى وذات الظلال

فضمير فالماطـــرون فحورا   ن قفار بسابس اطلال

وهـذه المواضع كلها بدمشق ، وورد ذكرها في شـــعر للفرزدق [١] وممن ذكرها الأمير أســامة بن منقذ وقد نزل بها ســـنة ٥٣٠ في طريقه لدفع الدمشقيين عن صاحب بعلبك [٢]

ولم يشاهد ياقوت ضميراً هذه مع انه من ابناء الشام كما انه رحالة مشهور بل عوّل على نقل أقوال الرواة من علماء البلدان فيها كما يظهر من قوله (قيل هو قرية وحصن) الى آخر ما قال . هذا ولم نبت في ضمير بل بتنا في مطمأن تحيط به الجبال المجاورة للقرية من جهتها الغربية وكان ذلك مخافة اللصوص الذين لا تخلو منهم هذه الجهات ، وعلى كل حال فان ضميراً كما شاهدناها في ذلك الحين ليست أكثر من قرية بدوية صغيرة وبيوت طينية يغلب على سكانها مظاهر الفقر والاعواز

---

(١) معجم البلدان ٣ — ٤٨١ من طبعة المانية

(٢) كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ ص ١٠٠ من طبعة جامعة برنستون

المرحلة الثانية

من ضمير الى الصيقل   مال الرولا   الطريق بين المنزلين   دمشق اجمة

الخميس ١٥ صفر سنة ١٣٣٩ ـ ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

في صباحه رحلنا من ضمير وكانت قافلتنا تتألف من نحو مائتي راحلة أو ذلول موقرة بضائع وسلعاً مرسلة من تجار دمشق الى التجار في نجد والعراق. وشاهدنا الصحراء في ضواحي ضمير من ناحية الشمال وقد حشر فيها مال «الرولا» ومال القوم جمالهم. وهذا المال من الكثرة بحيث تخال لك أن سيلا دافقاً من الجمال غمر صحراء الشام، وكلها جمال صحيحة بدينة . و«الرولا» فخذ مشهور من افخاذ عنزة واميرهم نوري الشعلان ولجمال القوم وخيلهم الاصيلة شهرة في البادية وهم من اكثر بطون عنزة ماشية وجمالا وأوفرهم راغية وثاغية وكانت حلل القوم ـ جمع حلة وهي الحي النزول او الجماعة من البيوت العربية ـ بعيدة فلم نشاهدها في الطريق ولما امسى المساء نزلنا في مكان يسميه العرب (الصيقل)، والغالب انه اسم حديث أو مرتجل ولم يرد في معجم البلدان لياقوت وكنا نسير النهار كله شوطاً واحداً لا ننزل إلا للغداء في نحو ساعة أو أقل ثم نقتعد غوارب رواحلنا لمتابعة السير هذا هو ديدن القفل في هذه الرحلة . وكانت الارض معشوشبة على مسافة مرحلة من ضمير وبعد ذلك لم نر إلا الرمال والتلال القاحلة ، وقد صدق من قال ان دمشق اجمة تحيط بها الصحراء .

المرحلة الثالثة

من الصيقل الى السبع بيار   أول المفازة   قلق الركبان

الجمعة ١٦ صفر سنة ١٣٣٩ ـ ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

وصلنا مساء هذا اليوم بعد رحلة طويلة الى مكان يسمى (السبع بيار) وذلك لنبيت فيه

ومنه يستقي البدو من بئرين اثنتين هناك لا من (سبع آبار)،وقد اطلق اسم (السبع بيار) على مكان آخر غير هذا المكان. قال ياقوت[1] : « السبع ناحية في فلسطين بين بيت المقدس والكرك فيه سبع آبار ، وسمي الموضع بذلك ، وكان ملكا لعمرو بن العاص اقام به لما اعتزل الناس » وا كثر الناس يروي هذا بفتح الباء قال أبو عمرو « اتت سليمان بن عبدالملك الخلافة وهو بالسبع » قال ياقوت هكذا ضبط بفتح الباء . هذا وقد بتنا في « السبع بيار » على قلق وذلك لان المنزل مظنة لغزو الغزاة من البادية ومن هذا المكان فوّزنا (أي قطعنا مفازة لا ماء فيها مسافتها أربعة ايام) والكلمة أعني قولهم « فوزنا » بهذا المعنى عربية فصيحة يقال فوز بابله أي ركب بها المفازة . ولم نصل الى الماء إلا ضحى اليوم الخامس وهو ما يُقال له « الگعرة » بكاف فارسية ساكنة تبعاً للهجة الشائعة في البادية

المرحلة الرابعة

من السبع بيار الى المفازة الاتجاه الى الشرق

السبت ١٧ صفر سنة ١٣٣٩ ـ ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

وصلنا مساء هذا اليوم الى منزل في البرية لا ماء فيه بعد احدى عشرة ساعة بسير الابل عن (السبع بيار) وذلك بعد أن سرنا قبل طلوع الشمس ، وبعد صلاة الصبح اتجهنا في مسيرنا من المنزل السابق أي من (السبع بيار) إلى جهة الشرق تماماً وكنا نتجه في سيرنا قبل ذلك شرقاً بشمال

---

(١) معجم البلدان ٣ ـ ٤١

المرحلة الخامسة

من المفازة واليها بدو الشمال وبدو الجنوب صلاة العجمان أشهر فرسان البادية

الاحد ١٨ صفر سنة ١٣٣٩ ـ ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩٢٠

رحلنا قبيل الفجر ونزلنا عند صلاة العصر في برية لا ماء فيها وذلك في طريقنا الى ماء (الـگعرة) ولم نجد بدو الشمال أو بدو السماوة من مقيمي الصلاة وذلك على عكس اخوانهم بدو الجنوب أو بدو الديار النجدية فهم احرص ابناء الجزيرة على اقامـة الصلاة خصوصاً الصلاة الجامعة وقد رافقت مرة قافلة كبيرة من العجمان وهم قبيلة ضخمة من قبائل (الاحساء) كان أحب شيء اليهم أداء فريضة الصلاة جماعة وقد حمدنا رفقة هؤلاء العجمان وذلك في رحلة سالفة من العراق إلى قلب الجزيرة العربية وكانوا أهل فطنة وذكاء فطري عجيب قالوا لي مرة : انت اقرأ من في القافلة فعليك أن تؤمنا في الصلاة فلم يسعني إلا النزول على رغبة القوم. وكان اميرهم إذ ذاك (ضيدان بن حثلين) وهو من أشهر فرسان البادية وأنبل زعماء القبائل العربية في الجنوب على ما رأيناه

العجمان وأمراؤهم من آل حثلين

وضيدان بن حثلين هذا هو الأمير، وهو الخفير المسؤول عن قافلتنا، وهو الحارس اليقظان إذا غلب النعاس على العيون وإذا مالت الأعناق على الأكوار، فاذا انقطعت احدى الرواحل أوهامت في البرية نادانا بأعلى صوته « يا راعي الذلول الي غدب » ، يعني يا صاحب الراحلة الشاردة ، ولا يكف ضيـدان عن ندائه إلى أن تعود تلك الراحلة إلى الجادة ، فهو نموذج من نماذج الفتوة والفروسية ، وحسبنا أنه كان يمتطي في هذه الرحلة الشاقة صهوات الخيل لا غوارب الجمال ، ولا يخفى ما تحتاج اليه الخيل الأصيلة في مثل هذه الرحلات من عناية ورياضة بخلاف الجمل فالجمل كصاحبه البدوي قليل الـكلفة ضئيل المؤونة ، وكان في نية ابن حثلين أن يهدي خيوله إلى شريف مكة غير أن أمير « حايل » ، وكنا ضيوفه عند الوصول الى هذه المدينة — أقنع أمير العجمان هذا بالمكث عنده وألا يتعدى حدود نجد

في هذه الرحلة ، وهكذا أصبحت تلك الخيول الأصيلة من نصيب ابن الرشيد أمير حايل ، ويدعى هذا الأمير «سعود بن عبدالعزيز» وقد اجتمعنا به في دار امارته بحايل، وكان في مقتبل عمره إذ ذاك ثم أنه قتل بعد ذلك بمدة قليلة ، وجاءنا خبر مقتله في العراق وذلك في أواخر سنة ١٣٣٨هـ ١٩٢٠ أو بعد ذلك بقليل ، قتله قريب له من آل الرشيد يدعى « محمد بن طلال » ، وقتل القاتل على الفور ، وقد كان سعود هذا آخر أمير من هذه الأسرة « أسرة الرشيد » وبمقتله انقرضت هذه الامارة النجديّة ، أما مدينة « حايل » فإنها تقع في الوادي الذي يطل عليه جبل « أجا » ، والبلدة بالغة الجمال والنظافة ، وطراز بنائها عربي ، ويحيط بها سور ذو أبراج وبساتين كثيرة ، ولا بد لنا من القول : إن صاحبنا ضيدان بن حثلين كان كما رأيناه منهوماً بالصيد يسير في طليعة قافلتنا ، وطالما سمعنا دويّ سلاحه في تلك الأودية السحيقة ثم يعود الى القافلة بصيده ويوزع أطايب لحومه على الجماعات ، وقد ذكرت بفتوّة الأمير ابن حثلين وشغفه بالصيد قول عبد الله بن الحسن وقد سأله أبو جعفر المنصور عن سبب تخلّف ولديه قائلاً في الاعتذار عنهما : « مهومان في الصيد » أما « العجمان » فانها أخطر قبائل الجنوب جنوب الجزيرة العربية ، ويتنقلون بين بادية الأحساء و « الهفوف » و « العقير » و « البحرين » حتى « الكويت » وقد رأيناهم واجتمعنا بهم وحمدنا صحبتهم في بادية الكويت ، ولهذه القبيلة ولزعمائها آل حثلين في تاريخ نجد الحديث ذكر غير قليل ، ولها وقايع مشهورة في أطراف الجزيرة مع آل سعود ، وقد ثار العجمان على ابن سعود وقتلوا أخاه سعداً سنة ١٣٣٣ ، هذا مع أن بين العجمان وآل سعود مصاهرة ، ويعتبر العجمان أو آل حثلين أخوالاً لجماعة من آل سعود يقال لهم «العرايف» ، ومن أشهر زعماء العجمان قبل صاحبنا ضيدان « راكان بن حثلين » ، وكان راكان في فترة من الزمن حليفاً لأمراء البحرين في خلافهم مع آل سعود ومما يذكر في تاريخ نجد الحديث أن أمرأة نجدية يقال لها « بنت العجمي » قتلت قاتل أبيها وهو ابن حثلين شيخ العجمان

المرحلة السادسة

الى الولج   منازل لا أثر للحياة فيها

الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٣٩ ـ ١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا في هذا اليوم عشر ساعات وكان رواحنا على منزل يسمى (الولج) وهو مثل الشعب أو الوادي الصغير في البرية بيد أنه رملة لا أثر للحياة ولا للماء فيها ولم يذكره ياقوت وإنما ذكر (الولج والولجة) على أنها مواضع في الحجاز والعراق والمغرب [1] ، والغالب أن الولج اسم قديم لهذا المكان . قال الفيروز آبادي : الولج الطريق في الرمل

المرحلة السابعة

الرحيل من الولج   وادي صواب   وادي صويب   وادي الهري   مبيتنا فيه وادي حنيفة وعلاقته بالسماوة

الثلاثاء ٢٠ صفر سنة ١٣٣٩ — ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من الولج بعد صلاة الصبح ومررنا في طريقنا على كثير من الأودية والشعاب من جملتها وادي (صواب) و (صويب) واللفظتان على الأكثر من جملة الاعلام أو أسماء الأماكن المرتجلة عند المتأخرين من أهل البادية   والواديان المذكوران من أودية بادية السماوة ، ولا شك في أن قدماء البدو والعرب في الجاهلية وصدر الاسلام كانوا يعرفون هذه الأودية بغير هذه الاسماء . ووادي (صواب) و (صويّب) من روافد وادي حنيفة الكبير كما قيل لنا أو كما يدعي العرب في بادية السماوة ولا يوجد لهذه الأسماء ذكر في كتب البلدان المعروفة ، ومن الأودية التي عبرناها هذا اليوم وادٍ يسمى (الهري) وكان رواحنا اليه في الساعة الحادية عشرة من هذا النهار وذلك بحسب المواقيت العربية وكان مبيتنا فيه ، وليس في هذا الطريق الذي سلكناه من ضمير الى الولج أي من المرحلة الأولى

---

(١) معجم البلدان ٢ ـ ٣٥١ و ١ ـ ١٥١ و ٤ ـ ٩٣٩ من طبع المانية

الى المرحلة الســـابعة أثر ظاهر ولا جبل عال وانما هو أرض مستوية تتخللها الأوديـة والأخاديد والوهاد منها الرملية اللينة ومنها الجلدة الصلبة وكلها جافة

بحث بلداني ، وادي حنيفة وعلاقته بالسماوة

قيل لنا في البادية ان«صواب» «وصويب» من روافد وادي حنيفة وهو قول يحتاج الى اثبات لأن وادي حنيفة أو وادي اليمامة هو أكبر الأودية في الديار النجدية الجنوبية، ومجراه بين اليمن والحجاز ثم يخترق الديار النجديـة ، ويطلق على العارض وعلى اليمامة ، ومن مدنه «الرياض» قاعدة البلاد المذكورة الآن كما انه يسمى (يبرين) قرب « هجر » « والاحساء » وهو أغزر أودية نجد بالمياه ولا بد لنا من القول إن « الرياض » اسم حديث لهذه المدينة النجدية الـكبيرة ، وكانت تعرف باسم « حجر اليمامة » في عصور الجاهلية

والخلاصة : يجيء هذا الوادي من جهات اليمن ويحاذي الحجاز ثم يخترق نجداً واليمامة ويسمى هنا وادي «الرمة» في العصور القديمة ووادي «حنيفة» الى أن يصل الى «الدهناء» وإلى بوادي هجر والاحساء ، طوله مسيرة شهرين ، وتسكنه أفناء القبائل العربية

هذا ولما كانت اكثر بلاد العرب مفاوز مترامية الأطراف راق لأبنائها أن يوصلوا بين أطرافها المترامية وان يجعلوا من هذه الأودية أداة تربط بعض أجزائها ببعض ولو كان ذلك محالاً وتخريفاً في بعض الأحيان ومن ذلك زعمهم ان الدهناء وهو واد كبير عرف بهذا الاسم في نجد ، اذا مرّ في بلاد بني اسد يسمونه (منعج) ثم في غطفان فيسمونه الرمة ثم في بلاد طي فيسمونه حايل ثم يمر ببلاد كلب فيسمونه قراقر ثم يمر في بلاد تغلب فيسمونه «سوى» واذا انتهى اليهم عطف الى بلاد كلب فيصير الى النيل[1] وقد رأينا نحن الدهناء في رحلة لنا قمنا بها سنة ١٣٣٧ — ١٩١٩ وهي وادٍ عظيم جداً يقع شرقي الجبال الرملية بمسافة قليلة ومنه تدخل القوافل في الجبال الرملية المذكورة المعروفة الآن على ألسنة البدو بالنفود

(١) معجم البلدان ٢ — ٦٣٠ و ٦٣١ .

بحث في تسمية هذا الوادي

ولم يذكر لنا أحد سبب تسمية هذا الوادي (وادي حنيفة) ومن الجائز أن يكون منسوباً الى « بني حنيفة » رهط مسيلمة الكذاب ، وبنو حنيفة هؤلاء قبائل جاهلية قديمة من بكر بن وائل ومساكنهم في اليمامة وفيها قاتلهم خالد بن الوليد وقتل مسيلمة الكذاب كما هو مشروح في كتب السير والأخبار ووادي حنيفة الذي ينسب الى هذه القبائل يشطر بلاد اليمامة الى شطرين وهو مشهور بخصبه وكثرة ما فيه من المياه والمزارع والبساتين وهو الى حدود اقليم « الخرج » لبني حنيفة

المرحلة الثامنة

من الهري الى الكعره تدفق السيول البادية الممطرة المناهل والمنازل في نجد والسماوة استيفاء الأتاوة الدهامشة من بطون عنزة

الأربعاء ٢١ صفر سنة ١٣٢٩ — ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من (الهري) بعد صلاة الصبح نريد (القعرة) وبعد مسير ساعتين وصلنا الى مضيق أدانا الى وادٍ رهيب طويل تحدُّه هضاب وجبـال ذلك هو وادي (القعرة) أو (الكعرة) كما يلفظها البدو ، والقعرة في اصطلاح الاعراب مطمأن عميق بين هضاب أو كثبان مرتفعة لا يخلو أحياناً من الماء وقاطعنا في نهاية هذا المضيق واد عريض جميل، ومما زاده جمالاً تدفق السيل اليه وفيضان الماء العذب الغزير فيه، وفي ذلك دليل على هطول أمطار عظيمة في البادية وقد اضطررنا الى التلبث قليلا إلى أن تيسّر لنا ولرواحلنا العبور من بعض المجاري الضحلة في الوادي المذكور وهذا أول مشهد جميل نشهده للسيول في بادية السماوة

البادية المعطرة وأعشابها الحرة

وتكثر في وادي الـكعرة الأنبتة الذكية الرائحة المشهورة في بلاد العرب ، ومن جملتها الشيح والقيصوم ، وكان عبيرها الفياح وأريجها الذكي يعطر الأرجاء وينعش الأرواح ، وتكثر هذه الأنبتة الذكية عادة في بعض الأوديـة النجدية الجنوبية ولم نعهد مثل هذه الأعشاب ولا مثل شذاها المتضوع في بادية السماوة إلا في هذا المكان ، ولا ننسى ان قافلة لنا عبرت أحد الأودية النجدية الجنوبيـة في طريقنا الى حايل من العراق وذلك في الهزيع الأول من الليل ففاحت في البيداء عطور فاغمة منعشة، وكان في الوادي كثير من هشيم الشيح والقيصوم وغيرهما من الأعشـاب الذكية ولو لا مناسم الإبل لم يشعر المسافرون بوجود هذه الأنبتة فقامت مناسم الابل مقام الآلات في سحق ذلك الهشيم وقد حمل شذاها الينا نسيم البادية هذا ويوجد الشيح وكذلك القيصوم في بعض أودية التيه أي صحراء سـينا

المناهل والمنازل في نجد والسماوة

سرنا في ثنية الـكعرة ثلاث ساعات ثم وصلنا الى الماء الذي كنا فقدناه من (السبع بيار) وقد مضى علينا بهذا اليوم أربعة أيام كاملة في بادية السماوة وذلك بعد منزلنا في السبع بيار لم ننزل خلالها على ماء ولا شاهدنا أثراً لبئر أو قليب كما كنا نتبرّض مما حملناه معنا من ماء السبع بيار ، وكـان القلق يشتد بالقافلة يوماً بعد آخر لقلة الماء ، ولو لا اننا في فصل الخريف ننعم بنسيمه العليل في البادية لوقعنا في مأزق حرج ، فهذه المفازة يتعذر سلوكها في موسم الهواجر وأيام القيظ إلا على بعض أبنائها من البدو والأعراب ، ومن ذلك علمنا ان مواقع المياه في أواسط بادية السماوة نادرة جداً وان بين مناهلها مفاوز شاسـعة أو مجاهل لا تسلك إلا مع ذوي الخبرة من الأدلاء أو الأعراب وهذا هو شأن هذه البادية منذ

الأزل فهي بهذا تختلف الى حد ما عن بادية نجد المجاورة للسماوة من الجنوب وفيها طريق الحاج من العراق ، إذ هي ـ أعني بادية نجد ـ كثيرة المنازل متعددة المناهل في شتى الجهات

الدهامشة

ولما خرجنا من الوادي استقبل قافلتنا بعض الفرسان الأشداء من العرب النازلين على (الكعرة) وكانوا يقصدون إيصال قافلتنا إلى الماء ، ولم تكن القافلة إلا بمثابة غنيمة باردة للقوم ، وكان في وسعهم نهبها لو لا من معنا من وجهاء عنزة ولو لا مارضخناهم به من اتاوة وغمرناهم به من نحلان، وكان استقبال القوم للقافلة استقبال الواثق المطمئن من وصولنا الى حلتهم ونزولنا على حكمهم وهذا هو شأن القوم لا تخفى على البدوي خافية من أمور القوافل والطرق التي يسلكها التجار غالباً فأخبار القوافل في حلها وترحالها وفي الجهات التي تتجه اليها على طرف التمام من القوم وذلك لما لهم من عيون وأرصاد على حدود البادية أو أينما تقاطعت الطرق في داخلها وأهل البادية كأهل مكة أدرى بشعابها وبعض البدو يسايرون القافلة من بعيد أو يراقبونها إلى أن تقع في الفخ الذي نصبه لها القوم ، ولا سلطة لغير البدوي في البادية فهي ملجؤه ومأواه بل هي وما فيها ملك القوم وميراثهم الذي انتقل اليهم من الآباء والأجداد وقد جبلوا ثراها بدمائهم وأفنتهم الوقائع والحروب فيها ، هذا على مايقاسونه فيها من بؤس ونكد في الحياة وهؤلاء العرب النازلون على ماء الكعرة هم « الدهامشة » بطن معروف من أشهر بطون « العمارات » من عنزة ، أما رئيس الدهامشة فهو (جزاع بن مجلاد) وقد أخذوا على كل حمل بعير ثلاثة دنانير وأخذوا غير ذلك من السلاح والأمتعة التي حملها التجار من دمشق إلى نجد والعراق

« الرهمة والكعرة »

أمسى المساء علينا في هذا المنزل وبتنا على مقربة من حلة الشيخ جزاع بن مجلاد ، وليس في معجم البلدان ذكر لوادي الكعرة، وقد جاء في مراصد الاطلاع : أن القعراء ـ تأنيث الأقعر ـ

اسم ماء أو بقعة ، ولم يزد على ذلك[1] ويقول أبناء البادية إن الـگعرة مشتى حسن من مشاتي السماوة وأكثر من يشتي به من عنزة « الاسبعة » و« الدهامشة » ، ويقولون مثل ذلك عن « لاهة » ولاهه على مايقول ياقوت[2] : قارة بالسماوة، ولم نرها في هذه الطريق فلا بد أن تكون غير بعيدة عن الـگعرة ، ومن الجائز أن تكون « قارة لاهة والـگعرة » شيئاً واحداً، وقد نقل ياقوت في لاهة قصة غريبة عن الـكهانة حدث بها المفضل بن سلمة

المرحلة التاسعة

من حلة ابن مجلاد إلى العفايف خرافات بدوية الجن والغيلان القـارة والقعرة
الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٣٩ — ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من مضارب الدهامشـة أو من حلة ابن مجلاد في الساعة الثالثـة والنصف نهاراً ونزلنا الساعة التاسـعة بين (العفايف) و (الحلقوم) في طريق معشوشبة خضراء اما (العفـايف) فهي حزون وهضاب تقع على يمين المشـرقين الى العراق ويقول البدو ان العفايف مسكونة بالجن يسمعون غناءهم ونقرهم على الدفوف ولا يكادون يقاربونها بالنزول ، وهكذا فعلنا نحن فقد نزلنا بحيث نراها من بعيد وكان فينا رغبة في الوصول الى حزون العفايف وذلك للتأكد من دعوى البـــدو والوقوف على حقيقة زعمهم فيما يتعلق بتلك الأصوات المنبعثة من جوف الأرض ، ولـكن لم يتيسر لنا ذلك لتشاؤم القفل من مقاربتها ، ويحسن فيما نرى التنقيب في هضاب العفايف على طريقة علمية حديثة وذلك من أجل الوقوف على حقيقة ما يدعيه الأعراب في هذه الجهات هذا ونرجح ان لفظة «الـگعرة » كما يلفظها

(١) مراصد الاطلاع ٢ ـ ٤٣٦

(٢) أنظر معجم البلدان ١ ـ ١٧٨

البدو محرفة عن «القارة» ، والقارة في اللغة وفي كلام البلدانيين تعني : الأكمة ، أو الحرة وهي أرض ذات حجارة سود ، متفرقة خشنة وفي معاجم البلدان العربية وفي مقدمها معجم ياقوت الحموي بحوث عن هذه القارات

أوهام العرب

وقد أذكرني منزلنا في العفايف وخرافات أصحابنا فيها بأوهام العرب الأولين في الجن والغيلان والسعلاة ، ومن ذلك قولهم : إنهم يسمعون عزيف الجن وتغول الغيلان كما قالوا إنهم يرون الجن ويخاطبونهم ويشاهدون الغيلان وربما تزوجوها ، وكان عمرو بن يربوع على زعمهم متولداً من السعلاة والانسان ، ويدعون أن للجن غراماً أو تعلقاً ببعض حيواناتهم ، قالوا : والإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش وهي فحول جن ضربت في نعم بعضهم فنسبت اليها ، والحوش بلاد الجن من وراء « يبرين » لا يسكنها أحد من الناس و« أبرق العزّاف » وهو جبل بالدهناء سمي بذلك لأنهم يسمعون به عزيف الجن ، وفي هذا الموضوع كتب مصنفة مثل « كتاب الجن » و « كتاب أخبار الجن وأشعارهم » وكلاهما لابن الكلبي ، وكانت بعض أحيائهم في الجاهلية تعبد الجان كما كان آخرون يعتقدون ان لهم تابعاً أي خادماً أو صاحباً من الجن يتحدث اليهم فيحدثهم بالكوائن وينبئهم بما يجري في مستقبل الأيام ، وقد أبطل الاسلام هذه الأوهام السخيفة ، وللعرب في ذلك أحاديث رائعة وقصص طريفة وأشعار :

أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا سلاما

وقد علل الجاحظ أوهام العرب في هذا الباب بوحدة القوم وعزلتهم في البوادي الموحشة واتساع أخيلتهم وسذاجة حياتهم ، يضاف إلى ذلك بطالة القوم وتعذر العمل عليهم وفقدان وسائل التسلية بين ظهرانيهم ، وهو كما ترى تعليل لطيف مرجعه ـ كما يرى الجاحظ ـ الى البيئة العربية ومرده الى الفراغ العظيم في حياة البادية

هذا ولا ذكر للعفايف في كتب البلدان بهذا المعنى أما الحلقوم فهو سهل منبسط تجاه

العفايف قال الابيوردي [1]: لبن هضبـــة حمراء في بلاد بني عمرو بن كلاب باعلى الحلقوم وليس من المؤكد ان الابيوردي قصد هذا المكان فليحقق ذلك من يعنى بهذا الموضوع

المرحلة العاشرة

من العفايف الى الضايع والضويع ليلة الضويع وسائل الدفاع

الجمعة ٢٣ صفر سنة ١٣٣٩ — ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا صباحاً من المنزل المتقدم ذكره ومررنا على هضاب ثم على واد يقال له (الضايع) ثم وصلنا الى واد آخر يقال له (الضويع) والكلمتان من الأعلام المرتجلة للأماكن المذكورة وكان مبيتنا في الوادي الأخير أعني (الضويع) وقد استحوذ علينـا القلق في ليلة الضويع ولم تغمض لصحبنا عين حتى الصباح وذلك لاشتباهنا بغارة يشنها علينا جيش من البدو الغزاة ، ومن عادة القوافل التي تقطع البوادي إذا توقعت شراً أو بوغتت بغزو أن تنتظم في شكل دائرة تامة يحيط بها أحمال البضائع وبعدها الرواحل والجمال يكمن خلفها الرجال بأسلحتهم كما يكمن الجنود في خنادقهم متأهبين للطوارىء ، وهكذا فعلنا نحن في تلك الليلة وكنا نطلق النار بكثرة على أشباح وهمية ، وما أكثر الأشباح في آفاق الصحراء ولما أصبح الصباح ظهر لنا أننا كنا نطلق النار على كلب تائه أظل أهله وراح يتبع آثار القافلة

المرحلة الحادية عشرة

من الضويع الى حوران مناظر رائعة آبار السقيا بدو الصليب على الماء

شراذم الصلبة من الوادي الى البرية

السبت ٢٤ صفر سنة ١٣٣٩ — ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢

رحلنا من الضويع بعد صلاة الصبح ووصلنا الى وادي (حوران) في الساعة الخامسة

---

(١) انظر معجم البلدان ٤-٣١٩ طبع المانية .

والثلث ، والمناظر في وادي حوران رائعة جداً. وفي الوادي هضاب وجبال شاهقة تتكون من صخور سوداء أو صخور ملونة عظيمة وسرنا بعد ان استقينا وسقينا رواحلنا من مكان يسمى (محيور) وهو أعمق مكان في بطن الوادي فيه آبار عذبة وقد سبقتنا إليها جماعة من (الصليب) ولما رأوا قافلتنا تنحوا لها عن الماء بدون طلب منا، ولا تخلو بادية السماوة من شراذم «الصلبة» ، ومنهم قوم يقال لهم آل «طرفة» وكان مسيرنا من حوران بعد الظهر فأصعدنا في مضيق وعر صعب المرتقى و نفذنا منه الى برية فسيحة وفضاء طلق طابت به نفوسنا وهو مكان يسميه البدو (معيشر) وفيه كان (معشانا) كما يقول البدو أو متعشانا كما ينبغي أن يقال ويقصدون بمعشاهم المكان الذي ينزلونه لأجل تناول العشاء والمبيت فيه كما أنهم يقولون (المضحّى) بالتضعيف للمكان ينزلونه عند الضحى وكان العرب الفصحاء والمستعربون القدماء يستعملون لتأدية هذا المعنى كلمة (المغدى) و (المراح) فالمغدى منزلهم في الغداة والمراح منزلهم أو منزل ركبانهم في المساء ، وأصله من غدو الرعاة ورواحهم بماشيتهم ، وفي الآية الكريمة « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون »

المرحلة الثانية عشرة

الأحد ٢٥ صفر سنة ١٣٣٩ — ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من (معيشر) بعد صلاة الصبح ونزلنا مساء في مكان يدعى (الفريدة) يلفظها البدو بالتشديد ومررنا في منتصف الطريق على وادي (الغامق)

المرحلة الثالثة عشرة

الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٣٩ — ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا صباحاً من (الفريدة) ومررنا عند الظهر على وادٍ يسمى (اربيان) وطالعنا العصر حلة (ابن ظبيان) من (السويلمات) وهؤلاء السويلمات «والمحينان» الآتي ذكرهم فرعان من فروع الدهامشة ولكنهم مسالمون مطيعون للشيخ فهد بن هذال ثم جزناهم الى

حلة (المحينات) من القوم ونزلنا عندهم ومعنا كبيرهم (محمد الماضي) وهو من جملة رفاقنا في القافلة منذ أول خروجها من الشام وبقيت هذه الالفة والصداقة الوثيقة بيني وبين « محمد الماضي » مدة طويلة بعد الكون في العراق كان يزورني ويتفقدني من حين إلى آخر ، وكان السبب الأول والأخير في ذلك مجرد تعارفنا على بساط البادية الذهبي ، وهذه صورة جميلة من صور الوفاء عند أبناء البادية وعادة اجتماعية حميدة من عاداتهم ، ولا تكاد توجد عند غيرهم من الأقوام ، وما أكثر أصدقاء صاحبنا محمد الماضي من أبناء العراق والشام ونجد والسماوة ، وحواضر الأقطار العربية

المرحلة الرابعة عشرة

الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ١٣٢٩ — ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

في صباح هذا اليوم انقسمت قافلتنا الى فريقين فريق (عقيل) النجديين غادرونا الى الجنوب ووجهتهم الديار النجدية وبقينا نحن عند (المحينات) وفي ضيافتهم وذهبت رواحلنا الى الماء ودعينا عشاء الى بيت (غازي) أحد زعماء (المحينات) وكانت معي بندقية جيدة اشتراها النجديون ودفعنا ثمنها أجرة لخفارة القافلة من قبل هؤلاء النجديين ، وهؤلاء الخفراء يتقاضون أجوراً كبيرة لقاء خفارة القوافل في البادية ، وكان معنا خفير شمري يخفر قافلتنا من شمر وخفراء مختلفون من عنزة ، ويحق لكل فرد من أفراد القبيلة تخفير القوافل ولا يشترط أن يكون الخفير زعيماً معروفاً أو من أسرة فيها زعامة القبيلة وان كان ذلك مرغوباً فيه ، ويمنح الخفراء مكافأة غير قليلة في بادية السماوة ويبالغ القوم في اكرامهم وقد جمعنا في أول مرحلة من مراحلنا من الشام ستمائة دينار (ذهبا) لسد أجور الخفراء ثم ظهر لنا أن هذه المبالغ غير كافية ، والواقع أنها غير كثيرة أيضاً بالنظر الى قيمة البضائع وكثرة الأموال التي تحملها القافلة .

المرحلة الخامسة عشرة

٢٨ صفر سنة ١٣٢٩ — ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠

أمضينا هذا اليوم أيضاً عند (المحينان) وقد اعتذر الينا زعماء القوم عما أسموه تقصيراً في الضيافة وذلك لأن مواشيهم كانت تنتجع الكلأ في أماكن بعيدة ، وكانوا يقدمون لنا جفان الثريد أو الرز مكللة بلحوم الأرانب وقد أصبنا من هذه اللحوم ونحن لا نعرف أنها لحوم أرانب لأننا في العراق لا نستمرىء هذه المطاعم بل نعاف هذه اللحوم وكان لحم الأرانب البرية شبيهاً بلحم الفراخ كما كانت أمراقها مماثلة لامراق الدواجن المذكورة

آداب المآكل في البادية :

دعينا الى تناول طعام العشاء بعد المغرب وقد أرخى الظلام سدوله على بيوت القوم وغاب العرب المضيفون عنا ساعة ، وأطفأوا الضياء كل ذلك حرصاً على حرية أضيافهم ساعة تناول الطعام ، وهذه هي عادة قبيلة عنزة وقد توجد عند غيرهم من أحياء العرب ، وهؤلاء القوم على ما هم عليه من صعلكة وفاقة تنم ملامحهم عن شرف ونجابة وتشعر حركاتهم بنجدة وشهامة وتدل أقوالهم على حكمة وحصافة

الموقدون بليل نار بادية   لا يحضرون وفقد العز في الحضر

ومما لاحظناه أن رفاقنا من بدو وعرب كانوا يتحلقون حلقات كبيرة في كل منزل نزلنا فيه وكل حلقة منهم مغتبطة فرحة بما لديها من إعداد مأكل أو تحضير قهوة كما كانوا يقطعون شطراً من وقتهم بالتحدث عن ماجريات البادية قديمها وحديثها أو في انشاد قطع من الأشعار البدوية

حماسة أميرة بدوية :

أنشدني خفيرنا الشمري للأميرة منيرة بنت عبد العزيز الرشيد أمير حايل ترثي أباها وتذكر بعض حروبه ووقائعه ، وهو مشهور بكثرة المغازي والحروب

مرحوم صبح الاثنين ســداد	خذه ثمان سنين بس العــلام
يا ما حلا وجا من الشرق تنتين	معهن بشاير لحمود بيهن سلام
من عكب أبويا حايل ما بهــا خير	يذكر على السبعان[1] ورد الامام
يا متعب وحذرك من الربع لادنين	الـكل يبغي فتخة بها رشــام
يا متعب رح بشمر واوفوا الدين	شمر أهــل ردات يوم الزحام

وقد لفتني رفيق لي في هذه الرحلة وهو من كبار الضباط العراقيين ومن صنف أركان الحرب الى حلقة تحلّق فيها البدو وهم مغرقون في الضحك ممعنون في تعاطي النكت مغتبطون بما هم عليه ، وكان هذا شأنهم منذ رافقناهم الى أن فارقناهم ، قال لي هــذا الرفيق وهو ممن ضرسته الأحداث وحنكته التجارب تاركة في ملامحه آثاراً لا تزول : ألا يطيف الهم يوماً بقلوب أبناء البادية ، ألا يتألمون كما نتـألم ، أليس في نمط حيـاتهم ما يبعث على الفـكر أو يشغل البال عن هذا المرح والدعابة ؟ ثم أجاب الرفيق نفسه قائلاً : كلا إن الحياة عند القوم هي حياة الفطرة ، إن نمطهم في الحياة يختلف عن نمط حياتنا في بلاد الحضـارة فأبناء البادية لا يعرفون ما يعرفه أبناء الحواضر من هموم ولا يحملون ما نحمله نحن من أعبائها الثقيلة ومطالبها الـكثيرة ، وقد أصاب الرفيق فيما قال فان السكينة والهدوء صفتان لازمتان للمعيشة في البادية أما في الحاضرة فلا مَفرّ من الصخب والضوضاء

---

(١) السبعان واد أو قرية من قرى حايل ، وتلفظ كلمة السبعان في البادية على زنة شمعان على انها تضبط في كتب البلدان واللغة بفتح الاول وضم الثاني وتلفظ بصيغة التثنية التي مفردها (سبع) وما كان السبعان الذي رأيناه — وهو على قيد مرحلة واحدة من مدينة حايل شرقاً — أكثر من واد صغير قليل الماء خال من السكان ولـكنهم في البادية يقولون السبعان بلد عامر بالنخل والزرع ويعدونه من جملة قرى حايل الى الجنوب ، وقد حوصرت بلدة السبعان هـذه في زحف السعوديين على هذا الاقليم لاستخلاصه من آل الرشيد حتى اضطر اهلها الى التسليم

المرحلة السادسة عشرة

الخميس ٢٩ صفر ١٣٣٩ — ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من حذاء (المحيناب) بعد الطلوع ومررنا في الساعة السابعة على واد كبير هو وادي (الغدف) ووجدنا فيه بقايا ماء السيول فشربت الابل وأخذنا حاجتنا من «الاحساء» احتفرها البدو والغدف لغة: الخصب والنعمة والسعة وقد وجدناه والحق يقال من أخصب الأودية في بادية السماوة ولا ذكر لهذا الوادي في معجم البلدان ويقع وادي الغدف بموجب بعض المصورات الجغرافية الحديثة [1] في بادية عمان بينها وبين وادي السرحان، هذا وبين الغدفين مسافة بعيدة فلعله واد آخر وما أكثر المشتركات في أسماء اللغة العربية

وهذا الوادي يصب في مكان يدعى (الفيضة) على مسافة أربع ساعات من (الرمادي) والفيضة مزرعة للشيخ فهد بن هذال على ما قال لنا الأعراب وقد أمسى علينا المساء في البرّية بين بيوت حي من أحياء عنزة

المرحلة السابعة عشرة

الجمعة ١ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ ـ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من منزلنا امس بعد صلاة الفجر ونزلنا في الساعة الثامنة دون (الهبارية) و (السيح) منزل الشيخ فهد بن هذال وقد خفّ اليه دليل قافلتنا (محمد الماضي) ليأخذ لقافلتنا وللاحمال التي لتجار معنا جوازاً بالدخول إلى العراق، وهو أي ابن هـذال يقوم بذلك في هذه البادية نيابة عن السلطة العسكرية المحتلة في العراق، وفهد شيخ من مشايخ العمارات وهم فخذ معروف من افخاذ وايل، ووايل بطن من بطون عنزة والقوم اعني العمارات بجميع فروعهم عراقيون من حيث الجنسية وذلك من قديم الزمان، أما الدهامشة الماضي ذكرهم فهم سعوديون، وأما الرولا فهم سوريون

---

(١) شرق الاردن من العصر الروماني الى العصر الحاضر للفريق فردريك بيك

المرحلة الثامنة عشرة

السبت ٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ ـ ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

عاد الينا محمد الماضي بالجواز فسرنا صباح اليوم وصلينا العصر في واد سرنا فيه بعد الصلاة ساعتين ، ثم التجأنا مساء إلى لحف تشرف عليه هضبة عالية وهجم علينا ونحن في هذا اللحف نحو عشرة رجال من (الشاوية) وصوبوا الينا بنادقهم إلى أن وصلوا إلى منزلنا فاستقبلهم دليل القافلة (محمد الماضي) فاطلقوا علينا بعض الطلقات ثم شرعوا يفتشون عن السلاح فلم يجدوا شيئاً وأخذوا ثلاث بندقيات اعادوها الينا بعد ذلك وقد تعشى هؤلاء الشاويةوباتوا عندناوطلبوا منا الرجوع ليلا إلى ابن هذال وأبرزنا لهم ما لدينا من الجوازات.

المرحلة التاسعة عشرة

الأحد ٣ ربيع الأول سنة ١٣٢٩ ـ ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

ازعجنا الشاوية صباح هذا اليوم ونحن في اللحف وقاسينا من صلفهم ما قاسيناه هذا مع اننا نتخفر بابناء البادية من شمر وعنزة ، بيد أن لهؤلاء الشاويةدالة كبيرة على ابن هذال شيخ القبيلة فان عشائرد تمتار في مواسم معينة من اسواق المدن الفراتية بين النجف والمسيب ، ولآل هذال مزرعة في لواء كربلاء اسمها « الرزازة » والكلمة في اصطلاح البادية تعني المزرعة التي تنتج الارز أو الرز ، وقد أصر (محمد الماضي) على الرواح إلى بيوت الشاوية فذهبنا ونزلنا تجاه منازلهم وبتنا عندهم ولم يضيفونا واشترينا منهم مؤونتنا من رز وتمر واسترجعنامنهم بندقية لنا ، وكان مسيرنا هذين اليومين بل هذا الاسبوع مسير البادية تطلب الكلأ وتنتجع المراعي يوماً مشرقين وآخر مغربين وتارة إلى الجنوب وطوراً إلى الشمال استقصاء للاخبار وطلباً للمدينة الهادئة من مدن العراق ، وذلك من بعد نشوب الثورة في البلاد

الشاوية

وقد اتضح لنا بعد اختلاطنا بهؤلاء الشاوية انهم من نواحي الفرات في جهات « الهندية » ومن قبائل بني حسن في العراق ، وهم أي شاوية قضاء الهندية كشاوية ارياف الفرات الأوسط في كربلاء والمسيب والفلوجة والرمادي ينتجعون الكلأ لمواشيهم واغنامهم في بادية السماوة من قديم الزمان ويخرجون اليها بخفارة العمارات من قبائل عنزة عندما تهطل الامطار في البادية وذلك خلال فصل الخريف من كل عام ويمضي الشتاء كله على القوم في البادية ، ولا يعودون إلى أرياف العراق إلاّ في أواخر الربيع وذلك بعد تربية مواشيهم وانتاجها من غنم وشاء ، ومن ذلك قيل لهم (شاوية) أما شاوية الفرات الأدنى في اقاليم الديوانية والمنتفك والبصرة فهم ينتجعون الكلأ ويتبعون مساقط الامطار في البادية النجدية جنوب بادية السماوة وقد كان شاوية الجنوب في السنوات العشر الاخيرة عرضة لكثير من الاخطار الناجمة عن أوضاع بعض القبائل النجدية ، ونشاطها في الغزو وشن الغارات وقد منيت قبائل العراق لهذا السبب بخسائر لا تقدر في الارواح والاموال ، وهذا على عكس من يطلب النجعة من العراقيين في بادية السماوة ، ومهما كان الأمر فان ابناء الارياف العراقية القاطنين على شواطيء الفرات يستفيدون من هذه النجع البعيدة فوائد عظيمة جداً لا من حيث إنماء ثروتهم وانتاج ماشيتهم فقط بل من حيث استجمامهم واستعادة قوتهم ونشاطهم وصحتهم في ذلك الجو الهادىء المعتدل والسماء الصافية والمناخ اللطيف ، ولعل فائدتهم من هذه الناحية اعظم كل فائدة

العرف البدوي

ولا يستطيع هؤلاء الشاوية أيّاً كانوا انتجاع مراعي البادية إلاّ بخفارة قبائلها البدوية وذلك ان عنزة مثلا تعتبر السماوة ملكا لها وترى الارتفاق بمراعيها حقاً من حقوقها

وحدها ولا يجوز المرور بها الا بأذن من القوم ، وهـــذا هو العرف البدوي المعمول به بينهم وبين الشاوية ، وكثير من البدو يعيشون على «التخفير » تخفير القوافل أو تخفير الشاوية

رفيق السفر ، الرفيق قبل الطريق

وقد انتهزنا هذه الفرصة فرصة الاقامة القصيرة بجوار هؤلاء الشاوية فعمدنا إلى اصلاح بعض شأننا وازاحة ما يحتاج إلى الازاحة من عللنا واستبدال ما خلق واتّسخ من ملابسنا واماطة بعض الاذى عن ابداننا، فقد كنا والحق يقال على شيء من بذاءة الهيئة وخشونة المظاهر، بيد اننا أكثر تجملا وألطف مظهراً من احسن ابناء البادية، والواقع اننا لم نشعر مدة هذه الرحلة الشاقة بحاجة شديدة إلى الاستحمام إلا عندما قاربنا أرياف العراق واصبحنا على مراحل معدودة من أرض السواد كأن ابداننا كانت تجتزىء بحمام الشمس أو تكتفي بجفاف التربة والمناخ ، وهكذا بدأت انا اعتاد على هذا النمط من الحياة ، وأما صاحبي فقد أدركه الملل وأسرع اليه السأم من طراز الحياة البدوية الخشنة وكانت تعتريه من حين إلى آخر ثورة عنيفة على البادية وسكانها وسالكي سبلها ولا يستريح إلا اذا أفرغ ما يفيض على لسانه من صيغ النقد والتجريح، وهذه الثورة كما ترى داء لاعلاج له عندي إلا الابتسام، وهو انجع دواء تعالج به هذا النوع من أنواع السأم والفراغ في الصحراء

رياضة الصحراء

وكان أشق ما يشق على صاحبي ركوب «القعود» ـ والقعود من الإبل ما يقتعده صاحبه لقضاء حاجته ـ ولزوم القتب يوماً بعد آخر كأننا أحلاس اقتاب ، والحق أن قطع البادية على ظهور الجمال مشقة لايطيقها ابناء الحاضرة إلا نادراً أو عند ما تدعو الضرورة إلى ذلك خلافاً لأبناء البادية فان ركوب الإبل عندهم رياضة نافعة وقد جربت ذلك بنفسي في رحلة سابقة

قمت بها من العراق الى نجد ثم الى الحجاز وذلك بطريق الصحراء ، وكنت أعاني في الثلاث الأولى من مراحل السفر ما يعانيه المدنف المصاب بكل عضو من اعضائه ثم مرنت بعدها على الركوب الطويل ، بل افادني ركوب النجائب صحة ونشاطاً لاعهد لي بهما قط في العراق ، وعلى هذا يكون اقتعاد غوارب الإبل كامتطاء صهوات الجياد ضرباً من انفع ضروب الرياضة خصوصاً اذا طالت الرحلة ، وعلى كل لا اظن في مستطاع كل احد من ابناء الحاضرة ممارسة هذه الرياضة الا في مقتبل الشباب او نحو ذلك كما كنا اذ ذاك

كان ركوب الخيل والنجائب من مظاهر الفتوة والفروسية الى عهد قريب في بلاد العرب كما كانوا يتوفرون على انتاج احسن انواعها ويضبطون انسابها ضبطاً دقيقاً لذلك وقد قلت الآن عنايتهم بهذه الشؤون او زالت بالمرة في بعض الأقطار إلا لبعض الأغراض التجارية وذلك بسبب تطور فن النقل الآلي الحديث

هذا ولا بد لي من القول بان صاحبي المذكور كان من جملة ابناء العراق الذين نشأوا في الاستانة واتموا دراسهم في معاهدها العلمية العالية وحصلوا على أرقى درجاتها العلمية في الفنون العسكرية ، وكثير من أبناء العراق — كما لا يخفى — ميالون إلى تحصيل هذه الفنون ، ولما انتهت الحرب العامة الأولى استدعى صاحبنا الى دمشق وفيها أقام الى أن انقرضت دولتها الهاشمية ، وكان من ارضى اصحابي اخلاقاً وأليهم عريكة وأوسعهم ثقافة ، ومن أبعد الناس عن مساوىء الحياة العسكرية المعروفة في بعض عصور الاتراك ، كما كان نموذجاً حسناً في جمال البزة والهندام فكيف لا يتبرم وقد اضطرته البادية إلى ركوب جمالها وتوسد رمالها ، كيف لا يثور على الصحراء وقد حرمته من محاسن الحضارة وباعدت بينه وبين الحياة الناعمة في دمشق أو في ردهات الفنادق الكبرى في الشام ، ومن جملة فنادقها التي كانت تجمعني وإياه احياناً فندق (فكتوريا) وفندق (خوام) وذلك للمداولة في شؤوننا العامة من عراقية وعربية ، ولنا في هذه الفنادق الجميلة

ذكريات حميدة ، هذا علاوة على منزله اللطيف في بعض منعطفات « الصالحية » ، والصالحية هي الحي الذي اطمأن كثير من العراقيين إلى السكنى فيه في تلك العهود السالفة ، وكان عدد هؤلاء العراقيين غير قليل ، وجلهم من بغداد وبعضهم من ابناء الموصل ، ولا مناص لي من القول بان ابناء دمشق كان قد دبّ إلى نفوسهم السأم وأخذوا يستهجنون سيرة بعض شباب العراق ومآتيهم في الشام وقد استثقلوا هذا (الاحتلال العراقي) ، كما كانوا يسمونه في بعض الاحيان ، ولا أراهم إلاّ على شيء من الحق في شكواهم من بعض القوم ، وعلى كل فانها عهود سلفت وأيام خلت وما اجملها من أيام

عهد هوى كنا عهدناه يفنى اصطباري عند ذكراه
لا أنا أنساه فأسلو ولا تذكره أنت فترعاه

المرحلة العشرون

الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا صباح هذا اليوم من منزل هؤلاء الشاوية ووجهتنا (الفلوجة) وانضم الينا في أثناء الطريق اثنان من جماعة ابن هذال ومررنا في طريقنا على الشاوية والحمّارة ـ كما يحلو للبدو أن يسموهم ـ من أهل « الهندية » على شواطيء الفرات ووصلنا في الساعة السابعة إلى (البوعيسى) من (الدليم) وقد أكرمونا وأهدوا الينا بعض الأغنام ، ويقال ان أصل « البوعيسى » هؤلاء من عرب الشام وهم ربيعة وليسوا من الدليم ، وهذا القول يفتقر الى حجة قاطعة ، وكان اتجاهنا إلى الشرق عاماً هذا اليوم

المرحلة الحادية والعشرون

الثلاثاء ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من (البوعيسى) ورافقنا شيخهم (صايل) ومررنا في طريقنا على وادي الكهف

(الجهف) وعلى أودية أخرى ، وقـــد أمسى المساء علينا ونحن على مقربة من (العصيبية) فصادفنا في الطريق عرباً من الدليم مع مواشيهم من غنم ودواب

المرحلة الثانية والعشرون

الأربعاء ٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من متعشانا البارحة بعد صلاة الصبح ومررنا في الطريق على منخفضات أو وهاد كثيرة ، وهي منخفضات واسعة تكثر في الطفوف وبها تمتاز البادية الواقعة غربي الفرات ، ثم أشرفنا على (فيضة العصيبية) وهي مطمأن واسع تدفع فيه الأودية يزرعها ابن هذال على ما رواه لنا القوم وقاطعنا بعد ذلك الطريق الى الرمادي من (شفاتا) أو (عين التمر) وكان متعشانا في (عين الكبريت) في مطمأن سبخة من الأرض كثير نبات الطرفاء ، وهذا المكان يقع شمال (الرحالية) ويبعد عنها نحو ست ساعات ، وكان مبيتنا فيه

المرحلة الثالثة والعشرون

الخميس ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢

رحلنا من منزلنا السابق عند الطلوع ومررنا في طريقنا على واد يسمى (أبو فروخ) ونزلنا في الساعة السابعة في مكان يسمى (السحل) ، ومساحل الماء مسايله ، وفيه عين ماء لم أتمالك من الارتماس فيها لحاجتي الماسة إلى ذلك ، قال في معجم البلدان[1] السحيل ـ وهو في الأصل الغزل الذي لم يبرم ـ أرض الكوفة والشام كان النعمان بن المنـــذر يحمي بها العشب لنجائبه ، ويكثر في هذا المكان أعني السحل شجر الغضا ومنه الوقود المشهور في العراق والغضا هو واد في ديار نجد مررنا عليه في طريقنا إلى حايل قبل عامين يكثر فيه الشجر المذكور ، ومما قالوه في صفة الغضا أنه شجر يشبه الاثل إلا أن الأثل أكبر وأعظم

---

(١) ٣ — ٥

منه وحطبه من أجود الحطب وناره كذلك وأكثر ما ينبت في الرمال وهـكذا رأيناه في البادية ومن أبيات الشواهد التي حضرتنا في منزلنا بالغضا قول الشاعر :

فسقى الغضا والساكنيه وإنهم شبوه بين جوانحي وضلوعي

المرحلة الرابعة والعشرون

الجمعة ٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

رحلنا من السحل بعد صلاة الصبح وطالعنا بعد ثلاث ساعات سواد الفرات ومناظر الوادي الحبيب وذلك من جهة الفلوجة ونزلنا بعد ساعتين على حلّة الشيخ (هراط البني) من مشايخ الدليم ، وعلى مقربة من نهايـة سقي الفرات أو من السواد في تلك الناحية يقوم كثيبان عظيمان من الرمل من بينهما تسلك القوافل ولسـان حالها يقـول ها نحن (مفتاح الصحراء) أو (مفتاح السماوة) سماوة كلب ، وكان مبيتنا في مضارب شيخ الدليم المذكور وهو من العرب الأجواد

المرحلة الخامسة والعشرون

السبت ٩ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠

سرنا من مضارب الشيخ (هراط) عند الطلوع وقد كنا مللنا الركوب المتواصل أكثر من ثلاثـة أسابيع وتقنا الى رياضة أبداننا بالمشي فسرنا مشياً على الأقدام ووصلنـا الفلوجة بعد ساعتين وأمضينا بقية نهارنا فيها ، وكان مبيتنا أيضاً في الفلوجة

المرحلة السادسة والعشرون

الأحد ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٩ — ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠

خرجنا من الفلوجة في طريقنا الى بغداد على مركبة يجرها جوادان ، وكان أثر الحرب

بين القبائل العراقية والبريطانيين ظاهراً على طول الطريق ، وقد شــاهدنا خنادق القوم ومعاقلهم محاطة بالحواجز من اسـلاك شائـكة وأكياس لا تحصى من الرمال ، وقد وصلنا بغداد في الساعة العاشرة حسب التوقيت العربي ومعنى ذلك اننا قطعنا المسافة بين الفلوجة وبغداد في نحو عشر ساعات ، ونحن نقطعها الآن في ساعة واحدة بالسيارة وبقينا متنكرين في عاصمة الرشيد عدة أيام لم يشعر بوجودنا الاخوان والأهل والأصحاب لأمر اقتضته المصلحة أما صاحبي فقد بادر فور وصوله الى بغداد الى حانوت أحد المصورين وطلب اليه التقاط صورته بزيه البدوي الغريب ولحيته الكثة ، وكانت في الواقع لحية هائلة لا يقل عمرها عن عمر هذه الرحلة الطويلة ، وقد أخبرني أن المصور استنكر هيأته وظن به الظنون ، وأخيراً التقط له تلك الصورة الغريبة وهي من الصور التي نحتفظ بها تذكاراً لتلك الرحلة السعيدة

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المســافر

محمد رضا الشبيبي

مراحل السفر فی السماوة على الهجين

				الساعة غروبية	
٢٧	تشرين الأول	١٩٢٠	تحركنا من الشام	٢	صباحاً
٢٧	«	«	وصلنا « ضمير »	٥ر٨	مساء
٢٨	«	«	من ضمير	١	صباحاً
٢٨	«	«	وصلنا « الصيقل »	١٠	مساء ، وهي أرض قفر
٢٩	«	«	من الصيقل		قبل طلوع الشمس بساعة
٢٩	«	«	وصلنا« السبع بيار »	٤٥ر١٠	مساء
٣٠	«	«	من السبع بيار	٤٥ر١١	صباحاً ، الساعة ٤٥ر٢ وجد سيارة محطمة
			وضعنا الرحال	٣٠ر١٠	
٣١	«	«	تحركنا	٢٠ر١١	صباحاًالساعة٨مررنا بين جبلين
			وضعنا الرحال	٢٠ر٩	مساء
١	تشرين الثاني		تحركنا	١٢	صباحا
١	«	«	نزلنا في « الولج »	١٠	مساء ، وهي أرض قفر
٢	«	«	تحركنا	٣٠ر١٢	صباحا
٢	«	«	وصلنا«صويب »	٣٠ر٤	
			نزلنا في« الهري »	٢٠ر١١	مساء
٣	«	«	تحركنا	١٥ر١٢	صباحا

				الساعة غروبية	
٣	تشرين الثاني		نزلنا آبار « الـگمره » ـ الملص ـ	٦	ظهراً قرب عرب عنزه ، وهم يتحدثون عن مصير الثورة العراقية وانفضاض الثوار
٤	»	»	من الـگمره	٣ر١٥	صباحاً تأخرنا بسبب مطالب ابن مجلاد من القافلة ، وابن مجلاد رئيس فخذ من افخاذ عنزه يقال لهم « الدهامشة »
			نزلنا	٩	مساء قرب العفايف في الجنوب يوجد تحت الجبل بئر يقال لها الغري
٥	»	»	تحركنا	١٢ر٢٠	صباحا
			صعدنا هضبة	٦ر٤٥	
			قطعنا وادي الضايع	٩	
			نزلنا	١٠	مساء وبتنا في قلق خوف الغزو
٦	»	» ١٣٤٨	تحركنا	١٢ر٢٠	وتأهبنا للدفاع الى ان اتضح لنا بعد منتصف الليل اننا في مأمن من الغزاة
				٤	مررنا بين مجموعتين من الأحجار « رجمين » وارتاب القفل من نباح بعض الكلاب السائبة وراء القافلة من بعيد
٦	»	»	وصلنا وادي حوران	٤ر٢٠	

		الساعة غروبية	
		٥ر١٥	نزلنا « محيور » وهي آبار في قلب الوادي المذكور ، شاهدنا بعض افراد « الصليب » يستقون منها ، وسرعان ما تركوا الماء للقافلة
	نزلنـا « معيشر »	١٠ر٣٠	
٧ تشرين الثاني	تحركنا من معيشر	١٢ر٢٥	فارق القافلة شمالاً من رام الذهاب الى الكبيسة أما نحن فواصلنا سيرنا الى الفلوجة ومررنا في طريقنا اليها على بيوت من « شاوية الدليم »

الأحنف بن قيس التميمي

فاتح قاشان [1] وخراسان [2]

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب

« هو سيد أهل المشرق ، المسمى بغير اسمه »

« عمر بن الخطاب »

نسبه وأهله

هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي [3] ، واسمه الضحاك وقيل : صخر [4] وأمه حبة بنت عمرو بن قرط الباهلية [5] كان أخوها الأخطل

(١) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع (قم) ، وبين قاشان وقم اثنا عشر فرسخاً ، أنظر معجم البلدان (٧/١٣) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٢)

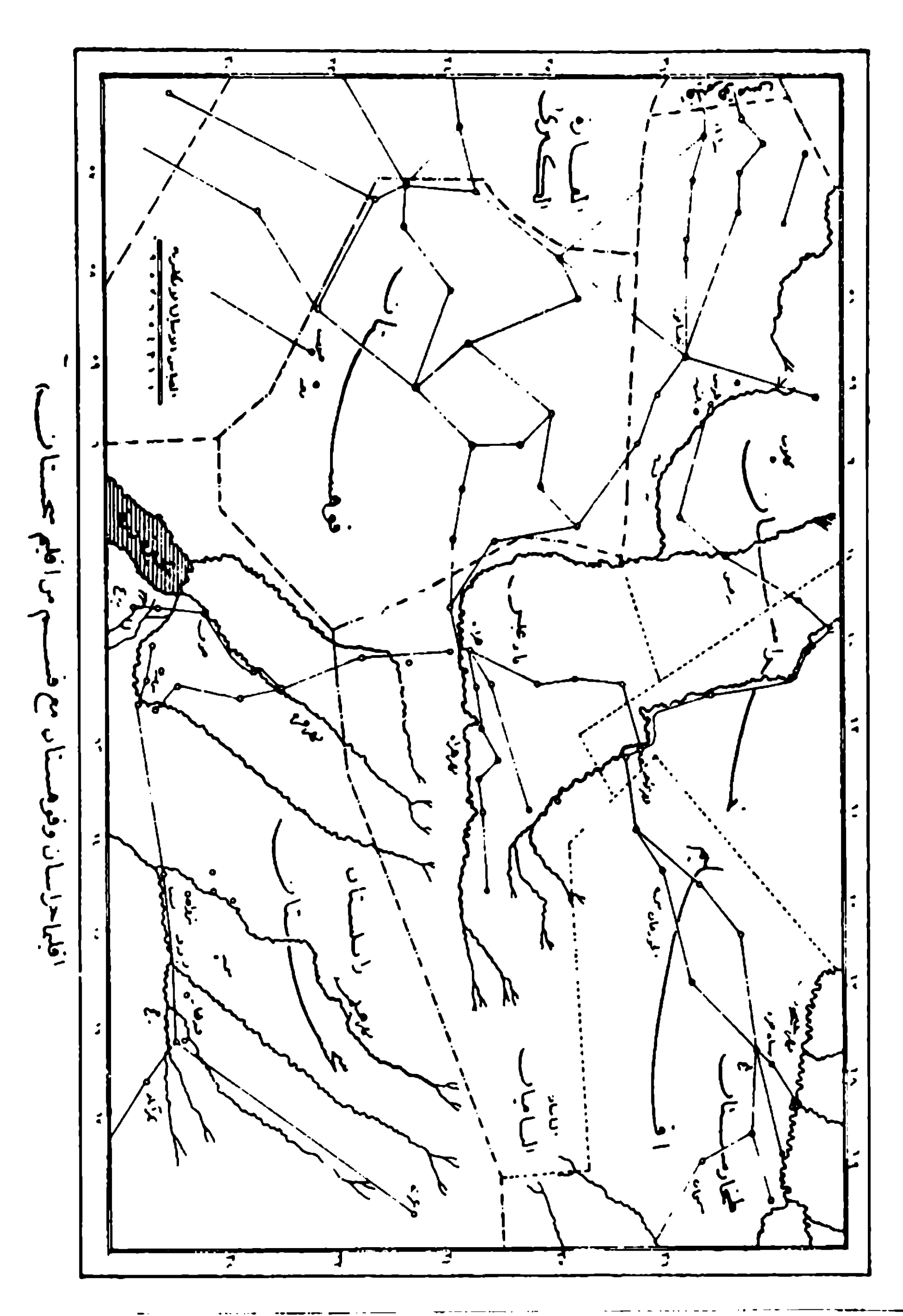
(٢) خراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق العجمي من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق ، وتقع كرمان وسجستان الى جنوبها ، وتمتد في الشمال الى أقصى تخوم ايران من أمهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبلخ أنظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٤٥ — ١٦٠) ومعجم البلدان (٣/٤٠٧)

(٣) جمهرة أنساب العرب ص (٢٠٩) وطبقات ابن سعد (٧/٩٣)

(٤) أسد الغابة (١/٥٥) والاصابة (١/١٠٣) والاستيعاب (٢/٧١٥)

(٥) الاصابة (١/١٠٣) ، وفي المعارف ص (٤٢٣) إن أمه هي : حبي بنت عمرو بن ثعلبة من بني أود من باهله ، ويقال : حبي بنت قرط

ابن قُرط من الشجعان ، وقد قال الأحنف مفاخراً بخاله هذا : « ومن له خال مثل خالي ؟ ! » [1] .



اقليم خراسان وقوهستان مع قسم من اقليم سجستان

(١) المعارف ص (٤٢٣) وجمهرة أنساب العرب ص (٢١٢)

وكان أبو الأحنف يكنى : أبا مالك ، قتله بنو مازن في الجاهلية [1] ، أما جدّه معاوية ابن حُصين فقد قتله الفارس المشهور عنترة بن شداد العبسي [2]

وعم الأحنف يقال له : المتشمس بن معاوية يفضل على الأحنف في حلمه ، وعم الأحنف الأصغر هو صعصعة بن معاوية كان سيد بني تميم في خلافة معاوية بن أبي سفيان [3]

وكان للأحنف ولد يقال له : بحر ، وبه يكنى ، وقد مات وانقطع عقبه [4] ، لذلك لا عقب للأحنف [5]

لقد ورث الأحنف الشجاعة والحلم عن آبائه وأخواله فيما ورثه عنهم من مزايا وخلال .

إسلامه

أدرك الأحنفُ النبي ﷺ ولم يره [6] ، وقد أسلم على عهد النبي ﷺ كما أسلم قومه باشارته [7] ، فقد بعث النبي ﷺ رجلا من بني ليث إلى بني سعد رهط الأحنف ، فجعل يعرض عليهم الإسلام ، فقال الأحنف : « إنه يدعو الى خير ويأمر بخير [8] » وفي رواية أن الأحنف قال لقومه : « إنه ليدعوكم إلى الاسلام وإلى مكارم الأخلاق ، وينها كم عن ملائمها » ، فأسلموا وأسلم الأحنف [9] ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « اللهم اغفر للأحنف » ،

---

(١) المعارف ص (٤٢٣)

(٢) وفيات الأعيان (١٩١/٢)

(٣) المعارف ص (٤٢٥)

(٤) وفيات الأعيان (١٩١/٢)

(٥) المعارف ص (٤٢٥)

(٦) أسد الغابة (٥٥/١) والاستيعاب (٧١٥/٢ — ٧١٦)

(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧٨/١)

(٨) أنظر تهذيب ابن عساكر (١٠/٧)

(٩) المعارف ص (٤٢٣) ووفيات الأعيان (١٨٦/٢)

فكان الأحنف بعد ذلك يقول : « فما شيء أرجى عنـدي من ذلك [1] ، » كما دعا له حين قدم عليه وفد تميم فذكروه له [2] .

كان الأحنف يقول : « بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان ، إذ لقيني رجل من بني ليث فأخذ بيدي ، فقال : ألا أبشّرك ؟ قلت : بلى : فقال : تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد ، فجعلت أعرض عليهم الاسلام وأدعوهم اليه ، فقلت أنت : إنك لتدعو الى خير ، وما أسمع إلا حسنا قال : فاني ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : اللهم اغفر للأحنف [3] »

ولم يفد الأحنف على النبي ﷺ ، ولـكنه وفـد على عمر بن الخطاب [4] ، فقال رجل من المهاجرين : « يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا - يعني الأحنف - الذي كف عنا بني مُرّة حين بعثنا رسول الله ﷺ في صدقاتهم ، وقد كانوا هموا بنا [5] » ، وهذا موقف مشرف للأحنف في الدفاع عن الإسلام ودعاته

وقد ثبت الأحنف على إسلامه حين ارتدّ قومه بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، وقـد أتى هو وعمه المتشمس بن معاوية مُسيلمة الـكذاب ليسمعا منه ، فلما خرجا قال الأحنف : « كيف تراه ؟ ! » ، فقال : « أراه كذاباً » [6] ولا أشك أن ثباته على

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ١٠ وطبقات ابن سعد (٧/٩٣ — ٩٤) وأسد الغابة (١/٥٥) والاصابة (١/١٠٣)

(٢) الاستيعاب (٢/٧١٥ — ٧١٦)

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨)

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨)

(٥) ذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٠)

(٦) المعارف ص (٤٢٤)

عقيدته في أيام الردة ـ وهي أيام المحنة الكبرى لتلك العقيدة ، كان ذا تأثير حاسم على قومه وعلى صمود كثير من تميم على الإسلام أمام تيار الردة الجارف ، مما سهّل على المسلمين القضاء على فتنة المرتدين وإعادة وحدة شبه الجزيرة العربية إلى ما كانت عليه أيام الرسول الكريم

جهاده

١ ـ قبل الفتح

طوّق الفرس قوات العلاء بن الحضرمي في (الأهواز) ، فتحرّج موقف المسلمين هناك تحرّجاً شديداً ، فأرسل عمر بن الخطاب إلى عُتبة بن غزوان يأمره بأنفاذ جيش كثيف إلى فارس لانقاذ جيش العلاء بن الحضرمي ، فأرسل عتبة جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو التميمي وعَرْفَجة بن هرثمة البارقي والأحنف بن قيس عليهم أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، فأنقذ هذا الجيش قوات العلاء بن الحضرمي وعاد الى البصرة(١)

ولما تولى أبو موسى الأشعري البصرة ، أوفد الأحنف مع بعض رجالات البصرة إلى عمر بن الخطاب فاحتبسه حولاً كاملاً ، ثم قال له : « هل تدري لِمَ حبستك ؟ إن رسول الله ﷺ خوّفنا كل منافق عليم ، ولستَ منهم إن شاء الله » قال الأحنف : « قدمت على عمر ابن الخطاب فاحتبسني عنده حولاً فقال : يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيراً ، ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، فانا كنا نتحدث ، إنما هَلكَ هذه الأمة كل منافق عليم » ، وكتب عمر إلى أبي موسى : « أما بعد فادن الأحنف وشاوره واسمع منه(٢) » ، فشهد مع أبي موسى الأشعري الذي كان على أهل

---

(١) الطبري (٣/١٧٨) وابن الأثير (٢/٢٠٨ — ٢٠٩)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) وانظر تاريخ عمر بن الخطاب — لابن الجوزي — ص (٨٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١) وذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٥) وفي ابن الأثير (٢/٢١٠) : أن عتبة بن غزوان الذي كان أول أمير على البصرة هو الذي أوفد الأحنف الى عمر بن الخطاب

البصرة فتح (تُستَر [١]) وقدم على عمر بفتحها [٢] ، حيث أرسله أبو سبرة بن أبي رهم الذي كان القائد العام إلى عمر بن الخطاب مع أنس بن مالك وأرسل معهما (الهرمزان) ، فسأل عمر الوفد قائلا : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم » ، وكان يشير إلى انتقاض الهرمزان بعد صلحه مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وإن ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس » فقال عمر : « صدقتني والله » وأذن في الانسياح في بلاد فارس [٣]

٢ ـ الفاتح

عرف عمرُ الأحنفَ معرفة شخصية ، فرأى منه عقلاً وديناً [٤] ، كما برز مجاهداً في ميدان القتال ، لذلك دفع له لواء (خُراسَان) حين أذن في الانسياح في بلاد فارس سنة سبع عشرة للهجرة [٥]

وشهد الأحنف قبل أن يتوجه لفتح (خراسان) فتح (نهاوند) مع أهل البصرة الذين جاءوا مدداً وعليهم أبو موسى الأشعري [٦] ، فلما انصرف أبو موسى من نهاوند

---

(١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهو تعريب : شوشتر أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٨٦) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٧٠)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/ ١) وذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤)

(٣) الطبري (٣/١٨٤ — ١٨٥) وابن الأثير (٢/٢١٣)

(٤) أسد الغابة (١/٥٥)

(٥) الطبري (٣/١٨٩) وابن الأثير (٢/٢١٤) ومعجم البلدان (٣/٤٠٩)

(٦) ابن الأثير (٣/٦)

وفتح (قُمْ [1]) ، وجه الأحنف إلى (قاشان) ففتحها عنوة ثم لحق بأبي موسى الأشعري [2]

وبعد أن أنجز الأحنف كافة متطلبات قواته للقتال وأكمل تحشّدها ، سار لفتح (خراسان) سنة ثماني عشرة للهجرة وفي قول بعضهم سنة اثنتين وعشرين للهجرة [3]

لقد التجأ (يزدجرد) بعد هزيمة الفرس في معركة (جلولاء) إلى (الري) ثم قصد (أصبهان) ثم منها إلى (كرمان) ، ثم قصد (خراسان) ، فأتى (مرو [4]) فنزلها وبنى بها بيتاً للنار ، فدان له من فيها من الفرس ، فكاتب (الهرمزان) وأثار أهل فارس وأهل الجبال ، فنكثوا العهد ، فلما قضى المسلمون على مقاومات الفرس في تلك المناطق ، جاء دور (خراسان) ، فسار الأحنف على رأس جيشه حتى دخل (خراسان) من (الطَّبَسين [5]) فافتتح (هَرَاة [6]) عنوة واستخلف عليها ، وسار نحو (مرو الشاهجان [7]) ، فكتب

---

(١) قم : مدينة تذكر مع قشان ، وهي مدينة مستحدثة إسلامية أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٥٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٤٢)

(٢) البلاذري ص (٣١٠) وجمع فتوح الاسلام — ملحق بجوامع السيرة لابن حزم — ص (٣٤٦)

(٣) الطبري (٣/٢٤٤) وابن الأثير (٣/١٣)

(٤) مرو : أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيراً ويوجد (مروان) تثنية مرو : مرو الشاهجان ومرو الروذ أنظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٤٧) ومعجم البلدان (٨/٣٠) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٦)

(٥) طبس : مدينة في برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان وهما : طبسان : طبس كيلكي وطبس مسينان ويقال لهما : الطبسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٦)

(٦) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٥١) والمسالك والممالك ص (١٤٩)

(٧) مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٣)

(يزدجرد) وهو في (مَرْو الرُّوذ [١]) إلى خاقان ملك الترك وإلى ملك (الصُّغْد [٢]) وإلى ملك الصين يستمدهم

وخرج الأحنف من مرو الشاهجان بعد أن وصلته إمدادات أهل الكوفة ، فسار نحو (مرو الروذ) فلما سمع (يزدجرد) سار عنها إلى (بَلْخ [٣]) ونزل الأحنف (مرو الروذ) ، وقدم أهل الكوفة إلى (بلخ) وأتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة بيزدجرد في (بلخ) فهزموه ، فما لحق الأحنف بأهل الكوفة إلا وقد فتح الله عليهم

وتتابع أهل (خراسان) ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين (نَيْسَابور [٤]) إلى (طَخارسْتان [٥]) ممن كان في مملكة كسرى ، أما الأحنف فعاد إلى (مرو الروذ) فنزلها واستخلف على (طخارستان) ربعي بن عامر التميمي [٦]

---

(١) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام ، وهي صغيرة بالنسبة الى مرو الأخرى راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢) والمسالك والممالك ص (١٥٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٥)

(٢) الصغد : ولاية كبيرة قصبتها سمرقند أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٢) والمسالك والممالك ص (١٧٧ — ١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٤٣)

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٦٣) والمسالك والممالك ص (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٢١)

(٤) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٥٦) والمسالك والممالك ص (١٤٥) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧٣)

(٥) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، وهي طخارستان العليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون ، وطخارستان السفلى غربي جيحون أيضاً إلا أنها أبعد من بلخ

أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١) والمسالك والممالك ص (١٥٦)

(٦) ربعي بن عامر التميمي : صحابي جليل كان عمر بن الخطاب أمد به المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان من أشراف العرب ، وكان على مجنبة هاشم بن عتبة عند عودة جيش العراق من أرض الشام بعد اليرموك ، كما شهد (نهاوند) ، وولاه الأحنف طخارستان راجع الاصابة (٢/١٩٤) .

وكتب الأحنف إلى عمر بن الخطاب بفتح (خراسان) ، فقال عمر عن الأحنف : « هو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه » ولكن عمر قال : « لوددت أني لم أكن بعثت إلى خراسان جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار » ، وخشي أن يتقدم الأحنف بجنوده إلى ما وراء خراسان من أرض الشرق ، كما خشي أن تأخذ المسلمين نشوة الظفر فيتغلغلوا شرقاً ، فكتب إلى الأحنف يقول : « أما بعد ، فلا تجوزنّ النهر واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به يَدُم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتنفضّوا ! »

لقد كان لهذا الحذر من جانب عمر ما يسوّغه ، فقد اتسعت رقعة الفتح في الشرق فتناولت أرض فارس كلها ، وقد طالت خطوط مواصلات المسلمين كثيراً وتوزعت قواتهم في أرجاء الشام والعراق وفارس ؛ وقد دلت الحوادث من بعدُ ، أن عمر كان حصيف الرأي بعيد النظر ، فقد سار خاقان الترك في جنده ويزدجرد معه ، فعبروا النهر الى (بلخ) واضطروا جند الكوفة أن يتراجعوا منها إلى (مرو الروذ) ، ومن (بلخ) تقدمت قوات خاقان وحلفائه باتجاه الأحنف في (مرو الروذ) ، وكان الأحنف قد خرج بقواته ليلاً من المدينة وعسكر خارجها ، وفي الصباح جمع الناس وقال لهم : « إنكم قليل وإن عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ارتحلوا من مكانكم هذا ، فاسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوهم من وجه واحد [1] » ؛ وكانت قوة الأحنف تقدر بعشرين ألفاً :

---

(١) في الطبري (٣/٢٤٦) وابن الأثير (٣/١٤) : وخرج الأحنف ليلاً يتسمع ، هل يسمع برأي فينتفع به ، فمر برجلين ينقيان علفاً : إما تبناً أو شعيراً ، وأحدهما يقول لصاحبه : لو أن الأمير أسندنا الى هذا الجبل ، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً ، وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجه واحد ، رجون أن ينصرنا الله فرجع الأحنف وعمل بهذه الفكرة الصائبة

عشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة آلاف من أهل البصرة

وأقبل الترك ، فكانوا يناوشون المسلمين نهاراً ويتنحّون عنهم ليلاً ، فخرج الأحنف بنفسه ليلةً طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من معسكر خاقان الترك ، فلما تنفّس الصبح خرج فارسٌ من الترك بطوقه وضرب بطبله ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف وهو يقول :

إنّ على كل رئيس حقّاً أن يخضب الصَّعْدَة أو تَندقا

إنّ لنا شيخاً بها مُلَقّى سيف أبي حفص الذي تَبقّى [1]

وخرج فارس تركي ثان ، فأورده الأحنف حتفه بطعنة نجلاء وهو يرتجز :

إنّ الرئيس يَرْتبي ويَطْلُعُ ويمنع الخُلاءَ إما أرْبَعوا [2]

وخرج فارس تركي ثالث ، فأورده الأحنف مورد صاحبيه وهو يرتجز :

جُرْي الشموس ناجزاً بناجز محتفلاً في جَرْيه مُشَارِزِ [3]

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره وأعد رجاله للقتال ، ولكن الترك آثروا العودة إلى ديارهم ، لأن مقامهم طال دون جدوى ، ولأنهم تكبّدوا خسائر فادحة بالأرواح ، ولأن أملهم بالنصر كان ضعيفاً ، ولأنهم اطمأنوا إلى أن المسلمين لن يعبروا اليهم النهر تنفيذاً لأمر الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) الصعدة : الرمح أو آلة جارحة أصغر من الحربة ملقى : طريح ويقصد به الشهيد والمعنى : واجب كل أمير أن يقاتل حتى يدمى رمحه أو يتحطم من شدة القتال ، ثم يتذكر الشهيد أبا حفص الثاوي هناك أنظر تاج العروس (٢/٢٩٨)

(٢) يرتبي : يصعد الرابية الخلاء : جمع خلي ، وتميم تقول خلا فلان على اللبن واللحم إذا لم يأكل معه شيئاً ولا خلط به ربع بالمكان : أقام يريد : إن واجب الرئيس أن يتحمل عبء الدفاع عن رجاله وحمايتهم

(٣) الشموس الفرس تمنع ظهرها مشــارز : الشدة والصعوبة والقوة يعني : انه يزج نفسه بالحرب بقوة واندفاع كما تندفع الفرس الشموس لا تلوي على شيء في جريها القوي الشديد .

وكان يزدجرد حين أنسحب جند الكوفة من (بلخ) وانضموا الى الأحنف بمرو الروذ قد فصل في قوة فارسية من (بلخ) الى (مرو الشاهجان) ، فحصر المسلمين بها واستخرج خزائنه من موضعها

وعلم يزدجرد بانسحاب خاقان الى (بلخ) وعزمه على الانسحاب من فارس كلها الى بلاده ، فأراد أن يحمل خزائنه ويلحق بخاقان حليفه ، فقال له أهل فارس : أي شيء تريد أن تصنع ؟! فقال : « أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين » ، فقالوا : مهلاً ! إن هذا رأى سوء ، فأنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ، ولكن أرجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم يلون بلادنا ، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ، ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم !!.. فأبى عليهم وأبوا عليه ، فقالوا : فدع خزائننا نردها الى بلادنا ومَن يَليها ولا تخرجها من بلادنا الى غيرها !. فخالفهم يزدجرد وأصرّ على رأيه ؛ فخرجوا اليه وثاروا به وقاتلوه وحاشيته واستولوا على خزائنه ففر فيمن معه إلى (بلخ) ، فاذا خاقان سبقه إلى الانسحاب منها ، فتابع فراره حتى بلغ (فَرْغَانَة [١]) عاصمة الترك ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : « أقيموا بمكانكم ودعوهم »

وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاهدوه ودفعوا اليه خزائن كسرى وأمواله ، فسار الأحنف بجند الكوفة من (مرو الروذ) إلى (بلخ) فأنزلهم بها ثم عاد إلى مقر قيادته في (مرو الروذ)

وكتب الأحنف الى عمر بالفتح وبعث اليه بالأخماس ، فجمع عمر الناس وخطبهم ،

---

(١) فرغانة : اسم مدينة واسم ولاية أيضا ، وهي ولاية واسعة بما وراء نهر جيحون متاخمة لبلاد تركستان وهنا يقصد مدينة فرغانة وهي عاصمة سمرقند أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٤٦) والمسالك والممالك ص (١٦٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٣٥) .

وأمر بكتاب الفتح فقرىء عليهم ، وقال في خطبته : « ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يُضِر بمسلم ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يعرف لكم بعهده ويؤتكم وعده ، ولا تتبدّلوا ولا تغيّروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فاني لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤتى إلا من قبلكم [1] » ، فكان فتح الأحنف لخراسان النذير الصادق بانتهاء دولة الأكاسرة من بني ساسان ونشر رايات العرب المسلمين في تلك البلاد [2]

٣ — استعادة فتح خراسان

نكث أهل فارس العهد بعد عمر بن الخطاب [3] ، فلما استعاد عبد الله بن عامر فتح بعض أرض فارس في أيام عثمان بن عفان ، غزا خراسان [4] وعلى مقدمته الأحنف فأتى (الطَّبَسين) وهما حصنان وبابا خراسان فصالحه أهلهما ، فسار الى (قُهُسْتان [5])

(١) أنظر تفاصيل قصة فتح خراسان في الطبري (٣/٢٤٤ ـ ٢٥) وابن الأثير (٣/١٣ـ١٥)

(٢) فتحت خراسان سنة اثنتين وعشرين للهجرة أنظر الطبري (٣/٢٤٤) وابن الأثير (٣/١٣) وتاريخ أبي الفدا (١/١٦٤) ، وذلك لأن انسياح المسلمين في ولايات فارس جرى بعد معركة (نهاوند) التي كانت سنة إحدى وعشرين للهجرة ، ولم يكن بامكان المسلمين التغلغل بهذا العمق قبل معركة (نهاوند) الحاسمة التي تضت على القوات الضاربة المهمة للفرس ، لذلك أطلق العرب بحق على معركة (نهاوند) اسم : فتح الفتوح

(٣) ابن الأثير (٣/٤٧)

(٤) البلاذري ص (٣٩٤)

(٥) قهستان : في البلاذري ص (٣٩٤) ورد اسمها : قوهستان كذلك في معجم البلدان (٧/١٨٧) والمسالك والممالك ص (١٥٤) : تعريب كوهستان ومعناه موضع الجبال ، لأن كوه هو الجبل بالفارسية وهي ولاية بين هراة ونيسابور وأنظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٤١)

فلقيه أهلها وقاتلهم حتى ألجأهم الى حصنهم ، فقدم عليها عبد الله بن عامر وصالح أهلها [1]

ووجه ابن عامر الأحنف إلى (طخارستان) ، فأتى الموضع الذي يقال له : قصر الأحنف ، وهو حصن (مرو الروذ) وله رُسْتَاق [2] عظيم يعرف برُسْتاق الأحنف [3] لحصر الأحنف أهله ، فصالحوه على ثلاثمائة الف درهم ومضى الأحنف الى (مرو الروذ) فصالح أهلها بعد قتال شديد ، وسير الأحنف سرية فاستولت على رُسْتاق (بَغْ [4]) وصالحت أهله [5]

وجمع له أهل (طخارستان) ، فاجتمع أهل (الجُوزْجَان [6]) و (الطَالقَان [7]) و (الفَارِيَاب [8]) ومن حولهم ، فبلغوا ثلاثين ألفاً ، وجاءهم أهل (الصَغَانِيَان [9])

---

(١) ابن الأثير (٤٧/٢) ، وفي البلاذري : أن الأحنف استعاد فتح قوهستان عنوة ، ويقال : بل ألجأهم الى حصنهم ، ثم قدم عليها ابن عامر ، فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة الف درهم وانظر تاريخ ابن خلدون (١٢٢/٢)

(٢) الرستاق : مجموعة القرى

(٣) البلاذري ص (٣٩٦ — ٣٩٧)

(٤) بغ : ويقال لها : بغشور ، وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٥/٢ — ٢٤٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٢٩)

(٥) ابن الأثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٢٩٧)

(٦) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٧/٣) والمسالك والممالك ص (١٥٣)

(٧) الطالقان : بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٢)

(٨) الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان قرب بلخ غربي جيحون أنظر معجم البلدان (٣٢٨/٧)

(٩) الصغانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦١/٥)

وهم من الجانب الشرقي من نهر جيحون، فالتقوا واقتتلوا ، فحمل ملك (الصَّغَانِيَان)على الأحنف فانتزع الأحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديداً ، فانهزم الفرس وحلفاؤهم فطاردهم المسلمون وألحقوا بهم خسائر فادحة بالأرواح [1]

ولحق بعض العدو (بالجوزجان) فوجه اليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي [2] في خيل ، وأوصى قومه بني تميم بقوله : « يابني تميم ! تحابوا وتباذلوا تعدل أموركم ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم » ، فسارع الأقرع ولقي العدو بالجوزجان ؛ فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا عدوهم وفتحوا الجوزجان عنوة [3]

واستعاد الأحنف فتح (الطالقان) صلحاً وفتح (الفارياب) ، ثم سار الى (بلخ) وهي مدينة (طخارستان) فصالحه أهلها أيضاً ، فسار الى (خوارزم)[4] وهي على نهر جيحون ،

---

(١) الطبري (٣/٣٠٦) وابن الأثير (٣/٤٨) والبلاذري ص (٢٩٧) وانظر البدء والتاريخ (٥/١٩٨)

(٢) الأقرع بن حابس التميمي : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه

شهد حرب اليمامة مع خالد بن الوليد ، وشهد مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل ، وشهد مع خالد حرب أهل العراق وفتح الأنبار واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان بن عفان ، ولكنه تغلب على العدو في النهاية

كان شريفاً في الجاهلية والاسلام ، واسمه الأصلي : فراس وإنما قيل له : الأقرع ، لقرع كان برأسه أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٧/٣٧) والاصابة (١/٥٨) وأسد الغابة (١/١٠٧) والاستيعاب (١/١٠٣)

(٣) الطبري (٣/٣٥٧ — ٣٠٨) وابن الأثير (٣/٤٨) والبلاذري ص (٢٩٨)

(٤) خوارزم : اسم اقليم ، وهو منقطع عن خراسان وعما وراء النهر ، وتحيط به المفاوز من كل جانب ، وحدها متصل بحد الغزية فيما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي على جانبي نهر جيحون ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون أنظر التفاصيل في المهالك والمسالك ص (١٩٨) ومعجم البلدان (٣/٤٧٢)

فلم يقدر عليها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالعودة الى بلخ [1]

وهكذا استعاد الأحنف فتح خراسان ثانية [2]

الانسان

ا -- حياته :

ذكرنا إسلامه وجهاده ، وكان بالاضافة الى ما ذكرناه ، من سادات التابعين وأكابرهم [3]، وسيداً مطاعاً في قومه [4] وسيد أهل البصرة [5]

وفد على عمر بن الخطاب وعثمان بن عثمان ، وكان موضع ثقتهما وتقديرهما ، ولما تولى علي ابن أبي طالب الخلافة وقصدت عائشة أم المؤمنين البصرة ، كتبت اليه وإلى أمثاله من رجالات البصرة وأقامت (بالحُفَير) [6] تنتظر الجواب [7] ، وكان الأحنف قد بايع علياً بالمدينة بعد مقتل عثمان وكان الأحنف حينذاك في طريق عودته من الحج ، ولكنه اعتزل

(١) الطبري (٣/٣٥٨) وابن الأثير (٣/٤٩) والبلاذري ص (٣٩٨) واليعقوبي (٢/١٤٤) وجمل فتوح الاسلام — ملحق بجوامع السيرة — لابن حزم ص (٣٤٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٢)

(٢) أنجز الأحنف اعادة فتح خراسان سنة إحدى وثلاثين للهجرة أنظر الطبري (٣/٣٠٨) وابن الأثير (٣/٤٩) وتأريخ أبي الفدا (١/١٦٨)

(٣) وفيات الأعيان (٢/١٨٦) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨) وتاريخ الاسلام (٣/١٢٩)

(٤) تاريخ الاسلام (٣/١٢٩) والبداية والنهاية (٨/٣٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١)

(٥) الاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥)

(٦) الحفير : موضع بين البصرة ومكة ، وهو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٠٣)

(٧) ابن الأثير (٣/٨٢)

الفريقين في معركة الجمل ومعه زهاء ستة آلاف ، وبقى مع أصحابه (بالجلحاء) [1] على فرسخين من البصرة

فقد قصد الأحنف كلاً من عائشة وطلحة والزبير عند وصولهم البصرة ، فقال لهم : « والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتموني ببيعته ، ولكن اعتزل » ، فأذنوا له في ذلك

ولما قدم علي بن أبي طالب البصرة ، أتاه الأحنف فقال : « إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً قتلت رجالهم وسبيت نساءهم » فقال علي : « ما مثلي يخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر ، وهم قوم مسلمون » ، فقال الأحنف : « إختر مني واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل معك ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف » ، فقال علي: « اكفف عنا عشرة آلاف سيف » ، فرجع الى الناس ودعاهم الى القعود واعتزل بهم [2]

والظاهر أن هناك أسباباً أخرى لاعتزال الأحنف ، فقد تأثر لمقتل عثمان بن عفان ، وكان يرى أن الأقدام على قتله جريمة لا تغتفر لما قدّمه عثمان من خدمات جليلة للاسلام قال الأحنف : « خرجنا حجاجاً فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج ، فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا ، إذ أتانا آتٍ فقال : إن الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا فانطلقنا فاذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد ، وإذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، فانا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان عليه مُلاءة [3] صفراء قد قنّع بها رأسه [4] ، فقال :

(١) الجلحاء : موضع على فرسخين من البصرة ، وهي غير الجلحاء الوارد ذكرها في معجم البلدان (٣/١٢١)

(٢) الطبري (٣/٥٠٩ — ٥١٠) وابن الأثير (٣/٩١)

(٣) الملاءة : الأزار والربطة

(٤) قنع رأسه : أي القى على رأسه لدفع الحر أو غيره

أههنا علي ؟أههنا طلحة ؟ أههنا الزبير ؟أههنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : فأني أنشدكم بالله الذي لا إلا إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربد[1] بني فلان غفر الله له ؛ فابتعته بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : أجعلها في مسجدنا وأجره لك قالوا : اللهم نعم قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع (بئر رومة)[2] غفر الله له ، فابتعته بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت : قد ابتعتها بكذا وكذا ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك قالوا : اللهم نعم !. قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال : من جهز هؤلاء غفر الله له ـ يعني جيش العسرة ـ فجهزتهم حتى ما يفقدوا عقالاً ولا خطاماً ! قالوا : اللهم نعم قال : اللهم اشهد .. اللهم اشهد ..» وهذا سبب من أسباب اعتزال الأحنف[3] معركة (الجمل)[4]

لقد كان الأحنف في حرج شديد من قتال أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلحة والزبير، ولكنه كان يرى أن علياً على الحق وأنه مسؤول عن إسناده[5]، لذلك آثر استرضاء الطرفين ، فاعتزل وقعة (الجمل) ولكنه شهد مع علي بن أبي طالب

---

(١) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف

(٢) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة ، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤)

(٣) سنن الامام النسائي (٢/١٢٤) وانظر حاشية السندي على النسائي على هامش سنن النسائي (٢/١٢٤) وأنظر أيضاً الطبري (٣/ ٥١)

(٤) الاصابة (١/١٠٢) وأسد الغابة (١/٥٥) ووفيات الأعيان (٢/١٨٦) وتاريخ أبي الفدا (١/١٧٤) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٧١)

(٥) أنظر الطبري (٣/٥١٣) حول رأي الأحنف في اسناد علي بن أبي طالب

وقعة (صفين) [1]

قال الأحنف لعلي : « يا أمير المؤمنين ! إنه إن يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل ، فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذٍ ، وعجبوا اليوم ممن خذلك ؛ لأنهم شكّوا في طلحة والزبير ولم يشكّوا في عمرو ومعاوية .... » ، فقال علي : « اكتب إلى قومك » فكتب الأحنف إلى بني سعد ، فلما انتهى كتابه اليهم ساروا بجماعهم حتى نزلوا الكوفة [2]

وقال لعلي قبل معركة صفين : « لم نقاتل القوم لنا ولك ، إنما قاتلناهم لله ، فأن حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله ، فأنك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ؛ ولا أرى إلا القتال ! » [3]

ولما استقرّ الأمر لمعاوية بن أبي سفيان دخل عليه الأحنف يوماً ، فقال له معاوية : « والله يا أحنف ، ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة ! » ، فقال الأحنف : « والله يا معاوية ، إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها ، وإن تدْنُ من الحرب فتراً نَدْنُ منها شبراً ، وإن تمش اليها نهرول اليها ! » ، ثم قام وخرج وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه : فقالت : « يا أمير المومنين ، من هذا الذي يهدّد ويتوعّد ؟! » ، قال : « هذا الذي إذ غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب » [4]

ولى خراسان في أيام عمر بن الخطاب وفي أيام عثمان بن عفان وأخباره كثيرة ، وقـ

---

(1) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) والاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥) ووفيات الأعياز (٢/١٨٦) وتأريخ الاسلام (٣/١٢٩)

(2) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٨٦ — ٨٧)

(3) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/١٢٣)

(4) وفيات الأعيان (٢/١٨٦ — ١٨٧) وشذرات الذهب (١/٧٨)

ولد ملتصق الاليتين حتى شق[1]، كما ولد وهو أحنف الرجل، فكانت أمه ترقصه وتقول :

والله لو لا حَنَفٌ في رجله ما كان في الحي غلامٌ مثله[2]

وكان يطأ على وحْشي رجله، ولذا قيل له : الأحنف[3] وكان أعور ذهبت عينه عند فتح (سمرقند)، وقيل : بل ذهبت عينه بالجدري وكان متراكب الأسنان، صغير الرأس، مائل الذقن[4]، قصيراً دميماً له بيضة واحدة[5]، ناتيء الوجنة باخع العينين[6]، خفيف العارضين[7]، وكان ثطاً - يعني كوسجاً - وكان رهطه يقولون : « وددنا أننا اشترينا للأحنف لحية بعشرة آلاف »[8]

وكان يهتم بقيافته فيرتدي مِطْرف خز وعمامة من خز[9]، وكان صديقاً لمُصْعب ابن الزبير فوفد عليه بالكوفة - ومُصْعب يومئذٍ والٍ عليها، فتوفى الأحنف عنده بالكوفة سنة سبع وستين للهجرة[10] (٦٨٦ م) عن سبعين سنة[11]، أي أنه ولد سنة ثلاث قبل الهجرة (٦١٩ م) وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى راجلاً

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٣)

(٣) الأحنف : المائل ووحشي الرجل : ظهرها والحنف في الرجل : أن تقبل كل واحدة منهما بأبهامها على صاحبتها

(٤) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

(٥) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١)

(٦) باخع العينين : منخسف العينين

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٣) والمعارف ص (٥٧٨)

(٨) الف باء — للبلوى — (٢/٣٤٣)

(٩) طبقات ابن سعد (٧/٩٧)

(١٠) الاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥) والاستيعاب (٢/٧١٦) وابن الأثير (٤/١٠٩) وقيل : إنه توفى سنة إحدى وسبعين، وقيل سبع وسبعين، وقيل ثمان وستين أنظر وفيات الأعيان (٢/١٩١)، وقيل سنة اثنتين وسبعين أنظر شذرات الذهب (١/٧٨)

(١١) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

بين رجلي نعشه بغير رداء ، وقال في تأبينه : « هـذا سيد أهل العراق [1] ، وقال أيضاً : « اليوم ذهب الحزم والرأي » [2] ودفن (بالثَّوِيَّة)[3] عند قبر زياد بن أبي سفيان[4]

٢ — مزاياه

أ -- مزاياه العامة

كان الأحنف موضع ثقة الناس جميعاً بمختلف طبقاتهم وأهوائهم وميولهم ، فما هي المزايا التي جعلته يستحوذ على ثقة غيره به ؟

لقد كان من البيوتات التي تفخر بها البصرة ، وكان في البصرة ستة ليس بالكوفة مثلهم أحدهم الأحنف [5] وكان ثقة مأموناً [6] ، أحد الحكماء الدهاة العقلاء [7] ، عاقلا حكيماً ذا دين وذكاء وفصاحة [8] ، وكان سيد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم [9] يضرب بحلمه المثل [10] ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً عليم اللسان [11]

تلك هي بعض مزايا الأحنف ، فلا عجب أن يقول الشاعر في وصفه :

إذا الأبصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابة منه خشوعا

---

(١) الاستيعاب (٢/٧١٦)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٣)

(٣) الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل بالكوفة أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٨) .

(٤) وفيات الأعيان (٢/١٩١) والاستيعاب (٢/٧١٦) والمعارف ص (٤٢٤) وزياد بن أبي سفيان هو : زياد بن أبيه

(٥) ابن الفقيه ص (١٩٠) نقلاً عن كتاب : الجاحظ ص (١٥٧) للدكتور شارل بلات ترجمة ابراهيم الكيلاني

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٩٣)

(٧) أسد الغابة (١/٥٥)

(٨) الاستيعاب (٢/٧١٦)

(٩) وفيات الأعيان (٢/١٨٦)

(١٠) الاصابة (١/١٠٣)

(١١) البداية والنهاية (٨/٢٢٦)

وأن يقول عنه خالد بن صفوان : « كان الأحنف يفرّ من الشرف ، والشرف يتبعه[1] ، وقال هشام بن عبد الملك لخالد هذا : « أخبرني عن الأحنف » ، فقال : « إن شئت يا أمير المؤمنين أخبرتك عنه بثلاث ، وإن شئت بثنتين وإن شئت بواحدة » ، قال : « فأخبرني عنه بثلاث » فقال : « كان لا يحسد ولا يجهل ولا يدفع الحق - إذا نزل به خضع لذلك » فقال : « اخبرني عنه بثنتين » ، فقال : « كان يفعل الخير ويحبه ويتوقى الشر ويبغضه » قال : « فأخبرني عنه بواحدة » ، فقال : « كان من أعظم الناس سلطاناً على نفسه »[2]

إنه بلغ بهذه المزايا الانسانية الرفيعة درجة عالية في نفوس الناس واستحوذ على منتهى ثقة الناس بانسان ، فما هي شواهد تلك المزايا الانسانية الرفيعة في الأحنف ؟.

ب — حلمه

كان الأحنف حليماً يضرب بحلمه المثل سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : « الذل مع الصبر » وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه : « إني لأجد ما تجدون ، ولكني صبور ! » . وكان يقول: « وجدت الحلم أنصر لي من الرجال » وكان يقول : « ماتعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري[3] ، لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه ، فأتى بالقاتل

---

(١) تهذيب ابن عساكر (١٢/٧)

(٢) شذرات الذهب (٧٨/١) وانظر تهذيب ابن عساكر (١٢/٧) والعقد الفريد (٢٨٧/٩ — ٢٨٨) مع اختلاف باللفظ واتفاق بالمعنى

(٣) قيس بن عاصم المنقري : قدم في وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في سنة تسع للهجرة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا سيد أهل الوبر »

كان حليماً مشهوراً بالحلم ، ومن حلمه أنه كان قاعداً بفناء داره وبيده سيفه يحدث قومه ، إذ أتي برجل مكتوف وآخر مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فما قطع كلامه ولا تغير لونه ؛ فلما أتم كلامه التفت الى ابن أخيه فقال : « يا ابن أخي ، بئس ما فعلت ! أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن =

مكتوفاً يُقاد اليه ، فقال : ذعرتم الفتى ! ثم أقبل على الفتى فقال : بئس ما فعلت : نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمتّ عدوك وأسأت بقومك . خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول ديته فانها غريبة ! ثم انصرف القاتل وما حلّ قيس حبوته ولا تغير وجهه » [1]

وقال رجل للأحنف : « علمني الحلم يا أبا بحر ! » ، فقال : « هو الذل يا ابن أخي ، أفتصبر عليه ؟! » وقال : « لست حليماً ولكنني أتحالم » [2]

— عمك ورميت نفسك بسهمك » ، ثم قال لابن له آخر : « قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها ، فانها غريبة »

وكان قيس قد حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وقال في ذلك :

رأيت الخمر طالحة وفيها	خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحاً	ولا أشفى بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي	ولا أدعو لها أبداً نديما
فان الخمر تفضح شاربيها	وتجنيهم بها الأمر العظيما

ومن جيد شعره :

إني امرؤ لا يعتري خلقي	دنس يدنسه ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة	والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم	بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون بعيب جارهم	وهم لحسن جواره فطن

وكان لحلمه وورعه وعقله موضع ثقة أبي بكر الصديق سأله مرة عن المثنى بن حارثة الشيباني فقال : « هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني »

ولما حضرته الوفاة ، دعا بنيه فقال : « يا بني ! احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني . إذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم ، فيسفه الناس كباركم وتهونون عليهم وعليكم باصلاح المال ، فأنه منبه للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس ، فانها آخر كسب الرجل » راجع الاصابة (٥/٢٨٥) وأسد الغابة (٤/٢١٩) والاستيعاب (٣/١٢٩٤)

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٨) وأنظر البداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٢) العقد الفريد (١/٢٨٧)

ومن أخبار حلمه ، أن رجلا شتمه فسكت عنه ، وأعاد الرجل فسكت عنه ، وأعاد فسكت عنه ، فقال الرجل : « والهفاه ! ما يمنعه من أن يردَّ عليَّ إلا هواني عنده » [1]

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيّه ، فقال الأحنف : « يا هذا ! إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره » [2]

وكان يقول : « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، وربّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشد منه » [3]

ولكن حلمه كان حلم القوي القدير لا حلم العاجز الضعيف ، فقد قاتل في بعض المواطن قتالا شديداً ، فقال له رجل : « يا أبا بحر ! أين الحلم ؟! » ، فقال : « عند الحي » [4]

جـ — عقله

كان الأحنف عاقلا راجح العقل قال مرة : « من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع : من كان له دين يحجزه ، وحسب يصونه ، وعقل يرشده ، وحياء يمنعه » [5]

وقال : « العقل خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتوفيق خير رفيق » [6]

وقال : « ما ذكرت أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندي » وكان إذا ذكر عنده رجل قال : « دعوه يأكل رزقه ويأتي عليه أجله » [7]

وشكا ابن أخيه وجع الضرس فقال : « ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ما ذكرتها

---

(١) عيون الأخبار (١/٢٨٣)

(٢) عيون الأخبار (١/٢٨٧)

(٣) عيون الأخبار (١/٢٨٤)

(٤) عيون الأخبار (١/١٨٥) ، وعند الحي : يعني بها تركته في الدار كما نقول

(٥) تهذيب ابن عساكر (٧/١٧)

(٦) تهذيب ابن عساكر (٧/١٩)

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/٢١)

لأحد » [1]

وقال : « ما نازعني أحد فوقي إلا عرفت له قدره ، ولا كان دوني إلا رفعت قدري عنه ، ولا كان مثلي إلا تفضلت عليه » [2] .

ومما يدل على رجاحة عقله ، أنه دخل على معاوية فأشار الى الوسادة وقال له :«اجلس» ، فجلس الأحنف على الأرض ، فقال له معـــاوية : « وما منعك يا أحنف من الجلوس على الوسادة ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال : لا تَغْشَ السلطان حتى يَمَلّك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فانه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك ، فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عليك ، وحسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين، لعله أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني » ، فقال معاوية : « لقد أوتيت عميم الحكمة مع دقة حواشي الكلام » [3]

وكان يقول : « فِيَّ ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحـــد من هؤلاء ما لم أُدْعَ اليه يعني الملوك ، وما حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس اليه » ويقول : « ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزية ؟ الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوأ الداء ؟ الخلق الدني واللسان البذي ! » ويقول : « ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن [4] »

د — علمه

كان عالماً ثقة مأموناً قليل الحديث وقد روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦)

(٢) ذكر أخبار أصبهان (٣/١٣٢)

(٣) البيان والتبيين (١/٧٧)

(٤) وفيات الأعيان (٢/١٨٧) والـ مل للمبرد (١/٨٩)

وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري [1] وروى عنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما [2] ، وقد كان من الفقهاء البارزين في أيام معاوية بن أبي سفيان [3]

هـ — حكمته

كان حكيما ينطق بالحكمة والموعظة الحسنة سئل عن المروءة فقال : « أدب بارع ولسان قاطع » وسئل عن المروءة أيضاً ، فقال : « التقى والاحتمال » ، ثم أطرق ساعة وقال :

وإذا جميل الوجه لم يأت الجميل فما جماله ؟ !
ما خير اخلاق الفتى إلا تُقاه واحتماله

وسئل عنها فقال : « العفّة في الدين والصبر على النوائب وبر الوالدين والحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة »

وقال : « رأس الأدب آلة المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في منظر إلا بمخبر ، ولا في مال إلا بجود ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدقة إلا بنية [4] »

وقال : « أحي معروفك بإماتة ذكره [5] » وقال : « ما ادّخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب » وقال : « كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/٩٢) والاصابة (١/١٠٣) والبداية والنهاية (٨/٣٢٧) وفي تهذيب ابن عساكر (٧/ ١) : إنه روى عن عمر وعثمان وعلي والعباس وابن مسعود وأبي ذر الغفاري .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/ ١) وتاريخ الاسلام (٣/١٢٩)

(٣) اليعقوبي (٢/٢١٤)

(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/١٩ — ٢٠)

(٥) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) .

عُرف به [1] » . وقال : « جنبوا مجالسنا الطعام والنساء ، فاني لأبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه ، وان المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشهيه [2] » وقال : « الزم الصحة يلزمك العمل [3] » وقال : « رب ملوم لا ذنب له [4] » وقال : « السؤدد مع السواد » يريد : من لم يَطِرْ له اسم على السنة العامة بالسؤدد لم ينفعه ما طار له في الخاصة [5] .

و — بلاغته

كان فصيحاً مفوهاً [6] . خطب مرة فقال بعد حمد الله والثناء عليه : « يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب الينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب الينا من تميم الشام ، فان استشرف شنآن حسد صدوركم ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم [7] » .

وقال : « ولا تزال العرب عرباً ما لبست العمائم ـ أي حافظت على زيها ـ وتقلدت السيوف ـ يريد الامتناع من الضيم ـ ولم تعد الحلم ذلاً ولا التواهب فيما بينها ضيعة [8] »

لقد كان حاضر البديهة قوي الحجة منطقياً جاء الأحنف إلى قوم يتكلمون في دم ، فقال : « احكموا ! » فقالوا : نحكم بديتين ! فقال : « ذلك لكم » فلما سكتوا

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٧) والكامل للمبرد (١/٣٧)

(٢) وفيات الأعيان (٢/١٨٨)

(٣) البيان والتبيين (٢/٩٩)

(٤) البخلاء للجاحظ (٢٤٧)

(٥) العقد الفريد (١/٢٩١)

(٦) تاريخ الاسلام للذهبي (٣/١٣٠)

(٧) العقد الفريد (٢/٣٨٨) ، وانظر الكامل للمبرد (١/٩٧) والشانيء : المبغض

(٨) الكامل للمبرد (١/١٢٠) .

قال : « أنا أعطيكم ما سألتم ، غير أني قائل لكم شيئاً : إنّ الله عز وجل قضى بديّة واحدة ، وإن النبي ﷺ قضى بديّة واحدة ، وأنتم اليوم طالبون وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين ، فلا يرضى الناس منكم إلا عثل ما سننتم لأنفسكم ! » ، فقالوا : نردّها دية واحدة [1]

وأراد رجل أن ينتقص من قدر الأحنف عندما سمع عمر بن الخطاب يقول عن الأحنف : « هـذا والله السيد ... هذا والله السيد » ، فقال ذلك الرجل : « يا أمير المؤمنين إنه ليس هناك ، وأمه باهلية » ، فقال عمر : « هو خير منك » فقال الأحنف:

أنا ابن الباهلية أرضعتني بثدى لا أجـد ولا وخيم
أغضّ على القذى أجفان عيني الى شر السفيه الى الحليم [2]

وسمع الأحنف رجلا يقول : ما أبالي أمدحت أم ذممت » ، فقال له : « لقد استرحت من حيث تعب الكرام [3] »

ز — دهاؤه

كان الأحنف من دهاة العرب فال الأحنف لعلي بن أبي طالب يبدي رأيه في أبي موسى الأشعرى ممثل علي في التحكيم : « يا أمير المؤمنين ! إن أبا موسى الأشعري رجل يماني وقومه مع معاوية ، فابعثني معه ، فوالله لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها ، فان قلت : إني لست من اصحاب رسول ﷺ ، فابعث ابن عباس وابعثني معه [4] »

ح — إيثاره

كان الأحنف يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، بل كان يؤثر غيره على نفسه بالخير والمعروف

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٨)
(٢) أجد : عظم وخيم : ثقيل بين أنظر العقد الفريد (١/١٨٨)
(٣) وفيات الأعيان (٢/١٨٨)
(٤) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/١٣١)

ويقنع هو برضى نفسه الرضية المطمئنة إلى ما أصاب غيره بجهده من خير أوفد أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب وفداً من أهل البصرة وفيهم الأحنف ، فلما قدموا عليه ، تكلم كل رجل بخاصة نفسه ـ وكان الأحنف في آخر القوم ، فحمد الله واثنى عليه وقال : « يا أمير المؤمنين ! إنّ مفاتح الخير بيد الله ، وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العَذْبة والجنان الملتفّة ، وإنا نزلنا سبخة ملتفة لا يجفّ نداها ولا ينبت مرعاها : ناحيتها من قِبل المشرق البحر الأجاج ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرعٌ ولا ضرْع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مرىء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك فتربق [1] ولدها كما يربق العنز ، تخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فألا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا » فزاد عمر في عطائهم ، وأمر عامله على البصرة فأجرى لهم نهراً من دجلة على ثلاثة فراسخ الى شمالها [2]

وعرض عمر على الأحنف جائزة فقال : « يا أمير المؤمنين ! والله ما قطعنا الفلوات ودأبنا الروحات والعشيات للجوائز ، وما حاجتي إلا حاجة من خلفي » فزاده ذلك عند عمر خيراً [3]

وقدم وفد أهل العراق على معاوية بن أبي سفيان وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : « إن أمير المؤمنين يَعْزِم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه » فلما دخلوا اليه قال الأحنف : « لولا عزيمة [4] أمير المؤمنين لاخبرته أن دافّة دفّت [5] ونازلة نزلت ونائبة

---

(١) ربقه : جعل رأسه في الربقة ، وهو حبل تشد به البهم

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/١١) والعقد الفريد (١/١٩١) مع اختلاف في اللفظ ، وانظر ابن الأثير (٢/٢١٠)

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/١٢)

(٤) عزيمته : أمره بعدم التكلم لغائب

(٥) دافة دفت : جائحة مستأصلة ظهرت ونجمت

نابت ونابتة نبات - كلهم به حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه » ، فقال معاوية : « حسبك يا أبا بحر ! فقد كفيت الغائب والشاهد [1] »

وكان يشعر بشعور (المجموع) ولا يقتصر على شعوره (الفردي) . قيل له : كيف سوّدك قومك وأنت أرذلهم خلقة ؟ ! فقال : « لو عاب قومي الماء ما شربته [2]

ط — أمانته

كان الأحنف أميناً غاية الأمانة لما سار إلى (خُوارِزم) استعمل على (بلخ) ابن عمه أُسَيْد بن المتشمس ليأخذ من أهلها ما صالحوه عليه وانصرف الأحنف إلى (بلخ) وقد قبض ابن عمه ما صالحوه عليه مع هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب ، فقال ابن عمه لهم : « هذا ما صالحناكم عليه ؟ ! » فقالوا : لا ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم عن ولينا نستعطف به » ، قال : « وما هذا اليوم ؟ » فقالوا : المهرجان [3] ، فقال : « ما أدرى ما هذا ، وإني لأكره أن أردّه ، ولعله من حقي ، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر » ، فقبضه وقدم الأحنف فأخبره فسألهم عنه ، فقالوا مثل ما قالوا لابن عمه ، فقال : « آتي به الأمير » ، فحمله إلى عبد الله بن عامر فأخبره عنه فقال : « اقبضه يا أبا بحر فهو لك ، فقال الأحنف : « لا حاجة لي فيه [4] »

لقد كان يتحرج حتى من الهدايا ، وكان يكتفي بعطائه وبسهمه من الغنائم أسوة بأي رجل من رجال المسلمين ، وقد جاءه رجل يوماً يسأله ، فقال : « إنما لي سهم وما فيه فضل عني ، وإنما لفرسي سهمان وما فيهما فضل عن فرسي [5] »

---

(١) البيان والتبيين (٢/٩٣)

(٢) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٠)

(٣) المهرجان : أحد أعياد الفرس

(٤) الطبري (٣/٣٥٨) وابن الأثير (٣/٤٩)

(٥) طبقات ابن سعد (٧/٩١)

لقد كان كالموظف النزيه يضطر الى الاقتصاد ليعيش عيش الكفاف ، حتى إنه جبر يد عنز [١] ، ومع ذلك كان جواداً [٢] حسب إمكانياته ، فلم يبق له جوده ديناراً ولا داراً

ي — أناته

كان الأحنف شديد الأناة ، لا يقدم على عمل إلا بعد أن يحسب له الف حساب قيل له : يا أبا بحر ! إن فيك أناةً شديدةً ، فقال : « قد عرفت من نفسي عجلة في أمور ثلاثة : في صلاتي إذا حضرت حتى أصليها ، وجنازتي إذا حضرت حتى أغيّبها في حفرها ، وابنتي إذا خطبها كفيئها حتى أزوجه [٣]

ك — ورعه

كان الأحنف مؤمناً ورعاً قوي الايمان ، فقد سارع إلى اعتناق الأسلام أول ما بلغته الدعوة الاسلامية ، وأسلم قومه باشارته [٤] ، وبسط حمايته القوية الأمينة على الدعاة الأولين [٥] ، وثبت على عقيدته عندما ارتد أكثر قومه وأكثر العرب بعد وفاة النبي ﷺ [٦] ، وجاهد للدفاع عنها ونشرها حق الجهاد وأبلى في ذلك أعظم البلاء قال الحسن البصري عنه : « ما رأيت شريف قوم أفضل منه [٧] » قال الأحنف : « حبسني عمر بن الخطاب عنده بالمدينة سنة ، يأتيني كل يوم وليلة ، فلا يأتيه عني إلا ما يحب [٨] » ، فكتب عمر

(١) البخلاء للجاحظ ص (٢٥)
(٢) البداية والنهاية (٨/٣٢٧)
(٣) طبقات ابن سعد (٧/٩٦)
(٤) شذرات الذهب (١/٧٨)
(٥) ذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤)
(٦) المعارف ص (٤٢٤)
(٧) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وشذرات الذهب (١/٧٨) وتاريخ الاسلام (٣/١٣١) وطبقات ابن سعد (٧/٩٥)
(٨) ذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤)

بعد نجاح الأحنف في الاختبار العمري ـ وما أصعبه وأدقه من اختبار ـ معه كتاباً إلى الأمير على البصرة يقول : « الأحنف سيد أهل البصرة [1] » ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يشاور الأحنف ويسمع منه [2] ، وقال عنه : « هو مؤمن عليم اللسان [3] » وقال له عمر بعد أن حبسه حولا عنده : « يا أحنف ! قد بلوتك وخبرتك ، فلم أر إلا خيراً ، ورأيت علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك [4] » وقال له عمر : « ويحك يا احنف ! لما رأيتك ازدريتك ، فلما نطقتَ قلتُ : لعله منافق عليم اللسان ، فلما اختبرتك حمدتك [5] »

لقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبكي حتى الصباح ، وكان يضع إصبعه في المصباح ويقول : « حس يا أحنف ! ما حملك على كذا ما حملك على كذا ؟ ! » ، ويقول لنفسه : « إذا لم تصبر على المصباح ، فكيف تصبر على النار الكبرى [6] » وقيل له : إنك تكثر الصوم وإن ذاك يرق المعدة ، فقال : « إني أعده لسفر طويل [7] »

واستُعمِل الأحنف على (خراسان) ، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة ، فلم يوقظ أحداً من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء ، فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً ، فوجد الثلج ، فكسره واغتسل [8]

---

(١) أسد الغابة (١/٥٥)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/١٢)

(٣) البداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) .

(٥) تهذيب ابن عساكر (٧/١١)

(٦) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وطبقات ابن سعد (٧/٩٥)

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦) وطبقات ابن سعد (٧/٩٦)

(٨) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) وتهذيب ابن عساكر(٧/١٦) وتاريخ الاسلام للذهبي (٣/١٣٠)

وكان قلّ ما خلا إلا دعا بالمصحف ، وكان النظر في المصاحف خلقاً من الأولين [1] .

وكان من دعائه : « اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذاك ، وإن تعذبني فأنا أهل ذاك [2] »

ومن دعائه : « اللهم هب لي يقيناً يهوّن به علي مصيبات الدنيا [3] » .

ومرّت به جنازة فقال : « رحم الله من أجهد نفسه لمثل هـذا اليوم [4] » وكان يقول : « عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبّر ! ؟ [5] »

وجاءه كتاب من عند الملك يدعوه الى نفسه فقال : « يدعوني ابن الزرقاء الى ولاية أهل الشام ! والله لوددت أن بيني وبينهم جبلاً من نار : من أتاني منهم احترق فيه ومن أتاهم منا احترق فيـه » وكان يكره أن يصلي في المقصورة وأن يتخطى رقاب الناس قبل خروج الامام يوم الجمعة [6]

وبلـغ رجلان الأحنفَ أن النبي ﷺ دعا له ، فسـجد [7] شكراً لله ، وكان نفش خاتمه : نعبد الله [8]

ل — شخصيته

تلك هي المزايا الشخصية التي استحوذ بها الأحنف على ثقة الناس به وحبهم وتقديرهم له ، هذه المزايا التي تجعل من يتحلى بها شخصية قوية نافذة يندر وجودها بين الناس في كل زمان ومكان ، وقلما يجود بها الدهر إلا نادراً

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/٩٥)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٦) والبداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦)

(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦)

(٥) ذكر أخبار أصبهان (٣/١٣٢)

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٩٦ — ٩٧)

(٧) الاصابة (١/١٠٣)

(٨) الطبري (٣/٣٥٦)

كان صادق القول يرى الكذب خصله لا تليق بالكريم قدم على عمر بن الخطاب وفد جند البصرة وفيهم الأحنف، وكان الفرس قد انتقضوا على المسلمين، فتحدّث عمر إلى وفد البصرة ثم وجه الكلام الى الأحنف يقول : « إنك عندي مصدّق وقد رأيتك رجلاً، فأخبرني : أأن ظلمت الذمة، أَلمظلمة نفروا أم لغير ذلك ؟ »، فأجابه الأحنف : « لا، بل لغير مظلمة والناس على ما تحب ... » فقال عمر : « فنعم إذا انصرفوا الى رحالكم [1] »

لقد كان حريصاً على تكامل شخصيته يبتعد بها عما يسيىء اليها من قريب أو بعيد، فكان يقول : « ليمنعني من كثير من الكلام مخافة الجواب [2] »

كان قوي الشخصية حقاً لا يخاف أحداً ما كان على الحق ذكر عمر بن الخطاب بني تميم فذمّهم، فقام الأحنف وقال : « يا أمير المؤمنين ! ائذن لي فأتكلم »، قال : « تكلم »، فقال الأحنف : « إنك ذكرت بني تميم فعممهم بالذم، وإنما هم من الناس، فمنهم الصالح والطالح »، فقال عمر : « صدقت »، فقام رجل من تميم واستأذن عمر بالكلام، فقال له : « اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف [3] »

وروى أن معاوية لما نصب ولده (يزيد) لولاية العهد، أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلّمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال : « يا أمير المؤمنين ! إعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعها »، والأحنف جالس، فقال له معاوية : « ما بالك لا تقول يا أبا بحر ؟ ! »، فقال : « أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت »، فقال معاوية : « جزاك الله عن الطاعة خيراً »، وأمر له بألوف، فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب، فذّم معاوية وابنه، فقال له

---

(١) الطبري (١٧٥/٣)
(٢) طبقات ابن سعد (٩٥/٧)
(٣) طبقات ابن سعد (٩٤/٧).

الأحنف : « أمسك عليك ، فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهاً [1] »

وحضر الأحنف مجلس معاوية ، وكان عنده بعض وجوه الناس ، فدخل رجل من أهل الشام وقام خطيباً ، وكان آخر كلامه أن لعن علي بن أبي طالب ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك علياً ، فقد لقي ربه وأفرد في قبره ، وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته » ، فقال معاوية : « يا أحنف ! لقد أغضيت العين على القذى ، فأيم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعاً أو كرهاً » ، فقال الأحنف : « أو تعفيني فهو خير لك » فألحّ عليه معاوية ، فقال الأحنف : « أما والله لأنصفنك في القول ! » فقال معاوية : « وما أنت قائل ؟» قال :«أحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على رسوله وأقول : أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ألا وأن علياً ومعاوية اختلفا ، فاقتتلا ، وادّعى كل منهما أنه مبغي عليه ! فاذا دعوت فأمّنوا ... ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعناً كثيراً ! ! .. أمّنوا رحمكم الله ... يا معاوية أقوله ولو كان فيه ذهاب روحي » فقال معاوية : « إذن نعفيك من ذلك [2] »

وكان زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقين كثير الرعاية للأحنف ، فلما مات زياد وتولى مكانه ولده عبيد الله بن زياد تغيرت منزلة الأحنف عند الأمير الجديد ، وصار يقدّم عليه من لا يساويه ولا يقاربه

وجمع عبيد الله أعيان العراق وفيهم الأحنف وتوجه بهم الى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء العراق ، فقال : « أدخلهم

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٧) ، وانظر شذرات الذهب (١/٧٨) وطبقات ابن سعد (٧/٩٥) والكامل للمبرد (١/٣٨)

(٢) تاريخ أبي الفدا (١/١٦٥ — ١٩٦) .

إليّ أولاً فأولاً على قدر مراتبهم عنـــدك » ، فخرج إليهم وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية ، فكان آخر مَنْ دخل الأحنف !

ورآه معاوية ، وكان يعرف منزلته ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته ، فقال له : « إليّ يا أبا بحر » ، فتقدم اليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل عليه يسأله عن حاله ويحادثه وأعرض عن بقية الجماعة

وأخـذ أهل العراق في شكر عبيد الله والثناء عليـه والأحنف ساكت ، فقال له معاويـة : « لِمَ لا تتكلم يا أبا بحر ؟ ! » ، فقال : « إن تكلمت خالفتهم » ، فقال لهم معاوية : « اشهدوا عليّ أنني قد عزلت عبيد الله عنكم ، فقوموا وأنظروا في أمير أوليه عليكم وترجعون إليّ بعد ثلاثة أيام »

وخرجوا من عند معاوية ، وكان فيهم جماعة يطلبون الامارة لأنفسهم وفيهم من عيّن الأمارة لغيره ، وسعوا في السر مع خواص معاوية أن يفعل لهم ذلك !

واجتمعوا بعد انقضاء ثلاثة الأيام ـ كما قال معاوية ، والأحنف معهم ، فدخلوا عليه فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول ، وأخذ الأحنف إليه كما فعل أولاً وحادثه ساعة ، ثم قال : « ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ » فجعل كل واحـد يذكر شخصاً ! وطال حديثهم في ذلك ، وأفضى إلى منازعة وجـــدال ، والأحنف ساكت ـ ولم يكن في الأيام الثلاثة تحدث مع أحد في شيء ، فقال له معاوية : « لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟ » ، فقال الأحنف : « إن ولّيت أحداً من أهل بيتك لم تجد مَن يَعـْدِل عبيد الله ولا يسدّ مسدّه ، وإن ولّيت من غيرهم فذلك الى رأيك »

ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الأول في الثناء على عبيد الله مَن ذكره في هذا المجلس ولاسأل عَوْدَه إليهم ، فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة : « أشهدوا عليّ أني أعدت عبيد الله إلى ولايته » ، فكل منهم ندم على عدم ترشيح عبيد الله للامارة ثانية

، وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولي ؛ فلما فصَل الجماعة من مجلس معاوية، خلا بعبيد الله وقال له : « كيف ضيّعت مثل هذا الرجل؟ - يعني الأحنف - فانه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدّمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرّجوا عليك لما فوّضت الأمر اليهم ، فمثل الأحنف من يتخذه الإنسان عوناً وذخراً » ؛ فلما عادوا إلى العراق ، أقبل عبيد الله على الأحنف وجعله بطانته وصاحب سرّه

تلك هي شخصية الأحنف : يعزل أمير العراقَيْن ويعيده إلى منصبه وهو ساكت !!

القائد

أول ما يلاحظ في الأحنف مزاياه الأنسانية الرفيعة التي جعلته موضع ثقة رؤسائه وحبهم وموضع ثقة مرؤوسيه وحبهم على حد سواء

وكان لذكائه اللماح وسعة إدراكه وسرعة بديهته ومنطقه الرائع السليم أثر عظيم على قابلية الأحنف في إعداد الخطط العسكرية الصحيحة الناجحة وإعطاء القرارات السريعة الصائبة ، كما كان لشجاعته الشخصية وإقدامه أثر كبير على وضع تلك الخطط والقرارات في حيّز التنفيذ

لقد كان يبذل قصارى جهده في إعداد خططه العسكرية وإعطاء قراراته ، فكان يستشير رجاله ويأخذ بالرأي السديد ، ولا يقتصر على استشارة ذوي الرأي ، بل يتجوّل سراً في الليل بين عامة رجاله يتسمّع أحاديثهم ، فاذا وجد رأياً سديداً يبدونه فيما بينهم سارع الى العمل به ، لا يهمه أن يأخذ الحكمة من أي وعاء !

وإذا كان هناك ما يمتاز به الأحنف في القيادة ، فأنه كان يقاتل عدوه بسيفه وبعقله معاً ، فقد كان على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام ، حتى أنه كان يستأثر بالخطر دون رجاله ويؤثرهم بالراحة والأمن ؛ كما كان على جانب عظيم من الدهاء فيوفر بدهائه على قواته

كثيراً من الجهود والمشقات

كما أنه كان يمتاز بقابليته التعبوية الفذة ، وهذا يفسر لنا كيف استطاع قهر أعدائه الكثيرين بقواته القليلة ، كما كان يمتاز في نفس الوقت بقابليته السوقية (الاستراتيجية) ، ولعل آراءه الصائبة التي أبداها لعمر بن الخطاب في انسياح المسلمين في أرض فارس دليل ملموس على قابليته السوقية

كما أنه كان يمتاز بصراحته النادرة مع قواته ، فقد كان يحذّرهم العدو ويذكر لهم قوته ويذكرهم بضعفهم بالنسبة لقوة عدوهم ، ولكنه يعود ليذكرهم بأن الفئة القليلة الصابرة تغلب الفئة الكثيرة التي لا صبر لها على القتال ، وصراحته هذه قلّ أن يتحلى بها قائد في الحرب ، خاصة قواد الحروب القديمة ، ذلك لأن مثل هذه الصراحة قد تؤثر على المعنويات وتؤدي إلى انهيارها

وكان يمتاز بقدرته الفذة على انتخاب مواقع القتال المناسبة لقواته ـ تلك المواقع التي تساعد قواته القليلة على دحر قوات عدوه الكثيرة ، فكان يحاول أن يجد لرجاله ساحة قتال تحميهم من الخلف وتحمي أجنحتهم حتى يقاتلوا في اتجاه واحد مطمئنين الى حماية مؤخرتهم وأجنحتهم

تلك هي مزاياه الشخصية التي أمتازت بها قيادة الأحنف على غيره من القادة ، فلا عجب أن يفتح خراسان — وهي منطقة واسعة نائية منيعة — بقوات قليلة لا يكاد العقل يصدق اليوم أنها استطاعت فتح خراسان في أيام عمر واستطاعت استعادة فتحها في أيام عثمان ، وكان لقيادة الأحنف المتزنة الفضل الأكبر في فتح خراسان مرتين

وعند تطبيق أعمال الأحنف العسكرية على مباديء الحرب ، نجد أنه كان (يختار مقصده ويديمه) فهو دائماً يعرف ما يريد ويسعى جاهداً للحصول عليه من أقصر الطرق وبأقل خسائر مادية ومعنوية

كما كان قائداً (تعرضياً) لم يلجأ الى (الدفاع) إلا لكي يعدّ العدة ليستأنف (التعرض) بقوة وعزم وكان يؤمن (بالمباغتة) ويطبقها خاصة بالمكان كما فعل في انتخابه مواضع دفاعية ممتازة سهلت عليه القضاء على هجمات العدو كما كان لايقدم على تنفيذ خطة من خططه العسكرية قبل أن ينجز (تحشيد قوته) من الناحيتين المادية والمعنوية وفي المكان والزمان الجازمين

وكان يحرص غاية الحرص على (الاقتصاد بالجهود) ، فلا يستخدم غير القوة المناسبة للواجب المطلوب ، وهذا أدّى الى عدم تكبد قواته خسائر لامبرر لها

وكان يهتم كثيراً بمتطلبات (الأمن) ، فيوفر الحماية لقواته ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، فلم يستطع عدوّه أن يباغت قوات العرب المسلمين أبداً ، وقد باغت العرب المسلمون عدوهم مرات !

وكان (التعاون) هدف الأحنف في كل معاركه ، ذلك لأن هدف جميع قواته سواء كانت من الكوفة أم من البصرة واحد ، هو القضاء على مقاومة عدوهم المشترك ، ونشر الاسلام في بلاده

وكان (يديم معنويات) رجاله ويسهر على تأمين (الأمور الادارية) لهم ، كل ذلك جعل الفئة القليلة التي كان يقودها تقهر الفئة الكثيرة بأذن الله

لقد كان الأحنف قائداً ممتازاً

الأحنف في التاريخ

يذكر الناس للأحنف حلمه الذي يضرب به المثل ، ولكن التاريخ يذكر للأحنف الى جانب حلمه مزاياه الانسانية العالية الأخرى — تلك المزايا التي لا تقل أهمية وروعة عن حلمه ، كما يذكر له أنه فاتح خراسان وموطد أركان الاسلام في أرجائها

لقد كان الأحنف إماماً في الحلم ، ولكنه كان — كما يذكر له التاريخ — إماماً في

الفقه ، إماماً في البلاغة ، إماماً في الدهاء ، إماماً في الأمانة ، إماماً في قوة شخصيته ، إماماً في رجاحة عقله ، إماماً في شدة ورعه ، إماماً في خلقه الرفيع ، وبالاضافة إلى كل ذلك كان إماماً في عبقرية قيادته

لقد كان رجلاً في أمة ، وأمة في رجل ... إنه سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه كما كان يقول عنه عمر بن الخطاب

رضي الله عن القوي الأمين ، الحليم الورع ، الفقيه الألمعي ، الاداري الداهية ، القائد الفاتح ، الأحنف بن قيس التميمي

الأعظمية :

محمود شيت خطاب

اللواء الركن

المصادر

١ — سنن الامام النسائي ـ للامام النسائي ـ المطبعة الميمنية بمصر في ١٣١٢ هـ

٢ — طبقات ابن سعد ـ ابن سعد ـ دار بيروت ودارصادر في بيروت ـ ١٣٧٦هـ

٣ — أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين أبوالحسن علي بن محمود الجزري المعروف بابن الأثير ـ المطبعة الاسلامية في طهران ـ ١٣٧٧ هـ .

٤ — الاصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي الكناني العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣ هـ

٥ — الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ـ مطبعة نهضة مصر

٦ — المعارف ـ ابن قتيبة تحقيق ثروت عكاشة ـ مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٠ م

٧ — وفيات الأعيان ـ ابن خلكان تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة النهضة المصرية ـ ١٣٦٧ هـ

٨ — تهذيب ابن عساكر ـ ابن عساكر ـ المطبعة العربية بدمشق ـ ١٣٥١ هـ .

٩ — الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية

١٠ — الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ محمد بن جرير الطبري ـ مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٥٧ هـ

١١ — ابن الأثير ـ تاريخ الكامل ـ ابن الأثير ـ مطبعة دار التحرير بمصر ـ ١٣٠٣ هـ .

١٢ — البلاذري ـ فتوح البلدان ـ أبو الحسن البلاذري ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٥٩م.
١٣ — البداية والنهاية ـ أبو الفدا ـ مطبعة السعادة بمصر
١٤ — تاريخ أبي الفدا ـ المختصر من أخبار البشر ـ الطبعة الأولى ـ عماد الدين اسماعيل أبو الفدا ـ المطبعة الحسينية بمصر ـ ١٣٢٥ هـ ـ الطبعة الأولى
١٥ — تاريخ الاسلام ـ شمس الدين الذهبي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٦٨ هـ
١٦ — تاريخ عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي ـ مطبعة محمد علي صبيح
١٧ — جمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ ابن حزم ـ مطبعة دار المعارف بمصر
١٨ — الامامة والسياسة ـ ابن قتيبة الدينوري ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ الطبعة الثانية
١٩ — شذرات الذهب ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ مكتبة القدسي بمصر ـ ١٣٥٠ هـ
٢٠ — تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ المطبعة الكبرى بمصر ـ ١٢٨٤ هـ
٢١ — ذكر أخبار أصبهان ـ أحمد عبد الله الأصبهاني ـ مطبعة ليدن ـ ١٩٣١ هـ
٢٢ — اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب ـ مطبعة الغري بالنجف ـ ١٣٥٨ هـ
٢٣ — معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣ هـ ـ الطبعة الأولى.
٢٤ — آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ـ مطبعة دار صادر ببيروت ـ ١٣٨٠ هـ
٢٥ — المسالك والممالك ـ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري ـ مطابع دار القلم بالقاهرة ـ ١٣٨١ هـ
٢٦ — الف باء ـ يوسف بن محمد البلوى ـ المطبعة الوهبية بمصر ـ ١٢٨٧ هـ
٢٧ — جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الأندلسي ـ دار المعارف بمصر

٢٨ — العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي ـ المطبعة الأزهرية بمصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٤٦ هـ.

٢٩ — عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٤٣ هـ

٣٠ — البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق حسن السندوبي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٧٥

٣١ — الكامل ـ المبرد ـ مطبعة محمد علي صبيح بمصر ـ ١٣٤٧ هـ

٣٢ — البخلاء ـ الجاحظ ـ دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والترجمة ـ ١٣٧٥ هـ

٣٣ — البدء والتاريخ ـ البلخي ـ مطبعة باريز ـ ١٩١٦ م

نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري

١) بحث المستشرقون ، وفي طليعهم ڤلهوزن ، نظام الضرائب في خراسان وقد توصل ڤلهوزن الى أنه لم تكن في خراسان إلا ضريبة واحدة ، تسمى جزية أو خراجاً ، وأنها كانت تؤخذ على رؤس الأفراد نتيجة اتفاقيات الصلح التي حددت اتاوات ثابتة على كل منطقة ، حتى جاء نصر ابن سيار فميز بين الضريبتين وأعفى المسلمين من الجزية وفرض الخراج على الأراضي عامة [١]

وكانت دراسة ڤلهوزن أساساً لغيره حتى جاء دينيت فتوصل إلى أن خراسان كلها كانت عهداً يؤدي أهل كل منطقة اتاوة محدودة ولم تكن أرضهم أرض خراج غير أنه من وجهة نظر الفرد بقي نظام الضرائب كما كان في العصر الساساني ، إذ كان الفرد يؤدي ضريبة أرض وضريبة تجارية وضريبة راس ، أي أن الضرائب بقيت كالسابق لان جمعها كان بيد الأمراء والرؤساء المحليين يجمعونها بالطريقة التي يرونها ويحتفظون لأنفسهم بما يشاؤون ، ولا يعطون للعرب إلا المبالغ المتفق عليها [٢] وهذا يعني أن نصراً لم يبتدع ،

---

(١) تاريخ الدولة العربية — تأليف فلهوزن ، تعريب أبو ريدة ص ٢٨٤ ، ص ٤٥٣ ـ ٧

(٢) دينيت ـ الجزية في الاسلام ص ١٨٥ ـ ١٩٠

بل أعاد التنظيم وأعاد تحديد المسؤولية في نظام قائم [1]

وقد استندت دراسة ڤلهوزن ودراسة دينيت الى كثير من التأويل ، وهما على قيمتها الكبيرة يتركان ثغرات واضحة

ولنبدأ بفرضيات تاريخية أولية مها أن العرب استندوا الى نظم الضرائب السابقة ولم يحدثوا فيها تغييرات أساسية وثانيها أن الطبري لم يستعمل المصطلحات ، كالجزية أو الخراج ، اعتباطاً وانما استعملها حسب مدلولاتها الادارية في المنطقة . وهذه نقطة خطيرة إذا تذكرنا أنها أساس تفسير ڤلهوزن والنقطة الرئيسية في مناقشة دينيت

٢ — ان الادارة المالية في خراسان في صدر الاسلام ليست واضحة كما ينتظر ، لقلة المعلومات من جهة ولطبيعة الادارة من جهة ثانية فقد عقد أمراء المقاطعات والمدن الايرانية بين « عظيم » و« مرزبان » و « صاحب » اتفاقيات مع العرب الفاتحين تعهدوا بموجبها أن يدفعوا ضريبة سنوية مشتركة ، تسمى مرة جزية [2] ومرة وظيفة [3] ومرة خراجاً [4] ومرة اتاوة [5]

ويبدو لأول وهلة أن الاتفاقيات لا توضح نوع الضرائب التي تأتي منها هذه الضريبة المشتركة ، وخاصة وأن جلها لا يحوي إلا اشارات عابرة

ولأجل أن نفهم نظام الضرائب يلزمنا مبدئياً توضيح مدلول كلمتي « الجزية » و « الخراج » في هذه الفترة

لقد وردت كلمة « الجزية » و« الجزاء » في الطبري في عدد من الاتفاقيات الاولى

---

(١) نفس المرجع ص ١٩٤

(٢) البلاذري ص ٥٧٠ ، الطبري ج ٤ ص ٢٥٤ ج ٥ ص ٨١—٢

(٣) البلاذري ٥٦٩

(٤) نفس المصدر ٥٧١

(٥) نفس المصدر ص ٥٨٦

لتعني ضريبة الرأس كما هو الحال في الاتفاقيات مع أهل أرمينية ، وشهربزار والري [1] وقومس [3] واذربيجان [4]

ويتضح هذا المعنى بجلاء في نصوص الصلح مع أهل جرجان وشهربزار وارمينية حيث يعفى من الجزية كل من يقاتل مع المسلمين جاء في صلح جرجان « على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه [5] » وورد في الصلح مع شهربزار وارمينية « أن ينفروا لكل غارة .. على أن توضع الجزاء عمن أجابه الى ذلك الحشر ، والحشر عوض عن جزائهم [6] »

ويبدو الأمر أكثر تعقيداً في استعمال كلمة خراج يقول الطبري في حديثه عن الصلح مع جرجان « أخذ الخراج من سائر أهلها وكتب بينه وبينهم كتاباً [7] » ثم يورد نص الاتفاق ومنه « على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ولا متعبد متخل ليس في يديه من الدنيا شيء .. ومن حشر منهم في سنه وضع عنه جزاء تلك السنة [8] » ومن هذا نرى أنه استعمل تعبير (خراج) ليعنى به الجزية المشتركة التي فرضت على أهل جرجان

ولما تقدم مرزبان مرو الروذ بطلب الصلح من المسلمين عرض على الأحنف « على أن

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٠٣
(٢) ن م ج ٤ ص ٢٠٣
(٣) ن م ج ٤ ص ٢٠٤
(٤) ن م . ج ٤ ص ٢٠٦
(٥) ن م . ج ٤ ص ٢٠٤
(٦) ن م . ج ٤ ص ٢٠٣
(٧) ن م ج ٤ ص ٢٠٤
(٨) ن م . ج ٤ ص ٢٠٦

أؤدي لكم خراجاً ستين الف درهم .. ولا تأخذوا من أهل بيتي شيئاً من الخراج »
فوافق الأحنف وقال « على أن تؤدي عن أكرتك وفلاحيك والأرضين ستين الف درهم إليّ ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام »[1]

ومن هذا نرى أنه فرض على مرو (خراج) ستين الف درهم يدفعها المرزبان عن « أكرته وفلاحيه والأرضين» وقد يعني تعبير (الأرضين) الضريبة على الأرض أو على سكان منطقة مرو وقد أشار البلاذري الى المبلغ المصالح عليه مرة[2]، ودل على أنه الجزية المشتركة في مكان آخر[3] إذ يقول « قالوا وقدم ماهويه مرزبان مرو على علي بن أبي طالب في خلافته وهو بالكوفة فكتب الى الدهاقين والأساورة والدهشلارية ان يؤدوا اليه الجزية »

وترد كلمة خراج في أماكن أخرى بمعنى الجزية المشتركة في الاتفاقيات المعقودة مع مناطق خراسان فقد جاء في الاتفاق مع مرزبان هراة وبوشنج وباذغيس مايلي : « وصالحه (أي ابن عامر) عن هراة سهلها وجبلها على أن يؤدي من الجزية ما صالحه عليه وان يقسم ذلك على الأرضيين عدلاً بينهم فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة..» ثم يقول البلاذري : « ويقال صالحه مرزبان .. على الف الف درهم » وهذا يشعر بأن الوظيفة المفروضة هي جزية مشتركة، وان تعبير « الأرضين » يعني سكان الأرياف[4]

ونجد تأييد ذلك في استعمالات تالية لكلمتي « خراج » و « جزية » ففي الحديث عن تدابير عمر بن عبدالعزيز يقول البلاذري « ووضع عمر الخراج عمن أسلم بخراسان».[5]

---

(١) ن . م ج ٥ ص ٨١ — ٨٢
(٢) البلاذري ص ٤٠٦
(٣) ن م ص ٤٠٨
(٤) ن م ص ٥٠٧
(٥) البلاذري ص ٤٢٦

ولكن الطبري يقول « وكتب عمر الى الجراح (عامله على خراسان) : وانظر من صلي قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية » ، فسارع الناس الى الاسلام [١] وهنا نرى البلاذري يستعمل كلمة « خراج » بمفهوم الاتفاقيات أي الجزية المشتركة

ويمكننا أن نجد تأييد ما ذكرنا من الوقائع لقد أورد البلاذري مقدار الخراج الذي فرض في الاتفاقيات على مناطق خراسان ، وحين نتبين مجموع ما فرض على الطبسين (باب خراسان) ونسا وأبيورد ومرو الروذ ونيسابور وطوس وهراة وبلخ ومرو الشاهجان ، نجد أنه يبلغ حوالي سبعة ملايين درهم[٢]. وهذا مبلغ ضئيل بالنسبة لمجموع وارد خراسان ، ففي جريدة الرشيد كان هذا الوارد يبلغ (٢٨) مليون درهم والف نقرة فضة و ٤٠٠٠ برذون والف راس من الرقيق و ٢٧٠٠٠ ثوب وثلاثمائة رطل اهليلج [٣] ومن الواضح أن هذا الوارد كان بعد تخفيض ضريبة الخراج وبعد نقص وارد الجزية بانتشار الاسلام مما يدل على أن مفهوم (الخراج) أو (الوظائف) كما جاء في الاتفاقيات الأولى هو الجزية المشتركة

وبهذا المفهوم لكلمة (الخراج) ، أي بمعنى الجزية المشتركة ، تتضح نصوص الطبري عن الفترة الأموية في خراسان فحين يقول الطبري « فاتما خراج خراسان على رؤوس الرجال » [٤] نفهم أنه الجزية المشتركة تجبى من الأفراد على رؤسهم

ولننظر الآن الى وضع الضرائب في خراسان

٣ — عقدت اتفاقيات الصلح مع الرؤساء المحليين من مرازبة ودهاقين وكلف هؤلاء

---

(١) الطبري ج ٨ ص ١٣٤ ، انظر اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥

(٢) البلاذري ص ٤٠٤ — ٤١١

(٣) الجهشياري ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٤) الطبري ج ٨ ص ١٩٦

بجباية الوظايف منذ البدء [١] وهي مبالغ محددة ثابتة وقد استمر الدهاقين على الجباية في غالب الأحيان طيلة الفترة الأموية[٢]. ويبدو أن بعض الدهاقين حصلوا على اعفاءات لأنفسهم ولأهل بيتهم من الجزية المشتركة منذ البدء (كما فعل مرزبان مرو [٣]) كما أنهم كانوا يراعون مصالحهم عند توزيع الجزية المشتركة وهذا الوضع يعني ان انتشار الاسلام يقلل موارد الجزية المشتركة ويعقد مسؤلية الدهاقين في الجباية ويتعارض مع مصالحهم المادية لذلك نجدهم يشككون في دخول الناس في الاسلام ويصورونه (نفوراً من الجزية) وهرباً منها [٤]، ويهددون بانكسار (الخراج) ويلحون في فرض الجزية على من أسلم. لذا كانت الشكاوى تتكرر من الدهاقين [٥]

وهنا يجدر بنا أن نتذكر انالضرائب في خراسان لم تكن قاصرة علىالجزية المشتركة، فهناك منذ العصر الساساني ضرائب على الأرض وأخرى على الصناعات والحرف وضرائب على التجارة وذلك غير الآيين والهدايا ونحن نعرف ان الادارة العربية اتبعت النظام المالي المحلي [٦] ومع اننا لا نجد عرضاً صريحاً للتقاليد الساسانية في الضرائب إلا أننا نجد إشارات تشعر بوجودها فالطبري يذكر هدايا أهل بلخ إلى أبن عم الأحنف، في نص له دلالته. قال الطبري « ثم انصرف (الأحنف) الى بلخ وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، وكان وافق وهو يجبيهم المهرجان، فأهدوا اليـــه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير

---

(١) البلاذري ص ٨ ٤

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٩٦

(٣) ن م ج ٥ ص ٨١—٨٢

(٤) الطبري ج ٨ ص ١٣١، ج ٩ ص ١٩٦

(٥) انظر موقف (تغشادة) من انتشار الاسلام في منطقة بخارا واتهام المسلمين بانهم منافقون يثيرون الفتنة (فن فلوتن — السيادة العربية — ص ٥٣ — ٤)

(٦) Christensen L'Iran P. 118-124; P. 326.

ودراهم ومتاع وثياب فقال ابن عم الأحنف : هذا ما صالحناكم عليه ؟ قالوا : لا ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا ونستعطفه به . قال وما هذا اليوم؟ قالوا : المهرجان. قال : ما أدري ما هذا واني لأكره أن أرده ولعله من حقي ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر» ثم استشار الأحنف في ذلك ، فرجع الأحنف إلى ابن عامر ، فقال هذا : أقبضه يا أبا بحر فهو لك. قال لا حاجة لي فيه قامر ابن عامر أحد رجاله أن يقبضه [1] » . وهناك اشارات أخرى إلى أخذ الهدايا ، مثل الهدايا النفيسة التي قدمت إلى أسد بن عبد الله ١٢٠هـ [2]

وهناك اشارات تدل على وجود ضرائب على الأراضي وعلى أن الادارة الأموية كانت تشرف عليها ، وانها استعانت بالعمال العرب أحياناً ذكر الطبري ان سعيد خذينة لما قدم خراسان (١٠١/١٠٣ هـ) دعا قوماً من الدهاقين فأستشارهم فيمن يوجه الى الكور ، فأشاروا اليه بقوم من العرب فولاهم ، فشكوا اليه فقال للناس يوماً « اني قدمت البلد وليس لي علم بأهله فاستشرت فأشاروا علي بقوم فسألت عنهم فحمدوا فوليتهم فأحرج عليكم لما أخبرتموني عن عمالي فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : فانك شاورت المشركين ، فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم ، فهذا علمنا فيهم [3] » وهذا النص يدل على وجود عمال من العرب جنب الدهاقين ، وعلى انهم يكلفون بالجباية في الكور . وهذه جباية لا يمكن ان تتعلق بالجزية المشتركة التي هي مسؤلية الدهاقين

ولدينا ما يدل على ان الادارة الأموية حاولت أن تعتمد في الجباية أحياناً على عمال يختارهم أهل المنطقة يقول الطبري ، « وكان عمر بن هبيرة (١٠٦ م) قال لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان : وعليك بعمال العذر . فقال وما عمال العذر ؟ قال : مر أهل كل

---

(١) الطبري ج ٧ ص ٨٣

(٢) ن م ج ٨ ص ٢٤٧

(٣) ن م ج ٨ ص ١٦١ — ١٦٢ .

بلد أن يختاروا لأنفسهم فاذا اختاروا رجلا فوله ، فان كان خيراً كان لك وان كان شراً كان لهم دونك وكنت معذوراً [(1)] » وهذه وان كانت محاولة لتجنب الشكوى إلا أنها تشير إلى جباية الأرض وإلى ان مسؤوليها لم تكن بيد الدهاقين

وتجابهنا أحياناً شكاوى تبين مسؤلية العرب عن أموال الجباية فقد أخذ مسلم بن سعيد جماعة من أشراف العرب بخراسان بتهمة احتجان أموال بيت المال ، لحذره البعض من ذلك قائلين « ان فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار لأن هؤلاء الذين تريد أخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قرفوا بالباطل » ثم قيل للأمير « والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان واهل الولايات والكلف العظام في المغازي ، وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق فجاؤا على الحمرات فولوا الولايات فاقتطعوا الأموال فهي عندهم موفرة جمة »[(2)] وهذا يشعر بوضوح بوجود عمال من العرب مسؤلين عن الجباية وبعد هذا فان ما أورده الطبري عن تدابير نصر بن سيار يؤيد وجود ضريبة للأرض غير الجزية المشتركة أو الوظيفة (أو الخراج بهذا المعنى) ، قبل زمنه يقول الطبري « ثم صنف (نصر) الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح[(3)] » وواضح هنا ان « الخراج » يعني ضريبة الأرض ، وان « الوظيفة » تعني الجزية المشتركة أو « الخراج » في الاتفاقيات

ونلاحظ هنا أول استعمال للخراج بمفهومه الذي استقر عليه في الاصطلاح أي ضريبة الأرض

٤ — نخلص من كل هذا الى أن تنظيم الضرائب في خراسان تضمن مبدئياً الجزية

---

(١) ن م ج ٨ ص ١٨٦

(٢) ن م ج ٨ ص ١٣٧

(٣) ن م ج ٩ ص ١٩٦

المشتركة التي فرضت على مقاطعات خراسان بعقود الصلح وأنها سميت « خراجاً » و« وظيفة » و « أتاوة » ، وان أمراء المقاطعات من دهاقين وعظماء كلفوا بجبايتها وكانت هـــذه الجزية توزع على الرؤوس وبالاضافة الى ذلك بقيت الضرائب الأخرى التي كانت زمن الساسانيين ، مثل ضريبـــة الأرض وضرائب الصناعات ، والآيين وكانت مسؤلية هذه الضرائب على العرب سواء تولاها عمال منهم أو استعانوا بالسكان المحليين ومع ان هذه الضرائب كانت مهمة من حيث الوارد الا اننا لانسمع شكوى تذكر عنها ، وكل ما نسمعه يتعلق بالجزية المشتركة (الخراج بمفهوم الاتفاقيات) ، لأن مجموع ما يؤخذ على المنطقة كان محدوداً لا يتغير بانتشار الاسلام ، ولأن الدهاقين تلاعبوا بطرق الجباية ليحفظوا امتيازاتهم وفوائدهم ولئلا يتعرضوا للخسارة المادية

ويمكننا أن نتفهم التطورات من النصوص القليلة لدينا ففي عهـد معاوية « ضاعف (عامله) على أهل مرو الخراج [1] » ، أي زاد في الوظيفة التي حددها الصلح ويذكر عن الأشرس أمير خراسان زمن هشام بن عبد الملك أنه « زاد في وظائف خراسان واستخف بالدهاقين [2] » . وواضح هنا ان استخفافه بالدهاقين دليل على فرض مسؤليات ثقيلة عليهم لأن جباية هذا « الخراج » أو الجزية المشتركة كانت مسؤوليهم وهذان هما المثلان الوحيدان عن زيادة الوظائف

ويبدو ان تلاعب الدهاقين بجباية الجزية المشتركة كان في فرض الجزية على الداخلين في الاسلام بحجة الخوف من نقص المبالغ التي حددتها اتفاقيات الصلح وهذا ولد شكوى مستمرة من سوء تصرف الدهاقين وأول صيحة نسمعها كانت زمن عمر بن عبد العزيز حين جاء وفد من أهل خراسان وكان بينهم مولى ، فلما سأله عمر عن الوضع قال « يا امير

(١) المقدسي — البدء والتاريخ ج ٦ ص ١

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٩٨

المؤمنين ، عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج (أي الجزية) » وقدحاول عمر بن عبدالعزيز معالجة هذا الوضع ، فكتب الى الجراح عامله على خراسان « أنظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية » ودعا الى الرفق في الجباية ، كما أكد المساواة في العطاء ولما تلكأ الجراح عزله [1]

ثم نرى محاولة أخرى في ولاية أشرس بن عبد الله السلامي زمن هشام (سنة ١١٠هـ) أراد أشرس لأسباب سياسية وعسكرية نشر الاسلام فيما وراء النهر ووعد باعفاء من يسلم من الجزية وهذا هو نص الطبري « ذكر ان أشرس قال في عمله بخراسان : إبغوني رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى ما وراء النهر فيدعوهم الى الاسلام فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة ان من أسلم لم يؤخذ منه الجزية ، فان خراج خراسان على رؤوس الرجال قال أشرس : نعم قال أبو الصيداء لأصحابه : فاني أخرج ، فان لم يف العمال اعنتموني عليهم قالوا : نعم فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن بن أبي العمرطه الكندي على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على أن ترفع عنهم الجزية فسارع الناس ، فكتب غوزك (الأمير المحلي) الى أشرس « ان الخراج قد انكسر » فكتب أشرس الى ابن أبي العمرطة : ان في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني ان أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا في الاسلام تعوذا من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فأرفع عنه خراجه ثم عزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الخراج وصيره إلى هاني ابن هاني وضم اليه الاشحيذ فقال ابن أبي العمرطة لأبي الصيداء : لست من الخراج الآن في شيء فدونك هانئاً والاشحيذ . فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ : ان الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى الى أشرس

---

(١) ن م ، ج ٨ ص ١٣٤ ؛ اليعقوبي — التاريخ ج ٣ ص ٤٥

فقالوا : ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً فكتب أشرس إلى هانيء وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجزية على من أسلم » وقامت ثورة عامة في السغد [١]

وهنا نرى ان بلاد ما وراء النهر كانت تدفع الخراج أو الجزية المشتركة ، وان دخول الاسلام لم يكن يؤدي بالضرورة الى اعفاء الشخص من جزية رأسه (أو نصيبه من هذا الخراج) وان العمال كان لهم اشراف عام على الجباية وجاء أشرس فوعد باعفاء من يسلم من (خراجه) أو جزيته ، فدخل الكثيرون في الاسلام وواضح ان كلمة (خراج) في النص جاءت بمعنيين متوازيين ، فهي بالنسبة للفرد جزية رأسه ، وهي بالنسبة للمنطقة الجزية المشتركة او الوظيفة وكان انتشار الاسلام يعني نقص عدد المساهمين في دفع الوظيفة ، ولذا رعب الدهاقين من انتشار الاسلام لأنهم يتحملون مسؤولية تقديم كمية الخراج (الجزية المشتركة) دون نقص ، وعبروا عن معارضتهم بقولهم لأشرس « ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً (أي مسلمين) » وكانت النتيجة ان طلب أخذ الجزية ممن كانت فرض عليهم

هذا ولا بد أن نبين إن أسباب موقف أشرس تعود لحد ما إلى شكه في الدوافع لدخول الاسلام ، كما ان موقف الأمراء المحليين مثل غوزك في مقاومة المشروع يعود الى طموحهم وأملهم في الانفصال كما أشار بارتولد وجب [٢]

وقد استمرت الثورة هذه إلى أن جاء نصر بن سيار ، فقام بتوضيح نظام الضرائب

(١) الطبري ج ٨ ص ١٩٦ — ١٩٧

(٢) Gibb-Arab Conquest in Central Asia P. 69; W. Bartbold, in W. Radoff Die Aet-Turkischen Inschinften der Mongolei vol II P. 24-5

دينيت ـ الجزية في الاسلام ص ١٩ ـ ١

وبأصلاحه في خراسان وقد اورد الطبري ذلك وألقى ضوءاً جديداً على نظام الضرائب كله روى المدائني ان نصراً خطب في مرو « فقال : إلا أن بهرامسيس كان مانح المجوس عنحهم ويدفع عهم ويحمل أثقالهم على المسلمين إلا أن اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى إلا أن عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك إلا أنه لايقبل مني إلا توفي الخراج على ما كتب ورفع وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم ، فأيما رجل من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك إلى منصور بن عمر يحوله عن المسلم إلى المشرك قال فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألغيت عهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح ، فكانت مرو يؤخذ منها مائة الف سوى الخراج أيام بني أمية » (١)

تبدو في النص أمور ، فهو يشير الى تلاعب بعض من أهل الذمة المكلفين بالجباية فلو جاز لنا أن نفترض ان بهرامسيس من الدهاقين ، وهذا فرض لا أكثر ، فان اشبداد وعقيبة لا يمكن أن يكونا إلا ممثلين للمسيحيين ولليهود في منطقة مرو ويبدو أن هؤلاء الثلاثة ، مثلا ، أخذوا الجزية من المسلمين واعفوا منها بعض المشركين من أعوانهم وأنصارهم بل انهم ثقلوا على المسلمين في جزيتهم وخففوا من ذلك على المشركين في حصصهم من الجزية المشتركة

وهنا يبدو لي ان عبارة « أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرجع ذلك الى منصور بن عمر (ممثل الأمير) يحوله عن المسلم الى المشترك » لا يمكن ان تعني ضريبة الأرض ، كما افترض دينيت ، لأن وارد الأرض لم يكن محدداً برقم ثابت

(١) الطبري ج ٨ ص ٢٦٨

كالجزية المشتركة ، ولا بد وانه يعني الزيادة في الجزية المفروضة على المسلمين وتخفيف جزية المشركين [1]

ونرى ان نصراً أوضح ان مقدار الخراج أو الوظيفة محدد من قبل وان هـــذا يلزم استيفاءه على ما كتب من قبل ، أي على ما هو عليه من قبل ، وان نصيب مرو كان مائة الف ونرى أن ضريبة الأرض غير داخلة في هذه الوظيفة أو المبلغ المحدد ، بل هي فوق ذلك ، وان هذه الضريبة كانت تفرض طيلة الفترة الأموية

ومن كل هذا نخلص الى ان نصر بن سيار قام باصلاح تنظيمي عادل ، بان أعفى المسلمين من الجزية واعاد فرضها على المشركين الذين اعفاهم الدهاقين أو الجباة من أهل الذمة لاسباب اجتماعية أو سياسية ، كما انه نظم ضريبة الأرض بان صنفها وفرضها بشكل عادل على اصحاب الاراضي

وفي الختام ، نود ان نوضح اننا لا نسمع بشكاوى الا من تصرف الدهاقين في فرض الجزية ، وان هذه كانت محدودة ولذا فلا نرى أساساً لفرضية فلوتن أوغيره في انالدعوة العباسية نجحت نتيجة ثقل الضرائب بل كان لنجاحها اسباب أهم واخطر

عبد العزيز الدوري

(١) انظر دينيت ـ الجزية في الاسلام ص ١٩٤

أدارسة صقلية

بقلم الدكتور حسين مؤنس

تمهيد :

ما زالت الدولة الإدريسية تنتظر مَنْ يكتب تاريخها ويحدد دورها في بناء المغرب العربي ، ولا زال أصحاب كتب التاريخ الاسلامي العام ينظمونها في سلك الدويلات التي تقاسمت نواحي المغرب الاسلامي ابتداءً من منتصف القرن الهجري الثاني جاعلين إياها صنواً لدولة بني الأغلب أو دولة بني رستم التاهرتيين أو حتى دولة بني مدرار أصحاب سجلماسة ، ويفوتهم في أثناء هذا العرض السريع المتواضع أن يتبينوا مكانها كحجر الزاوية في بناء إسلام المغرب وعروبته ، وما قامت به من دور عظيم في مدّ رقعة الاسلام في شمال المغرب الأقصى وغربي المغرب الأوسط والقضاء على نزعات الخارجية التي اجتاحت هذه النواحي من أواخر القرن الهجري الأول ، وما بذله أمراؤها من جهد في إرساء أسس الاسلام الصحيح ، وتثبيت دعائم العروبة ولغتها وثقافتها في بلد أصبح بفضل الأدارسة الدرع الواقي للجناح الغربي من مملكة الاسلام

والحقيقة أن كتابة هذا التاريخ والقيام بحقه عسيرة كل العسر ، فإن المعلومات عن دولة الأدارسة قليلة لا تزيد على صفحات عند أبي عبيد البكري وابن الأثير وابن خلدون وابن عذارى وصاحب روض القرطاس والنويري وابن الأبار وابن حماده ، وهذا النزر

اليسير من المعلومات بعد ذلك متناقض متعارض سطحي يصعب معه الوصول إلى الحقائق والأصول التي يطلبها من يقوم على كتابة التاريخ بحقه ولا يكتفي بظواهر الأحداث وبسائط الوقائع

وقد ألم ا ف جوتييه بتاريخ الأدارسة في كتابه المعروف عن القرون الغامضة من تاريخ المغرب ، وربط قيام دولتهم بما كان لبلدة وليلى Volubilis من دور كبير في تاريخ المغرب الأقصى على أيام الرومان ، وشطح بالموضوع على طريقته في تصور التاريخ ، وزاد الأمر بذلك تعقيداً ، وعلى هذه الشطحات بنى جورج مارسيه ما قاله عن الأدارسة في كتابه عن المغرب خلال العصور الوسطى ، وطوع المادة اليسيرة التي جمعها لتلك النظرية الضالة التي ما زال الفرنسيون متشبثين بها من أيام هنري فورنل ، وهي نظرية زورها أصحابها لتأييد ما كانت فرنسا ترمى إليه من فصل المغرب عن الكيان العربي ، وقد كذب الله ظنونهم وله الحمد كل الحمد

نظرة عامة في تاريخ الأدارسة :

وقد تبينت جانباً من هذه الصعوبة عند ما مست الحاجة إلى تقويم شجرة النسب الإدريسي لتحقيق بعض الأخبار التي أوردها أبو عبد الله بن الأبار في كتابه المبدع « الحلة السيراء » وقد اعتمدت أول الأمر على « جمهرة » ابن حزم ، وعند ما شرعت في تحقيق ما جاء فيها ومقارنته بما ذكره أبو عبيد البكري وابن عذارى وابن الأثير وابن خلدون والنويري من أحداث التاريخ الإدريسي تبينت أن صاحب « الجمهرة » قد وقع في أخطاء كثيرة وخلط في أنساب الأدارسة ، ثم راجعت ذلك كله على ما في روض القرطاس ، واستطعت أن أقوم معظم فروع الشجرة وأربطها إلى الجذع الإدريسي على نحو معقول وقد أخرت الرجوع إلى روض القرطاس لأن صاحبه من أقل المؤرخين تدقيقاً وضبطاً ، وقد عانيت من أخطائه الشيء الكثير

بجباية الوظايف منذ البدء [١] وهي مبالغ محددة ثابتة وقد استمر الدهاقين على الجباية في غالب الأحيان طيلة الفترة الأموية [٢] ويبدو أن بعض الدهاقين حصلوا على اعفاءات لأنفسهم ولأهل بيهم من الجزية المشتركة منذ البدء (كما فعل مرزبان مرو [٣]) كما أنهم كانوا يراعون مصالحهم عند توزيع الجزية المشتركة وهذا الوضع يعني ان انتشار الاسلام يقلل موارد الجزية المشتركة ويعقد مسؤلية الدهاقين في الجباية ويتعارض مع مصالحهم المادية لذلك نجدهم يشككون في دخول الناس في الاسلام ويصورونه (نفوراً من الجزية) وهرباً منها [٤]، ويهددون بانكسار (الخراج) ويلحون في فرض الجزية على من أسلم لذا كانت الشكاوى تتكرر من الدهاقين [٥]

وهنا يجدر بنا أن نتذكر ان الضرائب في خراسان لم تكن قاصرة على الجزية المشتركة، فهناك منذ العصر الساساني ضرائب على الأرض وأخرى على الصناعات والحرف وضرائب على التجارة وذلك غير الآيين والهدايا ونحن نعرف ان الادارة العربية اتبعت النظام المالي المحلي [٦] ومع اننا لا نجد عرضاً صريحاً للتقاليد الساسانية في الضرائب إلا أننا نجد إشارات تشعر بوجودها فالطبري يذكر هدايا أهل بلخ إلى ابن عم الأحنف، في نص له دلالته قال الطبري « ثم انصرف (الأحنف) الى بلخ وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه، وكان وافق وهو يجبيهم المهرجان، فأهدوا اليه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير

---

(١) البلاذري ص ٤٠٨

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٩٦

(٣) ن م ج ٥ ص ٨١—٨٢

(٤) الطبري ج ٨ ص ١٣٠؛ ج ٩ ص ١٩٦

(٥) انظر موقف (تغشادة) من انتشار الاسلام في منطقة بخارا واتهام المسلمين بانهم منافقون يثيرون الفتنة (فلوتن — السيادة العربية — ص ٥٣—٤)

(٦) Christensen L'Iran P. 118-124; P. 326.

ودراهم ومتاع وثياب فقال ابن عم الأحنف : هذا ما صالحناكم عليه ؟ قالوا : لا ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا ونستعطفه به قال وما هذا اليوم؟ قالوا : المهرجان. قال : ما أدري ما هذا واني لأكره أن أرده ولعله من حقي ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر» ثم استشار الأحنف في ذلك ، فرجع الأحنف إلى ابن عامر ، فقال هذا : أقبضه يا أبا بحر فهو لك. قال لا حاجة لي فيه . قام ابن عامر أحد رجاله أن يقبضه [1] » . وهناك اشارات أخرى إلى أخذ الهدايا ، مثل الهدايا النفيسة التي قدمت إلى أسد بن عبد الله ١٢٠ هـ [2]
وهناك اشارات تدل على وجود ضرائب على الأراضي وعلى أن الادارة الأموية كانت تشرف عليها ، وانها استعانت بالعمال العرب أحياناً ذكر الطبري ان سعيد خدينة لما قدم خراسان (١٠١/١٠٣ هـ) دعا قوماً من الدهاقين فأستشارهم فيمن يوجه الى الكور ، فأشاروا اليه بقوم من العرب فولاهم ، فشكوا اليه فقال للناس يوماً « اني قدمت البلد وليس لي علم بأهله فاستشرت فأشاروا علي بقوم فسألت عنهم فحمدوا فوليتهم فأحرج عليكم لما أخبرتموني عن عمالي فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : فانك شاورت المشركين ، فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم ، فهذا علمنا فيهم [3] » وهذا النص يدل على وجود عمال من العرب جنب الدهاقين ، وعلى انهم يكلفون بالجباية في الكور . وهذه جباية لا يمكن ان تتعلق بالجزية المشتركة التي هي مسؤلية الدهاقين

ولدينا ما يدل على ان الادارة الأموية حاولت أن تعتمد في الجباية أحياناً على عمال يختارهم أهل المنطقة يقول الطبري ، « وكان عمر بن هبيرة (١٠٦ م) قال لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان : وعليك بعمال العذر فقال وما عمال العذر ؟ قال : مر أهل كل

---

(١) الطبري ج ٥ ص ٨٣

(٢) ن م ج ٨ ص ٢٤٧

(٣) ن م ج ٨ ص ١٦١ — ١٦٢ .

بلد أن يختاروا لأنفسهم فاذا اختاروا رجلا فولِه ، فان كان خيراً كان لك وان كان شراً كان لهم دونك وكنت معذوراً [1] » . وهذه وان كانت محاولة لتجنب الشكوى إلا أنها تشير إلى جباية الأرض وإلى ان مسؤوليها لم تكن بيد الدهاقين

وتجابهنا أحياناً شكاوى تبين مسؤلية العرب عن أموال الجباية فقد أخذ مسلم بن سعيد جماعة من أشراف العرب بخراسان بهمة احتجان أموال بيت المال ، فحذره البعض من ذلك قائلين « ان فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار لأن هؤلاء الذين تريد أخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قرفوا بالباطل » ثم قيل للأمير « والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان واهل الولايات والكلف العظام في المغازي ، وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق فجاؤا على الحمران فولوا الولايات فاقتطعوا الأموال فهي عندهم موفرة جمة » [2] وهذا يشعر بوضوح بوجود عمال من العرب مسؤلين عن الجباية وبعد هذا فان ما أورده الطبري عن تدابير نصر بن سيار يؤيد وجود ضريبة للأرض غير الجزية المشتركة أو الوظيفة (أو الخراج بهذا المعنى) ، قبل زمنه يقول الطبري « ثم صنف (نصر) الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح [3] » وواضح هنا ان « الخراج » يعني ضريبة الأرض ، وان « الوظيفة » تعني الجزية المشتركة أو « الخراج » في الاتفاقيات

ونلاحظ هنا أول استعمال للخراج بمفهومه الذي استقر عليه في الاصطلاح أي ضريبة الأرض

٤ — نخلص من كل هذا الى أن تنظيم الضرائب في خراسان تضمن مبدئياً الجزية

---

(١) ن م ج ٨ ص ١٨٦

(٢) ن م ج ٨ ص ١٣٧

(٣) ن م ج ٩ ص ١٩٦

المشتركة التي فرضت على مقاطعات خراسان بعقود الصلح وأنها سميت « خراجاً » و« وظيفة » و « أتاوة » ، وان أمراء المقاطعات من دهاقين وعظماء كلفوا بجبايتها وكانت هـــذه الجزية توزع على الرؤوس وبالاضافـة الى ذلك بقيت الضرائب الأخرى التي كانت زمن الساسانيين ، مثل ضريبـــة الأرض وضرائب الصناعات ، والآيين وكانت مسؤلية هذه الضرائب على العرب سواء تولاها عمال منهم أو استعانوا بالسكان المحليين ومع ان هذه الضرائب كانت مهمة من حيث الوارد الا اننا لا نسمع شكوى تذكر عنها ، وكل ما نسمعه يتعلق بالجزية المشتركة (الخراج بمفهوم الاتفاقيات) ، لأن مجموع ما يؤخذ على المنطقة كان محدوداً لا يتغير بانتشار الاسلام ، ولأن الدهاقين تلاعبوا بطرق الجباية ليحفظوا امتيازاتهم وفوائدهم ولئلا يتعرضوا للخسارة المادية

ويمكننا أن نتفهم التطورات من النصوص القليلة لدينا ففي عهـد معاوية « ضاعف (عامله) على أهل مرو الخراج [1] » ، أي زاد في الوظيفة التي حددها الصلح ويذكر عن الأشرس أمير خراسان زمن هشام بن عبد الملك أنه « زاد في وظائف خراسان واستخف بالدهاقين [2] » . وواضح هنا ان استخفافه بالدهاقين دليل على فرض مسؤليات ثقيلة عليهم لأن جباية هذا « الخراج » أو الجزية المشتركة كانت مسؤوليتهم وهذان هما المثلان الوحيدان عن زيادة الوظائف

ويبدو ان تلاعب الدهاقين بجباية الجزية المشتركة كان في فرض الجزية على الداخلين في الاسلام بحجة الخوف من نقص المبالغ التي حددتها اتفاقيات الصلح وهذا ولد شكوى مستمرة من سوء تصرف الدهاقين وأول صيحة نسمعها كانت زمن عمر بن عبد العزيز حين جاء وفد من أهل خراسان وكان بينهم مولى ، فلما سأله عمر عن الوضع قال « يا امير

(١) المقدسي — البدء والتاريخ ج ٦ ص ١

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٩٨

المؤمنين ، عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج (أي الجزية) » وقد حاول عمر بن عبدالعزيز معالجة هذا الوضع ، فكتب الى الجراح عامله على خراسان « أنظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية » ودعا الى الرفق في الجباية ، كما أكد المساواة في العطاء ولما تلكأ الجراح عزله [1]

ثم نرى محاولة أخرى في ولاية أشرس بن عبد الله السلامي زمن هشام (سنة ١١٠هـ) أراد أشرس لأسباب سياسية وعسكرية نشر الاسلام فيما وراء النهر ووعد باعفاء من يسلم من الجزية وهذا هو نص الطبري « ذكر ان أشرس قال في عمله بخراسان : إبغوني رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى ما وراء النهر فيدعوهم الى الاسلام فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة ان من أسلم لم يؤخذ منه الجزية ، فان خراج خراسان على رؤوس الرجال قال أشرس : نعم قال أبو الصيداء لأصحابه : فاني أخرج ، فان لم يف العمال اعنتموني عليهم قالوا : نعم فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن بن أبي العمرطه الكندي على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على أن ترفع عنهم الجزية فسارع الناس ، فكتب غوزك (الأمير المحلي) الى أشرس « ان الخراج قد انكسر » فكتب أشرس الى ابن أبي العمرطة : ان في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني ان أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا في الاسلام تعوذا من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فأرفع عنه خراجه ثم عزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الخراج وصيره إلى هاني ابن هاني وضم اليه الاشحيذ فقال ابن أبي العمرطة لأبي الصيداء : لست من الخراج الآن في شيء فدونك هانئاً والاشحيذ. فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم . فكتب هانيء : ان الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى الى أشرس

---

(١) ن م ، ج ٨ ص ١٣٤ ؛ اليعقوبي — التاريخ ج ٣ ص ٤٥

فقالوا : ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً فكتب أشرس إلى هانيء وإلى العمال: خـذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجزية على من أسلم » وقامت ثورة عامة في السغد [١]

وهنا نرى ان بلاد ما وراء النهر كانت تدفع الخراج أو الجزية المشتركة ، وان دخول الاسلام لم يكن يؤدي بالضرورة الى اعفاء الشخص من جزية رأسه (أو نصيبه من هـذا الخراج) وان العمال كان لهم اشراف عام على الجباية وجاء أشرس فوعد باعفاء من يسلم من (خراجه) أو جزيته ، فدخل الكثيرون في الاسلام وواضح ان كلمة (خراج) في النص جاءت بمعنيين متوازيين ، فهي بالنسبة للفرد جزية رأسه ، وهي بالنسبة للمنطقـة الجزية المشتركة او الوظيفة وكان انتشار الاسلام يعني نقص عدد المساهمين في دفع الوظيفة ، ولذا رعب الدهاقين من انتشار الاسـلام لأنهم يتحملون مسؤلية تقديم كمية الخراج (الجزية المشتركة) دون نقص ، وعبروا عن معـارضتهم بقولهم لأشرس « ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً (أي مسلمين) » وكانت النتيجة ان طلب أخـذ الجزية ممن كانت فرض عليهم

هـذا ولا بد أن نبين إن أسباب موقف أشرس تعود لحد ما إلى شكه في الدوافع لدخول الاسلام ، كما ان موقف الأمراء المحليين مثل غوزك في مقاومة المشروع يعود الى طموحهم وأملهم في الانفصال كما أشار بارتولد وجب [٢]

وقد استمرت الثورة هذه إلى أن جاء نصر بن سـيار ، فقام بتوضيح نظام الضرائب

(١) الطبري ج ٨ ص ١٩٦ — ١٩٧

(٢) Gibb-Arab Conquest in Central Asia P. 69; W. Bartbold, in W. Radoff - Die Aet- Turkischen Inschinften der Mongolei vol II P. 24-5

دينيت ـ الجزية في الاسلام ص ١٩ ـ ١

وبأصلاحه في خراسان وقد اورد الطبري ذلك وألقى ضوءاً جديداً على نظام الضرائب كله روى المدائني ان نصراً خطب في مرو « فقال : إلا أن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أثقالهم على المسلمين إلا أن اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى إلا أن عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك إلا أنه لايقبل مني إلا توفي الخراج على ما كتب ورفع وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم ، فأيما رجل من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك إلى منصور بن عمر يحوله عن المسلم إلى المشرك قال فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألغيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح ، فكانت مرو يؤخذ منها مائة الف سوى الخراج أيام بني أمية » [1]

تبدو في النص أمور ، فهو يشير الى تلاعب بعض من أهل الذمة المكلفين بالجباية فلو جاز لنا أن نفترض ان بهرامسيس من الدهاقين ، وهذا فرض لا أكثر ، فان اشبداد وعقيبة لا يمكن أن يكونا إلا ممثلين للمسيحيين ولليهود في منطقة مرو ويبدو أن هؤلاء الثلاثة ، مثلا ، أخذوا الجزية من المسلمين واعفوا منها بعض المشركين من أعوانهم وأنصارهم بل انهم ثقلوا على المسلمين في جزيتهم وخففوا من ذلك على المشركين في حصتهم من الجزية المشتركة

وهنا يبدو لي ان عبارة « أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرجع ذلك الى منصور بن عمر (ممثل الأمير) يحوله عن المسلم الى المشترك » لا يمكن ان تعني ضريبة الأرض ، كما افترض دينيت ، لأن وارد الأرض لم يكن محدداً برقم ثابت

(١) الطبري ج ٨ ص ٢٦٨

كالجزية المشتركة ، ولا بد وانه يعني الزيادة في الجزية المفروضة على المسلمين وتخفيف جزية المشركين [1]

ونرى ان نصراً أوضح ان مقدار الخراج أو الوظيفة محدد من قبل وان هـذا يلزم استيفاءه على ما كتب من قبل ، أي على ما هو عليه من قبل ، وان نصيب مرو كان مائة الف ونرى أن ضريبة الأرض غير داخلة في هذه الوظيفة أو المبلغ المحدد ، بل هي فوق ذلك ، وان هذه الضريبة كانت تفرض طيلة الفترة الأموية

ومن كل هذا نخلص الى ان نصر بن سيار قام باصلاح تنظيمي عادل ، بان أعفى المسلمين من الجزية واعاد فرضها على المشركين الذين اعفاهم الدهاقين أو الجباة من أهل الذمة لاسباب اجتماعية أو سياسية ، كما انه نظم ضريبة الأرض بان صنفها وفرضها بشكل عادل على اصحاب الاراضي

وفي الختام ، نود ان نوضح اننا لا نسمع بشكاوى الا من تصرف الدهاقين في فرض الجزية ، وان هذه كانت محدودة ولذا فلا نرى أساساً لفرضية فلوتن أوغيره في ان الدعوة العباسية نجحت نتيجة ثقل الضرائب بل كان لنجاحها اسباب أهم واخطر

عبد العزيز الدوري

---

(١) انظر دينيت ـ الجزية في الاسلام ص ١٩٤

أدارسة صقلية

بقلم الدكتور حسين مؤنس

تمهيد :

ما زالت الدولة الإدريسية تنتظر مَنْ يكتب تاريخها ويحدد دورها في بناء المغرب العربي ، ولا زال أصحاب كتب التاريخ الاسلامي العام ينظمونها في سلك الدويلات التي تقاسمت نواحي المغرب الاسلامي ابتداءً من منتصف القرن الهجري الثاني جاعلين إياها صنواً لدولة بني الأغلب أو دولة بني رستم التاهرتيين أو حتى دولة بني مدرار أصحاب سجلماسة ، ويفوتهم في أثناء هذا العرض السريع المتواضع أن يتبينوا مكانها كحجر الزاوية في بناء إسلام المغرب وعروبته ، وما قامت به من دور عظيم في مد رقعة الاسلام في شمال المغرب الأقصى وغربي المغرب الأوسط والقضاء على نزعات الخارجية التي اجتاحت هذه النواحي من أواخر القرن الهجري الأول ، وما بذله أمراؤها من جهد في إرساء أسس الاسلام الصحيح ، وتثبيت دعائم العروبة ولغتها وثقافتها في بلد أصبح بفضل الأدارسة الدرع الواقي للجناح الغربي من مملكة الاسلام

والحقيقة أن كتابة هذا التاريخ والقيام بحقه عسيرة كل العسر ، فإن المعلومات عن دولة الأدارسة قليلة لا تزيد على صفحات عند أبي عبيد البكري وابن الأثير وابن خلدون وابن عذارى وصاحب روض القرطاس والنويري وابن الأبار وابن حماده ، وهذا النزر

اليسير من المعلومات بعد ذلك متناقض متعارض سطحي يصعب معه الوصول إلى الحقائق والأصول التي يطلبها من يقوم على كتابة التاريخ بحقه ولا يكتفي بظواهر الأحداث وبسائط الوقائع

وقد ألم ا ف جوتييه بتاريخ الأدارسة في كتابه المعروف عن القرون الغامضة من تاريخ المغرب ، وربط قيام دولتهم بما كان لبلدة وليلى Volubilis من دور كبير في تاريخ المغرب الأقصى على أيام الرومان ، وشطح بالموضوع على طريقته في تصور التاريخ ، وزاد الأمر بذلك تعقيداً ، وعلى هذه الشطحات بنى جورج مارسيه ما قاله عن الأدارسة في كتابه عن المغرب خلال العصور الوسطى ، وطوع المادة اليسيرة التي جمعها لتلك النظرية الضالة التي ما زال الفرنسيون متشبثين بها من أيام هنري فورنل ، وهي نظرية زورها أصحابها لتأييد ما كانت فرنسا ترمي إليه من فصل المغرب عن الكيان العربي ، وقد كذب الله ظنونهم وله الحمد كل الحمد

نظرة عامة في تاريخ الأدارسة :

وقد تبينت جانباً من هذه الصعوبة عند ما مست الحاجة إلى تقويم شجرة النسب الإدريسي لتحقيق بعض الأخبار التي أوردها أبو عبد الله بن الأبار في كتابه المبدع « الحلة السيراء » وقد اعتمدت أول الأمر على « جمهرة » ابن حزم ، وعند ما شرعت في تحقيق ما جاء فيها ومقارنته بما ذكره أبو عبيد البكري وابن عذارى وابن الأثير وابن خلدون والنويري من أحداث التاريخ الإدريسي تبينت أن صاحب « الجمهرة » قد وقع في أخطاء كثيرة وخلط في أنساب الأدارسة ، ثم راجعت ذلك كله على ما في روض القرطاس ، واستطعت أن أقوم معظم فروع الشجرة وأربطها إلى الجذع الإدريسي على نحو معقول وقد أخرت الرجوع إلى روض القرطاس لأن صاحبه من أقل المؤرخين تدقيقاً وضبطاً ، وقد عانيت من أخطائه الشيء الكثير

وتتجلى صعوبة ضبط هذا النسب عند ما نصل إلى الجيل السادس وما بعده من أجيال الأدارسة ، فإن الأمر هنا يختلط اختلاطاً شديداً لكثرة الفروع وتشابه الأسماء ، فإن الأدارسة كان لهم ولع بأسماء معينة نجدها في كل فرع تقريباً مثل القاسم ويحيي وعلي ومحمد وأحمد وكنون وإدريس والحسين ، ويزيد الأمر تعقيداً أن الرجل منهم قد يسمى ابنين من أبنائه باسم يحيي واثنين باسم القاسم واثنين باسم علي وهكذا ، والمؤرخون يميزون بعضهم عن بعض بقولهم القاسم الأكبر والقاسم الأصغر أو يحيي الأكبر ويحيي الأصغر وهكذا ، وواضح أن ازدواج الأسماء هذا راجع إلى تعدد الزوجات ، فكل منهن تريد أن يكون من أبنائها قاسم ويحيي وعلي وما إلى هذه من الأسماء المحببة إلى البيت الأدريسي

أضف إلى ذلك تفرق فروع هذا البيت في نواحي المغرب الأقصى ابتداء من جيله الثالث ، فقد ولى محمد بن إدريس بن إدريس إخوته الكبار داود ويحيي وعيسى وعمر وحمزة والقاسم وعلياً على نواحي مملكته ، فأصبح كل منهم وكأنه صاحب الناحية التي ولي عليها ، وأقام فيها وصاهر أهلها ، ونشأ أبناؤهم واتصلت أنسابهم واشجة في أنساب أهل القبائل ، ويبدو ذلك بصورة واضحة في أبناء علي وعمر والقاسم ، وقد بلغ هذا الامتزاج مع القبائل مبلغ الاندماج الكامل واتخاذ الأنساب المحلية ، فظهرت في أسماء فرع القاسم أسماء كنون وأبي العيس ، وفي فرع على أسماء وَنْعَال وفَكَّ الله وتعوَّدَ الخير ، وحمل بعض سلائلهم نسبات محلية مثل أحمد الكربي من أبناء القاسم بن إدريس بن إدريس ويحيي الجوطي وهو من أحفاد القاسم هذا ، وتسلسلت من أحفاد علي حيدرة بن محمد بن إدريس ابن إدريس بيوت الأشراف العاميين والمشيشيين والوزانيين ، ومثل ذلك كثير

ثم إن تاريخ الأدارسة لم يسر في خط متصل ، ولم يتركز في عاصمة واحدة ، وهو في تقطعه أشبه بسراج في مهب الريح ، إذا هدأت سكنت شعلته واستقامت وارتفعت ، وإذا هبت عبثت بها فمالت في كل ناحية ، وربما خبت حتى تكاد تخفى ، ثم تعود إلى الاستقامة

والارتفاع من جديد والحق أن دولة الأدارسة لم تكن في مهب ريح فحسب ، بل كانت في ملتقى عواصف وأنواء ، فتعرضت في حياة محمد بن إدريس لعواصف الحرب بين الإخوة ، وتعرضت في حياة يحيي بن يحيي بن محمد بن إدريس لمأساة كادت تطيح بها ، وانتقل الملك من فرع محمد بن إدريس إلى فرع عمر أخيه ، ثم إلى فرع أخيهما القاسم عقب ثورة عبد الرزاق الفهري ، ثم عاد إلى فرع عمر بعد مقتل يحيي العدام سنة ٢٩٢/٩٠٥ وانتقال الملك إلى يحيي بن إدريس بن عمر بن إدريس ، وهنا تصل الدولة إلى ذروتها

وقد شاءت المقادير أن يتوافق هذا الأوج مع ظهور الخطر الذي كسر عمود هذه الدولة وشتت أمرها ، وهو خطر العبيديين ، فقد كان هؤلاء منذ استقام لهم الأمر في القيروان يحسون بقلق أكثرهم وضعف قواهم في هذه الناحية التي قام لهم الملك فيها قياماً هو أشبه بالمصادفة السيئة لهم ولأهل المغرب والأندلس جميعاً ، فطفقوا يبحثون عن مستقر آخر لسلطانهم ، ومضت جيوشهم تضرب شرقاً وغرباً ، وبعثوا قوادهم يجوسون خلال نواحي المغرب ، واستشعر بنو أمية الأندلسيون خطرهم ، فتجردوا لدرئه ، وكان ميدان الصراع بين الدولتين ذلك الجزء الشمالي من المغرب الأقصى الذي أقام فيه بنو إدريس ملكهم ، ولم يكن الأدارسة على قوة تمكنهم من الثبات في ذلك الصراع ، ولم يلبث أمرهم في فاس أن أنتهى على يد مصالة بن حبوس وموسى بن أبي العافية فيما بين سنتي ٣٠٩ (٩٢١ — ٩٢٢) و ٣٣٢ (٩٤٤) ، وقد كانت دولة الأدارسة في فاس قد صحت صحوة قصيرة بعد ذلك على يد الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس ، ولكنها كانت إيماضة عابرة دامت نحو السنتين ، ثم تلاشت سنة ٣١٣ (٩٢٥) على يد موسى بن أبي العافية

وقد تجرد ابن أبي العافية هذا للقضاء على بقاياهم في نواحي المغرب ، فأجلاهم عن النواحي التي كانت بعض فروعهم قد تأصلت فيها مثل شالة وأصيلا ، وتجمع الباقون منهم

في قلعة حجر النسر ، وهي قلعة ابتناها محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة ٣١٧ (٩٢٩) على أصح الأقوال

وفي هذا الحصن وما حوله أقام بنو إدريس من فرع محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم في ضمول تاركين بقية المغرب الأقصى لآل أبي العافية ، فلما تلاشت دولة هؤلاء سنة ٣٦٠ (٩٧١) تنفس بنو إدريس الصعداء وخرجوا من معقلهم وعاد لهم سلطان على كثير من نواحي المغرب الأقصى ، وقد تولى كبر ذلك القاسم كنون بن محمد باني قلعة الحجر ، وبه بدأ ما يعرف بالدور الثاني من تاريخ الأدارسة ، وهو في حقيقة الأمر الدور الرابع أو الخامس ، فما أكثر ما مر به تاريخ هذه الدولة من أدوار ، وعلى أي حال فقد كان دوراً باهتاً مضطرباً كان الأدارسة فيه تارة في طاعة بني أمية القرطبيين وتارة ضحية لأتباع العبيديين ، وفي بعض الأحيان نجد أمراء الأدارسة بين رجال الناصر الأموي يعيشون في قرطبة ويخرجون للجهاد مع جيش الخليفة الأموي ، وفي أحيان أخرى نجدهم محاربين لهم ، وفي أيام الحكم المستنصر الأموي استولى قائده غالب المعروف بفارس الأندلس على حجر النسر ، واستسلم له الحسن بن كنون بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة ٣٦٣ (٩٧٣ ـ ٩٧٤) ، وانتقل الى قرطبة هو وآله حيث عاشوا في كنف المستنصر ، وتجرد غالب لاستنزال من بقى منهم من معاقله وإجلائهم إلى قرطبة

وحياة الحسن بن كنون هذا مأساة طويلة هي أشبه بالقصص ، فقد وقعت النفرة بينه وبين الحكم المستنصر ، فأخرجه هذا الأخير مع أهله إلى المشرق ، فمضى إلى مصر ، ولقى الخليفة الفاطمي العزيز نزار بن المعز بعد سنة ٣٦٥ (٩٧٦) ، وكان الأمل يراود حسناً في محاولة السلطان في المغرب الأقصى مرة أخرى ، وصادفت هذه الرغبة اتجاه العزيز إلى مناوأة بني أمية الأندلسيين ، فأعانه على ما طلب ، وخرج إلى المغرب الأقصى حيث زوده بلكين بن زيري بقوة يسيرة استطاع أن يقيم لنفسه بها أمراً ، ولكن المنصور بن أبي

عامر وصي الدولة الأموية إذ ذاك لم يزل يحتال عليه حتى استقدمه على أمان، ثم غدر به وقتله وهو في الطريق إلى قرطبة في جمادى الأولى سنة ٣٧٥ (اكتوبر سنة ٩٨٥)

وكانت تلك هي نهاية الملك في الفروع الرئيسية من آل إدريس، وقد ظهر لهم ملك بعد ذلك في فرع بعيد يعرف بالحمودي نسبة إلى حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس، وقد ظهر أمر هذا الفرع في جنوب الأندلس وسبتة وطنجة عقب انتثار عقد الخلافة الأموية، فلم يتردد من طلب الأمر من أولئك الحموديين في اتخاذ لقب الخلافة، وكانت لهم في اضطرابات الفتنة الكبرى في الأندلس وقائع ومجالات انهت كما يقول ابن حزم في رجب سنة ٤٤٨ (نوفمبر ١٠٥٦) وبقى من بقى منهم «شريداً طريداً في غمار العامة [١]»

الشريف الإدريسي ورجار:

وواضح أن عبارة ابن حزم هذه فيها مبالغة ظاهرة، فإن زوال الملك والسلطان من أيدي سلائل الأدارسة ليس معناه أنهم أصبحوا مشردين طريدين، وإنما معناه أنهم انصرفوا عن السياسة وطلبوا العيش كما يطلبه سائر الناس محتفظين عما يضيفه عليهم حسبهم من المهابة والاحترام، وابن حزم يذكر من هؤلاء نفراً ممن طلبوا العلم وظهر أمرهم فيه مثل محمد قاضي القيروان، وهو ليس ابن الحسن الحجام كما يقول ابن حزم، ولكنه كان من أعقابه، ولدينا بعد ذلك الشريف الإدريسي، وهو واضح النسبة إلى بيت إدريس من فرع الحموديين، أي من جذم عمر بن القاسم بن إدريس بن إدريس، ومع أننا لا نعرف من نسبته إلا أباه وجداً واحداً من أجداده ـ فهو محمد بن محمد بن عبد الله ـ إلا أن نسبه الحمودي الإدريسي لا يمكن إنكاره، فقد كان أمراً معروفاً على أيامه، ولم تقتصر شهرته به على بلاد المسلمين بل عرفه به رجار الثاني صاحب صقلية الذي ألف له الشريف

---

(١) الجمهرة ص ٥١، وقد أخطأ ابن حزم في تحديد ذلك التاريخ

الإدريسي كتاب « نزهة المشتاق » .

وقد تعودنا على أن ننظر إلى دخول الشريف الإدريسي في خدمة ملك نصراني وعيشه في كنفه وتأليفه له كتاباً في الجغرافية كأنه أمر طبيعي لا غرابة فيه ، والحق أنه في ذاته مشكلة ، فإن القول المتواتر هو أن رجار استدعى الشريف الإدريسي ليصنع له صورة الأرض ويؤلف له كتاباً في شرحها، ولا نعرف كيف سمع رجار بأمره ولا كيف استدعاه ، فإن الإدريسي لم يشهر بالجغرافية قبل أن يستدعيه رجار ، فهو لم يؤلف فيها قبل ذلك كتاباً ، ولا سمع أحد في بلاد المسلمين نفسها أنه متضلع فيها ، فكيف يتصل أمر علمه هذا بذلك الملك النصراني ، وعلى فرض أنه سمع به فكيف يستدعيه ؟ لقد كان الإدريسي قد فرغ إذ ذاك من رحلته الشرقية وعاد إلى المغرب ومضى يتجول في أنحائه حيناً ، ثم مضى إلى الأندلس ودرس في قرطبة : ولا ندري إن كان قد ظل في الأندلس أو عاد إلى سبتة ، وإنما الذي نعلمه أنه ظهر بعد ذلك في صقلية ودخل في خدمة رجار ومضى يعمل في رسم صورة الأرض ، فهل علم رجار بمكانه فبعث يستدعيه كما يستدعى الأساتذة والعلماء اليوم من معاهدهم وجامعاتهم لينشروا علمهم في بلاد أخرى ؟

إننا نتناقل ذلك ونأخذه قضية مسلمة على عهدة سطور قليلة مشكوك في قيمها ، بعضها منسوب إلى خليل بن أيبك الصفدي وبعضها الآخر منسوب إلى ابن العماد الاصبهاني عن ابن بشرون أو منقول عن حاجي خليفة في كشف الظنون ، وهي سطور قلائل لا تكاد تلقي على حياة الشريف الإدريسي ضوءاً ، حتى سنة مولده وهي في القول المتعارف سنة ٤٩٣ / ١٠٩٩ - ١١٠٠ مرجعها الراهب المارولي ميخائيل الغزيري صاحب الفهرس اللاتيني القديم لمخطوطات الإسكوريال ، ذكرها دون أن يشير إلى مرجعه فيها ، وتناقلها الناس عنه بعد ذلك دون محاولة البحث في حقيقتها

ولكن الثابت أن الشريف الإدريسي عاش وعمل في صقلية في بلاط رجار الثاني ، وليس لدينا ما يسمح لنا بالقول بأن الإدريسي لجأ بنفسه إلى رجار وطلب الدخول في

ـ أي أمته ، وقد استبعدنا أن يكون رجار قد سمع به واستدعاه ، فلا بد أن تكون هناك طريق أخرى وصل بها الإدريسي إلى رجار وحظي عنده وكسب ثقته وعمل معه في ذلك الميدان الجغرافي ، وكان رجار مشغوفاً به متطلعاً إلى التوسع فيه

وعبثاً نحاول أن نجد مفتاحاً لهذا السر في مقدمة « نزهة المشتاق » ، فإن الإدريسي فيها متحفظ تحفظاً شديداً حتى لا يكاد يذكر اسم نفسه أو يشير إلى نصيبه في العمل الجغرافي الكبير الذي قام به ، وقد بدا لي بعد أن قرأت هذه المقدمة أكثر من مرة أن الإدريسي إما أن يكون قد وجد حرجاً كبيراً في تقديم كتابه إلى الملك النصراني فصاغ مقدمته في هذا الأسلوب المبهم الذي لا ينم عن شخصه أو أن غيره قام عنه بهذا التقديم ، فكتب هذه الفاتحة التي نجدها بين أيدينا ، وربما كان هذا الفرض الثاني أقرب إلى المعقول ، فإننا نستبعد أن يقول الشريف الإدريسي : « ... الملك المعظم رجار المعتز بالله المقتدر بقدرته » أو « فمن بعض معارفه السنية ونزعاته الشريفة العلوية أنه لما اتسعت مملكته ..... » فمهما كان من تقدير الإدريسي لرجار فما نحسب أنه كان يرى أنه جدير بأن يُلَقَّبَ بألقاب خلفاء الإسلام كالمعتز والمقتدر ، أو تُخْلَعَ عليه صفة خاصة بالبيت النبوي الكريم ، نعم إن « العُلْوِيَّةَ » تقرأ هنا بضم العين وسكون اللام ، ولكنها تبدو لنا على أي حال هنا غريبة على لسان عَلَوِيٍّ شريف

أدارسة صقلية :

ولا بد على أي حال أن رجار عرف من أمر الإدريسي شيئاً قبل أن يدعوه للعمل معه ، وهذه المعرفة لا يمكن أن تكون كتاباً في الجغرافية كتبه الشريف ووصل إلى يد رجار ، فوقف منه على مكانه من العلم ، فإننا لم نسمع بمثل هذا الكتاب ، وإنما الطريق الوحيد هو أن يكون رجار قد عرف الشريف الإدريسي معرفة شخصية قبل أن يدعوه إلى العمل معه

ويبدو هذا الفرض مستبعد أول وهلة ، ولكننا إذا درسنا تاريخ الإسلام في صه خلال حقبته الأخيرة عثرنا على شعاع من الضوء ينير لنا جوانب هذه المشكلة بعض الشيء ، بل يضع يدنا على حقيقة هامة جديرة بعناية المهتمين بتاريخ الأدارسة ، وهي وجود بيت إدريسي عَلَوي فيها كان له سلطان كبير ودور واسع في تاريخها حتى النصف الثاني للقرن الخامس الهجري الى أواخر القرن السادس

ذلك أننا نلاحظ في أخبار غزو النُّرْمَان لصقلية وجود بيت من سروات المسلمين وقادهم يعرف ببيت حمود كان ينشر سلطانه على أجْرِجِنْت Girgente وقَصْر يَانه Castrogiovanni وما حولها من بلاد وسط الجزيرة ـ كما يقول ميكيلي أماري [1] ـ خلال الفترة التي تقدمت فيها جيوش رجار الأول لانتزاعها من أيدي المسلمين ابتداء من سنة ٤٥٣ (١٠٦١) وما بعدها

وذكر أماري أن أولئك الحموديين أدارسة علويون وأنهم من نفس بيت بني حمود المغاربة الأندلسيين الذين ينتسب إليهم الشريف الادريسي ، وأن ذكرهم متوارد في النصوص اللاتينية والايطالية من ذلك الحين إلى أيام فردريك الثاني امبراطور الدولة التيوتونية المعروف ببار بأروسا — أي ذي اللحية الحمراء — ، فهم يسمون بآل شموت Chamut أو Hamutus ، وأضاف أماري أن البيت الذي أسس هذه الأسرة لابد أن يكون قد وفد على صقلية بعد زوال أمر البيت الحمودي في الأندلس والمغرب

ومن أسف أن مراجعنا العربية لم تأتنا بنبأ عن أوليات هذا البيت الإدريسي في صقلية، وعمادنا هنا على المراجع النصرانية التي أرخت لغزو النرمان لصقلية ، وهذه المراجع تؤيد ما ذكره ابن الأثير في كلامه عن سقوط قصريانه وأجرجنت من أنه « لم يثبت بين أيديهم

(١) Michele Amari, Storia di Musulmani di Sicilia (Firenze, 1868) III, 172.

ـ أي أمام النرمان ـ غير قصريانه وأجرجنت ، لحصرهما الفرنج ، ولم يبق عندهم ما يأكلونه، فأما أهل جرجنت فسلموها إلى الفرنج ، وبقيت قصريانه بعدها ثلاث سنين ، فلما اشتد الأمر عليهم أذعنوا إلى التسليم ، فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة ٤٨٤ ، وملك رجار جميع الجزيرة » ، ثم تنفرد المراجع النصرانية بعد ذلك بالقول بأن صاحب البلدتين كان رجلاً يسمى القاسم بن حمود وأنه هو الذي قام بتسليم قصريانه إلى رجار الأول بعد أن استنفذ وسائل الدفاع ، ولم يبق من التسليم مفر

وليس لدينا ما يمنع من قبول رأي أماري من وجود ذلك البيت الحمودي الادريسي في صقلية ، فقد ذكر ابن حزم أن أمر بني حمود انتهى في الأندلس في رجب سنة ٤٤٨ ، وبقى من بقى منهم شريداً طريداً في غمار العامة ، وفي ذلك الحين كان المرابطون قد ثبتوا أقدامهم في جنوب المغرب الأقصى ومضوا يتطلعون للامتداد شمالاً ، ففي سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) تمت بيعة أبي بكر بن عمر اللمتوني على جنوبي المغرب الأقصى حتى وادي درعة ، وفي سنة ٤٦٢ (١٠٦٩ — ١٠٧٠) كانوا قد تمكنوا من الأراضي الممتدة شمالاً إلى مجرى نهر تانسفت وضاقت بهم أغمات وريكة ، فبدئ في بناء مراكش في رجب من تلك السنة ، وفي أواخر سنة ٤٦٢/١٠٧٠ تقدم يوسف بن تاشفين ابن عم الأمير أبي بكر بن عمر شمالاً حتى وصل إلى وادي ملوية ، وفي ربيع الأول سنة ٤٦٥ (نوفمبر ١٠٧٢) تنازل أبو بكر ابن عمر عن الامارة ليوسف بن تاشفين ، وانفرد هذا بالملك وبدأ التوسع السريع إلى الشمال ، فاستولى على فاس سنة ٤٦٧ (١٠٧٤) ، وفي السنة التالية استولى على تلمسان ، ودخل شمال المغرب الأقصى كله في حكم المرابطين

وفي هذه الظروف لم يعد للباقين من بني إدريس أمل في السلطان ، فانزوى من استطاع الانزواء منهم في ناحيته ، وفر من فر ، فيما عدا ولد من أولاد إدريس بن علي بن حمود يذكر البكري أنه كان يعيش خاملاً بمدينة المرية بالأندلس عند ما استدعاه جماعة بني

ورتدى إلى مليلة و نواحيها ، فعبر البحر اليهم وظل على سلطان بيهم بضع سنوات

وإذا نحن تأملنا ما يذكره البكري من تاريخ الأدارسة بمناسبة كلامه عن فاس وحجر النسر تبينا أن كل النواحي الواقعة بين فاس وسبتة ، وتتوسطها حجر النسر كانت أشبه باقطاعيات لنفر من بني إدريس معظمهم من فرع القاسم بن إدريس عن طريق ابنه محمد ، فقرية أفتس على نهر أولـكس إلى غربي حجر النسر تسمى مدينة جنون بن إبرهيم بن محمد ابن القاسم ، وكانت في منطقة تابعة لقبيلة كتامة ، وكذلك زهكوجة على مقربة من سوق كتامة تسمى مدينة ابرهيم بن محمد أي أنها كانت إقطاعاً لوالد الذي ذكرناه ، وقرية تشومس إلى جوارها كانت إقطـاعاً لميمون بن القاسم ، وهو ميمون بن أحمد بن القاسم جنون ، وكانت تسمى بمدينة ميمون ، ومن هذا الموضع إلى سبتة كانت قسمة بين بني إبراهيم بن محمد ، فأما أحمدبن ابراهيم بن محمد فكان له ما امتد منأجاجي الى سبتة في حين ملك الأب وبقية الأبناء دار طنجة إلى حد سبتة ، وما دام الادريسي من سبتة فيحتمـل جداً أن يكون من أبناء هؤلاء ، وهذه الحوادث التي نذكرها كانت في حدود سنة ٤٦٠ (١٠٦٧ — ١٠٦٨) أما سبتة فقـد كان يتولى الأمر فيها رجل يسمى سـواجات البرغواطي ، وأصله من قبيلة غمارة ، ثم دخل بعد ذلك في قبيلة برغواطة وانتسب إليها ، وغمارة كانت العماد الذي قامت عليه دولة الأدارسة ، حتى ليجعلها ابن خلدون شـيئاً واحداً : والخبر عن دولة الأدارسة وهي غمارة وتصاريف أحوالهم ... » ، وكانسواجات أول الأمر مولى من موالي الحموديين ، فجعـلوه على سبتة ، فانقلب عليهم وطلب السلطان لنفسه ، وقتل بعضهم وحبس بعضهم الآخر بعد أن زال أمر بني حمود ، ولهذا يغلب على ظننا أن أسرة الشريف الادريسي لم يطل بهـا المقام في ذلك البلد ، والغالب أنهم طلبوا الأمان عند بعض ذوي قرباهم الذين ذكرناهم فيما قرب من سبتة من البلاد ، وربما كان هذا أيضاً هو السبب في خروج الشريف الادريسي الى المشرق في تلك السن الباكرة ، وقد

رجحنا أن يكون قد خرج اليه مع أبيه طلباً للنجاة من أحوال غير مواتية من ناحية والتماساً للحج وطلب العلم من ناحية أخرى

والرأي السائد أن نسبه يرتفع إلى حمود ، أي إلى فرع عمر بن إدريس بن إدريس ، وربما كان هذا هو الأقرب إلى الصحة ، فإن القول به متواتر على الألسن دون أن يكون لدينا عليه دليل واحد يمكن التعويل عليه ، وقد بحثت دون جدوى في كتاب شذور الذهب في خبر النسب لابن رحمون التهامي بن أحمد بن محمد عن خيط أستطيع الاهتداء به ، وإنه من الغريب أن نسابة كهذا يتصدى لتتبع سلائل البيت الادريسي وهو منهم — فهو من الشرفاء العلميين — ثم يغيب عنه ذكر أشهر من عرف بهذا النسب ، كأن اسمه لم يخطر له على بال ، ولو أنه كتب في عصر تقدم لعذرناه ، ولكنه كتب كتابه سنة ١١٠٥ (١٦٩٣ — ١٦٩٤) ، وذكر الشريف الادريسي ذائع في عشرات الكتب بين يديه

وإلى هذا الفرع أيضاً ينتسب الحموديون الصقليون ، وقد رأينا أن أول ذكر لهم في حوليات صقلية الاسلامية كان سنة ١٠٨٧/٤٧٩ ، فلا بد أنهم دخلوا صقلية قبل ذلك بسنوات لا نستطيع تحديدها ، ولكنها ليست بكثيرة على أي حال ، فإن أمر بني حمود قد انتهى كما ذكر ابن حزم في رجب سنة ٤٤٨ (نوفمبر ١٠٥٦) ، وتفرق الباقون منهم بعد ذلك التاريخ ، وخلال السنوات القليلة التي كان المرابطون يتقدمون فيها إلى الشمال مؤذنين بالقضاء الأخير على كل أمل للحموديين وغيرهم في طلب السلطان

وقد اجتذب هذا الفرع إلى صقلية ما شاع في ذلك الحين من تفرق أمر المسلمين هناك وسنوح الفرصة لطلب السلطان ، وكانت في الحموديين جرأة على المخاطر يعرفها من يلم بتاريخهم أثناء الفتنة الكبرى في الأندلس ، وقد ذكر ابن الأثير أن أجرجنت وقصريانة كانتا منذ سنة ٤٢٧ (١٠٣٥ — ١٠٣٦) في طاعة القائد علي بن نعمة المعروف بابن الحواس ، وأن ابن الحواس هذا قتل سنة ٤٥٣ (١٠٦١ — ١٠٦٢) أو بعدها بقليل ،

قصارتا إلى أيوب بن تميم بن المعز الزيزي ، ولم يستطع أيوب وأخوه البقاء في الجزيرة ، فعادا إلى إفريقية سنة ٤٦١ (١٠٦٨) ، وبقيت الناحية دون رئيس ، حتى نسمع بذكر القاسم بن حمود عند استيلاء رجار الأول على قصريانة وأجرجنت بعد ذلك بثمانية عشرة سنة ، فلا بد أنه انتهز فرصة خلو الموضع من رئيس مسلم ، فاستعان بجاه نسبه وخدمته ملكاته فوصل إلى الرياسة ، وهذا يستلزم أن يكون موجوداً هناك قبل ذلك ، إذ ليس معقولاً أن يدخل الجزيرة ويستولي على السلطان في ناحية منها مباشرة ، والمعقول أن يقال إنه دخلها سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) أو نحوها

القاسم بن علي بن حمود الصقلي :

وهذا الحمودي الادريسي الذي هاجر إلى صقلية ووصل إلى السيادة في ناحية أجرجنت وقصريانة هو القاسم بن حمود ، والمفهوم أن المراد بذلك أنه القاسم من أبناء حمود ، أو القاسم الحمودي ، ولا نستطيع تتبع نسبه إلى أي من فروع الحموديين الكثيرة ، لأن القواسم فيهم كثيرون جداً ، ويزيد الأمر تعقيداً أنه كان يلقب بابن الحجر ، وهو لقب لا يمكن أن يفسر إلا بأنه كان من أدارسة حجر النسر ، والحموديون لم يكونوا من أهل حجر النسر ، وقد حاول أماري تفسيره فقال إن الحجر هنا كناية عن الكرم وأن المراد هنا أنه كان يلقب بابن الكريم ، وهو تفسير ظاهر الافتعال

وتذهب المراجع اللاتينية والنُّرْمانية القديمة التي رجع اليها أماري في تتبع أخبار استيلاء النرمان على صقلية إلى أن القاسم بن حمود هذا بعد أن أسلم قصريانة إلى رجار الأول اعتنق النصرانية مع أهله أجمعين ، وخاف على نفسه بعد ذلك من مسلمي البلد ، فطلب إلى رجار أن ينقله إلى بلد من بلاده في شبه الجزيرة الايطالية ، فنقله إلى بلدة ميلاطو حيث عاش إلى أن مات ، وهذا قول ظاهر الاختلاق ، فان بني القاسم بن حمود ظلوا بعد ذلك أصحاب أجرجنت وقصريانة تحت سلطان النرمان ، وكان لهم دور كبير في شئون الجزيرة

بعد ذلك كما سنري ، ثم إن ابن جبير الرحالة لقي رئيساً من رؤساء هذا البيت بعد ذلك بقرن من الزمان في ذي القعدة سنة ٥٨٠ (مارس ١١٨٥) ووصفه بالجلالة واتساع الجاه ثم قال : « ومن عظم هذا الرجل الحمودي المذكور في نفوس النصارى ـ أبادهم الله ـ أنهم يزعمون أنه لو تنصر لما بقي في الجزيرة مسلم إلا وفعل فعله ، اتباعاً له واقتداء به ، تكفل الله بعصمته جميعهم ، ونجاهم مما هم فيه بفضله وكرمه » فكيف يقال بعد هذا أن جده قد تنصر هو وأهله جميعاً من مائة سنة ؟

ويسمى القاسم هذا في بعض النصوص بأبي القاسم ، وربما كان المراد أنه كان من سلائل أحد القواسم الحموديين ، وسنرى من إشارة لابن ظفر أن أباه كان يسمى علياً

وقد اطمأن القاسم أو أبو القاسم بن علي بن حمود في ظل رجار الأول وظل له سلطانه على قصر يانة وأجرجنت ، شأنه في ذلك شأن الكثير من رؤساء مسلمي صقلية الذين أبقاهم النرمان على حالهم ما دانوا بالطاعة لهم ، ولم يكن ذلك تسامحاً صرفاً من النرمان ، وإنما كانت سياسة أملتها عليهم ظروفهم ، فان النرمان كانوا قلة في وسط الجموع النصرانية التي غزوا بها الجزيرة ، فقد كانوا هم النواة والرؤساء ، أما معظم جندهم ورجالهم فقد كانوا أخلاطاً من الايطاليين وأهل الجزر والمغامرين ، وكان استيلاؤهم على الجزيرة اغتصاباً لا من المسلمين وحدهم بل من البيزنطيين الذين كانوا يرون أن الجزيرة من أملاكهم ، ولم يكن لهم سند إلا إذن البابوية لهم في انتزاع الجزيرة من أيدي المسلمين، وكانوا قد خرجوا لغزو الجزيرة من جنوبي ايطاليا ، وكان سلطانهم هناك غير معترف به من أباطرة التيوتون الذين كانوا يدعون هم الآخرون أنهم اصحاب ايطاليا ، أي أن مركزهم في ايطاليا وصقلية لم يكن معترفاً به من أحد ، ثم إن السند الذي كانوا يعتمدون عليه ، وهو إذن البابا لهم في انتزاع الجزيرة من أيدي المسلمين لم يلبث أن تداعى ، فقد اختلفوا مع البابوية وحاربوها ، فأسقطت عنهم حمايتها ، ولم يعد لهم من سندبعد ذلك إلا

ما يكسبونه من حسن ظن أهل الجزيرة ومعظمهم من المسلمين ، ورجل مثل أبي القاسم بن حمود لم يكن مجرد رعيـــة لرجار الأول ، وإنما كان عماداً من العمد التي قام عليها حكمه ، خاصة وقد كان رجلا شهما دافع عن ناحيته فأحسن الدفاع ، ولم يسلمها للأعداء إلا بعد أن طاول إلى الحد الأقصى ، وهذه الشهامة جديرة بأن تلقى في نفس أعدائه احترامه ، وقد كانت في هذا الفرع من النرمان شهامة وفروسية

وليس معنى ذلك أننا نجرد رجار ورجاله من فضيلة التسامح ، فقد كان بالفعل متسامحاً لا مع المسلمين وحدهم بل مع معظم رعاياه ، فان المسيحيين منهم كانوا طوائف شتى ، فيهم من يدين بالولاء للكنيسة الرومانية ، وفيهم من يتبع بطريق القسطنطينية ، ولكن رجار لم يصرف إلى ذلك بالا ، واهتم بصالح دولته وعرشه فحسب ، والحق أن النرمان كانوا بدعاً في اتساع الذهن وبعد الذكاء بين معاصريهم أجمعين، فقد غزت طائفة أخرى منهم انجلترا قبل ذلك باحدى وعشرين سنة ، قادهم اليها أميرهم وليم الفاتح ، فكان مسلكهم في الجزر البريطانية هو نفس مسلك روبرت جسكارد منشىء الدولة النرمانية في جنوب ايطاليا ووسطها ، وابن عمـــه رجار الأول الذي قام بغزو صقلية ، وهو مسلك يتلخص في الاجتهاد في استئلاف الرعية والتقرب منها والانتفاع بخير عناصرها واقتباس ما يجدونه من النظم والعادات ومظاهر الحضارة وترك الناس أحراراً فيما يتبعون من عقيدة ثم ميل الى القانون واهتمام بالتزامه وإلزام الناس به ، يحوطون ذلك كله بذكاء يميل الى الخبث حتى يصبح لؤماً اذا دعت الحاجة وشجاعة تصل الى التهور في أحيان كثيرة ، وقد امتازوا كذلك بتطلع الى كل ما هو طريف وجديد جعلهم في كل مكان نزلوه رعاة لأهل العلم والفن ، حتى لقد نشأ في البلاد التي سادوها من شمال غربي فرنسا وانجلترا طراز من طرز العمارة يسمى الطراز النرماني ، وليس لهم فيه إلا تشجيع من ابتكروه ، هذا الى من احتضنوهم من أهل العلم من كل ملة ونحلة ، وما ألف هؤلاء من الكتب باسمهم ، ومن

بين هؤلاء يبدو شريفنا الإدريسي أعظم من شرّف بلاطهم بالعمل فيه

والحياة مع ملوك كهؤلاء لم تكن عسيرة على أبي القاسم وآله وبقية المسلمين في الجزيرة ، فان النرمان لم يكن يطلب إلا الولاء والمعاونة والنصح ، وكان مسلمو صقلية مستعدين لتقديم هذه في مقابل حريتهم الدينية ، ولهذا فلا غرابة في أن نجد أبا القاسم بن علي الحمودي وطائفة أخرى من المسلمين في مكان الصدارة والتكرمة ، ولم تقتصر صدارتهم على نواحيهم ، بل كان لهم شأن كبير في البلاط وشئون الدولة ، فأسندت اليهم القيادات والوظائف الكبرى ، جنباً الى جنب مع من كان هناك من البيزنطيين والايطاليين والنُّرْمَان

ولكن المتاعب تأتي عادة من المنافسين والأنداد ، وفي تلك العصور كان الوصول إلى مركز ممتاز أو التمتع بنعمة وجاه معناه الوصول إلى المتاعب والشقاء بالحسد والسعايات وما يتأتى منها ، وليس لدينا من أخبار أبي القاسم بن علي بن حمود ما يسمح لنا بتفصيل شيء عن حياته مع النرمان أكثر مما قلناه ، ولكن لدينا شيئاً عن ابنه أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن علي بن حمود ، ويبدو أن محمداً هذا ورث مكان أبيه لا في أجرجنت وقصريانة وحدها ، بل في البلاط والدولة أيضاً

محمد بن أبي القاسم بن علي بن حمود :

ونحب أن ننبه الأذهان الى أننا لا نتحدث هنا عن أسرة مالكة أو عن دولة يتوارث الملك فيها الأبناء عن الآباء ، بل عن بيت عربي إسلامي أرادت له المقادير أن يعيش في كنف ملك نصراني ومكنت له من الاحتفاظ عما كان لأفراده من الأملاك والمكانة قبل الدخول في طاعة هذا الملك ، وهذه في ذاتها ظاهرة فريدة في بابها جديرة بالدراسة ، فلم يكن الحموديون وحدهم في هذه الظروف ، وإنما كانت هناك أسرات عربية إسلامية أخرى في صقلية مثل بني التمنة ، وكانت هناك أسر مماثلة فيما وقع تحت سلطان النرمان

من بلاد افريقية مثل المهدية وبونة وقابس وطرابلس

وهذا الشيء الذي نعرفه عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن علي أتانا عفواً ، فقد كان هذا الرجل صاحباً لفقيه صقلية الأكبر محمد بن أبي محمد بن ظفر (٤٩٧ ـ ٥٦٧/١١٠٤ ـ ١١٧١) ، وكان الفقيه يجله ويقدره ، وله ألف طائفة من كتبه أهمها « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » ، وهو كتاب حافل بالدلالات ، ينطق بها عنوانه وموضوعه وسياق كلامه وفاتحته ، فالعنوان يدل على أنه ألف لرجل عدا عليه أتباعه أو انقلبوا عليه وأنزلوا به ضرراً ، فاحتاج إلى من يسليه عما نزل به ، ومادة الكتاب تدور حول هذا المحور بالفعل وتفصل الأمر بعض التفصيل ، أما فاتحته فتعرفنا به ، لأن ابن ظفر يقول عنه إنه « سائد السادة ، وقائد القادة ، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن علي العلوي القرشي » ، وكل لفظ هنا له معناه ، فالسيد هنا ليس صفة ولكنه لقب معناه أن محمد بن أبي القاسم هذا كان من الأشراف الإقطاعيين Signore Feodati حسب النظام الإقطاعي العام الذي كان سائداً في أوربا كلها إذ ذاك ، وأن إقطاعه كان خبزاً له ، والخبز في مصطلحنا الإقطاعي هو ما يقابل لفظ Fief في المصطلح الإقطاعي الغربي ، وهو إقطاع الأرض في مقابل وظيفة أو خدمة يؤديها المقطع للملك ، والوظيفة في حالتنا هذه قيادة عسكرية وحكومة على موضعه ، ولهذا يلقبه ابن ظفر بقائد القواد أو قائد القادة

ويبدو أن هذه المعاملة الحسنة التي لقيها بنو القاسم بن حمود من جانب النرمان ترجع إلى ما أبدوه من الشهامة والاستبسال ، ثم ما أظهروه بعد ذلك من العقل والحكمة ، فاستسلموا على شروط الأمان والاطمئنان إلى الإسلام وضمان حقوق من معهم من المسلمين، فكانوا بهذا أحكم من قائد عربي مسلم آخر يسميه جودفروا مالاترا ـ مؤرخ الغزو النرماني « بينافيرت Benavert » ، وهو اسم طالما حير الباحثين أصله العربي ، وغالبيهم على أنه ابن عباد ، وهو رأي مستبعد لاختلاف ما بين الصيغتين الإفرنجية والعربية ، وهو

عندنا أقرب إلى أن يكون « ابن ورد » ، وأياً كان اسمه فقد كان هذا الرجل رئيساً على قطانية قبل دخول النرمان ، فلما أقبلوا تصدى لهم وحاربهم حرباً عنيفة هلك فيها من رجالهم مئات ، وقتل نفر من قوادهم منهم هو جو دي جيرسي Ugo di Jersey الذى كان رجار الأول قد أقامه نائباً عنه في الجزيرة عندما عاد إلى قلورية Calabria سنة ٤٦٧ ـ ٤٦٨ (١٠٧٥) ، وما زال ابن ورد يصاول النرمان حتى عجز أمامه القائد النرمانى جوردان واضطر إلى الاستعانة عليه برجار ، فأقبل بكل قواه ، وتعاون الاثنان على القائد العربي واستوليا على قطانية ، وانتقل ابن ورد إلى نوط Noto واستمر في المقاومة حتى قتل في المعارك الأخيرة التي انتهت بسقوط آخر معاقل الجزيرة سنة ٤٨٤ (١٠٩١) بعد أن أصاب أهلها من المسلمين بلاء شديد

ولم يكن أبو القاسم بن علي بن حمود يستطيع أن يفعل فعل ابن ورد ، لأن هذا الأخير كان من أهل صقلية الذين تطاولت العهود بهم فيها ، فهو يعرف نواحيها جميعاً وتربطه بالرؤساء في كل ناحية صلات قديمة مكنت له من الاستعانة بهم والانتقال إلى حصونهم ونواحيهم ليستمر في الدفاع ، فبعد أن سقطت قطانية انتقل إلى نوط ثم إلى بثيرة Butera ، أما أبو القاسم بن حمود فقد كان حديث عهد بالجزيرة لا يعرف من شئونها إلا ما عرف خلال السنوات القليلة التي قضاها فيها ، ولم يكن في استطاعته بعد سقوط جرجنت وقصريانة أن ينتقل إلى ناحية أخرى ، فليس له رجال وأنصار ومحاربون ينتقلون معه من ناحية إلى ناحية كما كانت الحالة مع ابن ورد ، ثم إنه كان سليل بيت عرف السياسة والحكم ، وقد أدرك لهذا أن الاستمرار في المقاومة بعد أن هلك الناس وانقطع الأمل في الفرج لن يؤدي إلا إلى ضياع ما بقي من أموال الناس وذراريهم دون جدوى ، فآثر أن يسلم على صلح وعهد ، وحفظ بهذا نفسه ومن كان معه

ولا يغيبن عن بالنا أن المسلمين إذ ذاك كانوا لا يتصورون سواء في المغرب أو

الأندلس أو المشرق أو صقلية أن أمر الإسلام في ناحية من نواحيه ممكن أن يزول إلى غير رجعة أو أن النصرانية إذا غلبت على ناحية من نواحيه ستسمر في حكمها إلى الأبد ، وإنما هي نكساب من الدهر الخئون وتمحيص من الله للمسلمين ، ثم تشرق الشمس مرة أخرى وتعود البلاد للإسلام ، وهذا شعور ظل يملأ نفوس المسلمين في كل مناسبة أصاب بلادهم فيها مكروه ، ويعبر عنه مؤرخونا بقولهم بعد ذكر سقوط أي بلد من بلاد الإسلام « أعاده الله للإسلام » ، وأبلغ من عبر عنه ابن عاصم في كتابه المثير للأشجان « جنة الرضا فيما قدر الله وقضى » ، وهو عنوان حزين أشبه بأن يكون نهاية للأمل ، وهو أبلغ في هذا المعنى من قصيدة أبي البقاء الرندي ذات الصيت البعيد

ونفهم من كلام ابن ظفر في فاتحة « سلوان المطاع » أن محمد بن أبي القاسم بن علي بن حمود كان يمر إذ ذاك بمنحة ليس سببها أن السلطان غضب عليه أو أن أحوال من معه من المسلمين ساءت ، وإنما سببها أن بعض رجاله وأتباعه انقلبوا عليه وأحرجوا أمره وعرضوه لغضب رجار ، وهو هنا رجار الثاني ، فان الأول كان قد مات قبل ذلك سنة ٤٩٥ (١١٠١) ، وكان رجار الثاني هذا أكيس من أبيه وأقدر وأوسع عقلا وقلباً ، وهو صاحب الشريف الإدريسي وممدوح نفر من شعراء صقلية والمغرب ، ولهذا لم يكن محمد بن أبي القاسم يخشاه بقدر ما كان يخشى أولئك الأتباع الذين انقلبوا عليه وسعوا إليه بالمضرة ، ولهذا يقول ابن ظفر في التقديم « ... والحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا ، والمحبوب في المكروه كمينا ، الذي ضرب دون أسرار الأقدار حجابا مستورا ، وقضى أن الخير على الفطن لا يزال حجرا محجورا ، وأوطأ المسلمين لمشاياه ممهودا وثيرا ، وأمطأ المتبرمين بقضاياه كنودا وعثورا ، وقال سبحانه « وعسى أن تكرهوا شيئاً يجعل الله فيه خيراً كثيراً » . وهذه كلها عبارات مواساة وتصبير ، وتقسيم الكتاب بعد ذلك أدل على هذا المعنى ، فهو ليس مقسما إلى فصول بل إلى سلوانات : « السلوانة الأولى في التفويض ،

والسلوانة الثانية في التأسي ، والسلوانة الثالثة في الصبر ، والسلوانة الرابعة في الرضا ، والسلوانة الخامسة في الزهد » ، ثم يفصح ابن ظفر بعض الشيء عما دعاه إلى تأليف الكتاب فيقول : « وبعد ، فان ملكا ميمون السيرة ، مظنون صلاح السريرة ، حميد الفكرة ، شديد العبرة ، شغف العلم حباً ، توثب خارجي على رعيته فاقتطع منهم حزبا ، وطمع في أن ينتزع ملكه غصبا ، وأنس من وجوه أتباعه شغبا ، فسألني في تلك الحال أن أؤنسه بكتاب يشتمل على حكم وآداب ... »

ويبدو من خلال الضباب الذي يخيم على تاريخ المسلمين في صقلية خلال هذه الحقبة الأخيرة أن أمور محمد بن أبي القاسم استقرت من جديد وصفا له الجو واطمأن خاطره ، فنجده إلى جانب رجار الثاني في مكان عزيز يتولى ناحيته ويشمل فيها من المسلمين بحمايته ، ويشترك في تدبير الأمور مع كبار رجال الدولة ، وتتسع حاله ، وتكثر أمواله ، حتى يفد عليه الشعراء من بلاد صقلية وبعض نواحي المغرب ينتجعون فضله ويتوسمون نداه ، فيشير عليهم بأن يختصوا رجار ببعض أمداحهم ، وقد حفظ المؤرخون لنا أسماء بعضهم وبعض أشعارهم ، ومثال ذلك عبدالرحمن بن رمضان الشاعر المعروف بالقاضي وعبد الرحمن ابن محمد بن عمر البشيري الصقلي وأبو حفص عمر بن حسن النحوي الصقلي وغيرهم ممن أورد عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد الاصبهاني أطرافاً من أشعارهم في « الخريدة » ، بل بلغ من كثرتهم أن العماد سئم ذكر بقيتهم وقال : « فما أوثر مديح الكفر »

ويكاد أن يكون من المرجح عندنا أن محمد بن أبي القاسم الحمودي هذا كان هو وسيلة الشريف الادريسي إلى رجار ، فهو حمودي شريف مثله ، وقد دللنا في الفصل الخاص بالادريسي من بحثنا عن « الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » على أن الشريف الادريسي عند ما خرج من المشرق عائداً إلى المغرب مر بصقلية وأقام فيها ردحاً من الزمن ، فان القسم الخاص بصقلية من « نزهة المشتاق » يضم معلومات وملاحظات تدل على أنه عرفها

قبل وفوده عليها لعمل صورة الأرض وتأليف شرحها المسمى « نزهة المشتاق » ، وقد رجحنا لهذا أن يكون الشريف قد نزل بالجزيرة منتجعاً لقريبه الحمودي ، وعرف هذا ولعه بالجغرافية والأعشاب واتساع باعه فيها ، ومن المعقول أن يكون قد قدمه إلى رجار الثاني كما كان يقدم إليه من يفد عليه من الشعراء ، وقد كان هذا معنياً بهذين العلمين شديد الطلب لهما ، فلما لقي الادريسي دعاه إلى المقام عنده للعمل معه في الجغرافية، وهنا ـ أحسب ـ موضع العبارة التي ذكرها خليل بن أيبك الصفدي في « الوافي بالوفيات» وقال إن رجار الثاني للشريف الادريسي : « أنت من بيت الخلافة ، ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ، ومتى كنت عندي أمنت على نفسك » ، فاستقرت هذه الكلمة في نفس الادريسي ، ومضى إلى المغرب ثم إلى قرطبة ليستكمل دراسة الجغرافية ، وقد أثبتنا أن مقام الادريسي في قرطبة وجنوب الأندلس كان قبل سنة ٥٣٧ (١١٤٢ ـ ١١٤٣) أي قبل وفوده على صقلية وشروعه في العمل مع رجار ، ويبدو أن الادريسي لاحظ أثناء تلك الاقامة في الأندلس استقرار الأمر للمرابطين وحسن بلائهم في الدفاع عن الإسلام ، وأحس ألا أمل في العودة إلى السلطان ، فمضى إلى صقلية لينصرف إلى عمله العلمي ، وقد حمل في نفسه أحسن الأثر للمرابطين ، ولهذا فهو لا يزال يثني عليهم في كتابه ، ولا بد أنه لم يرض عن الموحدين بعد ذلك لقيامهم على المرابطين وعملهم على القضاء عليهم ، ولهذا فهو شديد النقد لهم ، لا يكاد يغادر فرصة للحملة عليهم إلا ابتدرها .

وقد ظلت أحوال المسلمين طيبة في صقلية طالما عاش رجار الثاني ، وهذا واضح على الأقل من عمل الادريسي معه وما كان يلقاه من الكرامة عنده حتى قال الصفدي : إنه « رتب له كفاية لا تكون إلا للملوك ، وكان يجيء إليه راكب بغلة ، فإذا صار عنده تنحى له عن مجلسه ، فيأبى فيجلسان معاً » ، وهذا الإكرام للادريسي لم يكن مقصوداً به

شخصه وحده ، وإنما كان رجار ينظر من ورائه إلى غرض آخر ، وهو كسب ثقة رعاياه من المسلمين بتقريب هذا العلامـة الشريف العلوي والحفاوة به ومعاملته معاملة الأمراء ، فإن الشريف الادريسي لم يكن يطلب هذا كله ولا نظر إليه ، وإنما كان عالماً وجد فرصة مواتية للعمل وتشجيعاً عليه فانصرف إليـه ، وبديهي أن هذه الـكرامة أيضاً كانت من نصيب قريبه ورئيس المسلمين في صقلية إذ ذاك : محمد بن أبي القاسم بن علي بن حمود

أحوال صقلية بعد وفاة رجار الثاني :

غير أن أحوال المسلمين في صقلية بدأت تتغير بعـد وفاة رجار الثاني وتولى ابنه غليالم الأول في سنة ١١٥٢ (٥٤٧ ـ ٥٤٨ هـ) ، فإن الولد لم يرث من ملـكات أبيه إلا القليل، وقد كان كسولاً عنيفاً متعالياً وبخيلاً ، كما يقول معاصروه من المؤرخين النصارى ، ولم يحسن إلى جانب ذلك أختيار نصحائه ورجال دولته ، ولهذا فقد شقى به رعاياه جميعاً مسلمين وغير مسلمين ، ثم إن الظروف كانت قد تغيرت من حوله ، فقد اشتد ساعد الامبراطورية التيوتونية وأخذ رجالها يتأهبون لانتزاع جنوبي إيطاليا من النرمان ، ومن ناحية أخرى استقام الأمر للموحـدين وأقبلوا يضمون شتات المغرب ويستعيدون ما كان النرمان قد استولوا عليه من مواضع على الساحل الافريقي ، ومالت طائفة من رجال الدولة من النصارى إلى الأباطرة أو الباباوات ، وطبيعي أن يميل أفئـدة المسلمين إلى الموحدين أو الأيوبيين ، وهو ميل طبيعي من جماعة إسلامية غلبت على أمرها وباتت ترجو الخلاص ، وسنرى بعد قليل أن آل حمود الصقليين لم يقتصروا على مجرد الرجاء ، بل سعوا بالفعل نحو الخلاص

والمهم لدينا الآن أن ظنون غليالم الأول ساءت فيمن حوله من كبار رجال الدولة ، فوقعت الفتنة فيما بينهم من ناحية ، وبينهم وبينه من ناحية أخرى ، وكان لهذا أثره على آل حمود وبقية مسلمي الجزيرة وقـد بدأت الثورة عليه في أملاكه في أبوليا وقلورية وأيدها آل كومنين أباطرة الدولة البيزنطيـة بأسطول ، وبعد لأي ما استطاع غليالم إطفاء

هذه الفتنة وعقد صلح مع البيزنطيين في سنة ١١٥٧ (٥٥٢ هـ) ، ثم وثب أهل صفاقس بالنرمان وتزعمهم أبو الحسن الغرياني وابنه ، وقامت الثورة كذلك في معظم جهات الساحل الافريقي ، ولم تلبث جيوش الموحدين المظفرة أن أقبلت يقودها الخليفة عبد المؤمن بن علي ، واستردت معاقل الشاطئ الافريقي كلها حتى طرابلس

وعلى أثر ذلك انقض نصارى بلرم على مسلميها على حين غفلة ، وكان المسلمون يسكنون أغنى أحياء المدينة ، وكان يسمى حي قصارة Cassara وأنزلوا بهم مذبحة دامية ، وقتلوا منهم المئات من بينهم الشاعر يحيي بن التيفاشي القابسي ، ويظن أن الادريسي ترك بلرم في هذه الآونة ، فقد كان يعيش منذ وفاة رجار الثاني على مقربة من القصر مشتغلاً بتأليف كتابه الثاني « روض الأنس ، ونزهة النفس » ، وكان ذلك سنة ٥٥٧ (١١٦١) ، وهذه آخر مرة نسمع فيها بذكر جغرافينا العظيم ، وذهب العماد في « الخريدة » إلى أن هذه المذبحة كانت سنة ٥٥٠ (١١٥٥ ـ ١١٥٦) ، ولكن الغالب أنه خلط بينها وبين فتن أخرى مما وقع للمسلمين في صقلية في هذه الفترة العصيبة

وقد ذكر الحسن الوزان الذي عرف باسم ليون الافريقي في رحلته أن الادريسي مات في صقلية سنة ٥١٦ هـ ، وهو وهم من الناسخ صححه دي ساين إلى ٥٦٠ (١١٦٤ ـ ١١٦٥) ، ومن هنا نرى أن تاريخي مولد ووفاة أعظم من أنجب العرب من الجغرافيين أخذناهما عن مصدرين مشكوك في سلامتهما ، الأول راهب ماروني والثاني رحالة أرتد عن الاسلام

أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن حمود :

وطبيعي أن تسوء حال آل حمود الصقليين ، ولدينا عن أخبار رئيس هذا البيت في تلك الأيام خبران : أحدهما قصير أتانا به علي بن أبي بكر الهروي ، وقد زار صقلية سنة ٥٦٩ (١١٧٣) ، قال : « واجتمعت بجزيرة اسقلية بالقائد أبي القاسم بن حمود ابن الحجر ،

وذكر لي أنه من ولد عمر بن عبد العزيز ، وكنت مرضت في مسجد عين الشفاء وهذه العين تزار ، وأحسن هـذا القائد إلي ، وكنت أخذت منه كتاباً إلى السلطان يحثه على أخذ هذه الجزيرة ، وغرق المركب عنـد خروجي من هذه الجزيرة ، وركبت مع قوم من الروم إلى جزيرة قبرس » ولا ندري إن كان المراد بأبي القاسـم بن حمود هنا محمد بن أبي القاسم الذي نحن بصدده أو ابناً له يسمى أبا القـاسم ، و يرجح الرأي الأخير ، لأن صـورة الاسم هنا واضحة ، وبهذا الاسم سيذكره ابن جبير بعد ذلك بأكثر من عشر سنوات ، ويستبعد أن تطول مدة محمد بن أبي القاسم هذه الحقبة كلها ، وسنرى كذلك أن الشاعر الاسكندري ابن قلاقس قد وفد على أبي القاسم هذا ومدحه وألف له كتاباً

ولا شك أن علي بن أبي بكر الهروي أخطأ عند ما قال إن أبا القاسم قال له إنه من ولد عمر بن عبد العزيز ، وربما يكون قد خلط هنا بينه وبين رجل آخر ، والخلط والسهو هنا ممكنان إذا ذكرنا ما يقوله الهروي من أن المركب غرقت به وهو في طريق العودة من صقلية ، فانتقل إلى مركب رومي نقله الى قبرص

وإشارة الهروي إلى أخـذه كتاباً إلى السلطان يستحثه فيه على أخـذ الجزيرة جديرة بالملاحظة ، والسلطان المراد هنا هو صلاح الدين الأيوبي ، وكان الحمودي قد استبطأ الغوث من الموحدين ، فاتجه إلى الأيوبيين

وكان أبو القـاسم بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن حمود — إذ صح ما افترضناه — في ذلك الحين من كبار رجال الدولة ، لا يزال له مركزه وحظوته ، وكانت المنافسة شديدة بينـه وبين وزير بيزنطي يسمى اصطفان ، وكان كل منهما يسعى بالآخر قـدر ما يستطيع ، ولدينا من الدلائل ما يشهد بأن الحمودي كان نداً لصاحبـه ، وكان لـكل منهما أنصار وأعوان ، وتقلبت الأحوال بهما معاً ما بين سعود ونحوس ، وكان من أكبر مؤيدي أبي القاسم بن حمود جوردان بن جوردان ابن أخي رجار الأول الذي ذكرناه ، وكان قد أسن

إذ ذاك ، ولـكنه ظل محتفظاً بمكانه وحظوته ، وكان كارهاً لاصطفان: الماكر المتآمر ، وكان تأثير هذا الأخير على والدة غليالم الأول عظيما

ولا بد أن الحمودي الصقلي الذي وفد عليه الشاعر الاسكندري ابن قلاقس أبو الفتوح نصر بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوى اللخمي الملقب بضياء الدين القاضي الأعز هو أبو القاسم هذا ، وكان ابن قلاقس رجلا قلقاً جوالا لا يكاد يستقر في مكان ، ولا ندري ما الذي أقدمـه على صقلية ، وقد ذكر ابن ميسر في تاريخه « ان رجار كان يحب مـدح الشعراء ويجيزهم ، فذهب اليه جماعة من الشعراء ومدحوه ، منهم ابن قلاقس ، وأمر أن يصنف له تاريخ ، فصنف له تاريخ كبير » وعبارة ابن ميسر ـ كما لاحظ الدكتور إحسان عباس ـ حافلة بالخطأ ، فان ابن قلاقس لم يزر صقلية في أيام رجار ، بل في أيام ابنـه غليالم الأول ، فقد بدأ هـذا الأخير حكمه سنة ١١٥٢ (٥٤٧ أو ٥٤٨ هـ) ، ونزل ابن قلاقس صقلية سنة ٥٦٣ (١١٦٧ ـ ١١٦٨) ، ولم يطلب الملك النصراني الى ابن قلاقس أن يؤلف له كتاب تاريخ أو غيره ، والمسألة كلها تبدو وكأنها صدى مضطرب لما طلبه رجار من الشريف الادريسي

والمعقول أن يكون ابن قلاقس قد وفد على أبي القاسم بن حمود ، فقد أكرمه هـذا وأضفى عليه من بره ما ألهج لسانه بمديحه ، بل جعله يؤلف كتاباً يطرزه باسمه عنوانه : « الزهر الباسم ، في أوصاف أبي القاسم » ، وقد اتصل ابن قلاقس بثلاثة آخرين من زعماء المسلمين في الجزيرة هم القائد غارات بن جوشن ، وقد وصفه في إحـدى رسائله بأنه « خاصة المملـكة الغليلمية بصقلية » ، والقائد السديد الحصري ، والقائد ابن فاتح ، ويبدو أن هؤلاء كانوا من حزب أبي القاسم بن حمود وأنصاره

وعن طريق أبي القاسم بن حمود تعرف ابن قلاقس على جوردان وزير المملـكة

الصقلية ، ومدحه بشعر غريب فيه تكلف كقوله :

وَجرَّدْنا المدائح فاستقرَّتْ على أوصاف جُرْدَنّا الوزيرِ
فنظمنا المفاخر كالآلى وَحلَّيْنَا المعالي كالنحورِ

ومديح ابن قلاقس لأبي القاسم بن حمود يدل على أن الرجل كان إذ ذاك في حال عظيمة من القوة والغنى والسلطان ، وهو يشيد ببلاغته وفصاحته في عبارات طنانة تذكرنا بعبارات الفتح بن خاقان في « القلائد » و « المطمح » ، وله فيه أشعار تدل على أنه كان يتولى المهم من شئون الدولة :

وبيمناك طَيْرُ يُمن وسَعْدِ أصفر الظهر أسود المنقارِ
قَلَمٌ دبَّر الأقاليم فالكتـ ـبُ به من كتائب الأقدار
يا طراز الديوان والملك أصبحـ ـت طراز الديوان والأشعار

ومعنى ذلك أن أبا القاسم كان رئيس ديوان كبير تصدر عنه الأوامر والكتب إلى الأقاليم ، ومعلوماتنا عن تنظيم الدولة النرمانية قليلة ، وخاصة فيما يتصل بالناحية الاسلامية، أي ما يخص المسلمين منها ، ولكن أن وثائق الدولة كانت تكتب باللغات الثلاث : العربية واللاتينية واليونانية ، ولهذا فلا يستبعد أن يكون هو المشرف على القسم العربي أو الأقسام العربية من دواوين الدولة ، وابن قلاقس يصفه بالبلاغة فيقول :

وتلتقي كُتْبُهُ الكتائبَ في جيشٍ من الخطِّ صائد الصِّيدِ
بكل لفظ كأنه نَفَسٌ غير مُمِلٍّ بطول ترديدِ
صَحَّتْ معانيه فانتسبْنَ إلى فضل ابتكارٍ وحُسْنِ توليدِ

والغريب مع هذا أنه لا يصفه بما يوحي بمعنى القيادة العسكرية ، مع أن لقبه الرسمي كان « القائد » ، ولا يستبعد أن يكون هذا الثالث من رؤساء أدارسة صقلية رَبَّ قلم لا رَبَّ سيف ، وأنه أنصرف بكليته إلى الكتابة والانشاء ووظائف الادارة ، ويؤيد

هذه المدينة لوصوله » وهذا تعريف طيب بالرجل وبيته ومناقبه ومركزه في صقلية

ثم يضيف ابن جبير إشارة غاية في الأهمية عن بعض ما وقع له من أحداث : « وكان في هذه المدة تحت هجران من هذا الطاغية ، ألزمه داره بمطالبة توجهت عليه من أعدائه ، افتروا عليه فيها أحاديث مزورة ، نسبوه فيها إلى مخاطبة الموحدين أعزهم الله ، فكادت تقضي عليه لولا حارس المدة ، وتوالت عليه مصادرات أغرمته نيفاً على الثلاثين ألف دينار مؤمنية ، ولم يزل يتخلى عن جميع دياره واملاكه الموروثة عن سلفه ، حتى بقي دون مال فاتفق في هذه الأيام رضا الطاغية عنه ، فأمره بالنفوذ لمهم من أشغاله السلطانية ، فنفذ لها نفوذ المملوك المغلوب على نفسه وماله ، وصدرت عنه عند وصوله إلى هذه البلدة رغبة في الاجتماع بنا ، فاجتمعنا به ، فأظهر لنا من باطن حاله ، وبواطن أحوال هذه الجزيرة مع أعدائهم ما يبكي العيون دماً ، ويذيب القلوب ألماً ، فمن ذلك أنه قال : كنت أود لو أباع أنا وأهل بيتي ، فلعل البيع كان يتخلصنا مما نحن فيه ، ويؤدي بنا الى الحصول في بلاد المسلمين فتأمل حالا يؤدي بهذا الرجل - مع جلالة قدره وعظم منصبه - الى أن يتمنى هذا التمني ، مع كونه مثقلا عيالا وبنين وبنات ، فسألنا الله عز وجل حسن التخلص مما هو فيه ، ولسائر المسلمين من أهل هذه الجزيرة ، وواجب على كل مسلم الدعاء لهم في كل موقف يقفه بين يدي الله عز وجل ، وفارقناه باكياً مبكياً واستمال نفوسنا بشرف منزعه ، وخصوصية شمائله ، ورزانة حصاته ، وشمول مبرته وتكرمته ، وحسن خلقه وخليقته ، وكنا قد أبصرنا له ولأهل بيته بالمدينة ديارا كأنها القصور المشيدة الأنيقة ، وشأنهم بالجملة كبير ، ولا سيما هذا الرجل منهم ، وكانت له أيام مقامه هنا أفعال جميلة مع فقراء الحجاج وصعاليكهم أصلحت أحوالهم ، ويسرت لهم الكراء والزاد ، والله ينفعه بها ، ويجازيه الجزاء الأوفى عليها ، بمنه »

وهذه العبارة عظيمة الفائدة حافلة بالتفاصيل ، ولكنها مع ذلك قلقة فيها تناقض

كثير ، ولو لا أن صاحبها رجل صدوق يروي ما رأى وما سمع بأمانة لا يرقى إليها شك لترددنا في قبول بعض ما فيها ، فنحن لا نفهم كيف أن غليالم الأول استصفى أموال أبي القاسم بن حمود حتى بقي دون مال ثم يرى له ابن جبير بعد ذلك « ديارا كأنها القصور المشيدة » في بلد لم يكن مركز إقطاعه ، فما بالك بما كان له ولأهله في قصريانة وأجرجنت ؟ ثم إن هذا التذلل وتمني أن يباع هو وأهل بيته ليخلص مما كان فيه لا معنى له أصلاً ، فلم يكن هناك أي تضييق على المسلمين في مغادرة صقلية إذا شاءوا ، وقد هاجر بالفعل كثيرون جداً ، وكيف لم يتكلم هذا الرجل مع ابن جبير في شأن أستخلاص الجزيرة على أيدي الموحدين ، وكان ابن جبير من رجالهم المخلصين لهم المقربين إلى أمرائهم ؟

الذي أستطيع أن أفهمه من هذه العبارة هو أنها نفثة مصدور قالها أبو القاسم لأخ مسلم للتعبير عن الخوف والضيق ليس إلا ، وليس معناها أنه كان في حالة الذل التي يصورها ابن جبير ، ولم يكن يفكر جاداً في مغادرة الجزيرة ، ففيها على الأقل أمواله وضياعه ، وله فيها مكانة عالية ، ولبيته تاريخ طويل ، ومن العسير على رجل هذا مركزه أن يتخلى عما كان فيه ويترك معاهد أهله وأجداده ويهاجر الى بلاد لا يعرفه فيها أحد ، وربما لم تكن حاله فيها بعد ذلك أحسن بكثير مما كان فيه

***

وعلى أي حال فهذه آخر اشارة لدينا عن بني حمود الأدارسة الصقليين ، فقد اجتاحت الجزيرة بعد أيام غليالم الأول فتن وحروب على أيام ابنه غليالم الثاني ، وانتهى الأمر بضياع أمر النرمان جملة ، ودخول الجزيرة في طاعة أباطرة التيوتون مرة اخرى ، وتتويج فردريك باربار وسا نفسه ملكاً عليها في بلرم ، وفي أثناء هذه الفتن عم البلاء أهل الجزيرة جميعاً مسلمين وغير مسلمين ، واختفت البيوت الكبرى التي قامت عليها دولة النرمان سواء أكانت بيزنطية أم نرمانية أم اسلامية

وفي غضون هذه الاضطرابات اختفى بنو حمود ، فلم نعد نسمع لهم ذكراً ، وقد يكونون غادروا الجزيرة عند ما استبانت لهم استحالة المقام وضياع الأمن وانقطاع الآمال في الصلاح قد يكونون غادروا الجزيرة في صمت وحلوا في أي بلد من بلاد الاسلام كما دخلوا صقلية واستقروا فيها في سكون ، ولسان حالهم يردد هذه الأبيات الجميلة التي تنسب الى أعظم من نزل منهم صقلية ، وهو الشريف الادريسي :

ليت شعري أين قبري ؟ ضاع في الغربة عمري

لم أدع للعين ما تش تاقُ في بَرٍّ وبحر

وخبرت الناس والأر ضَ لدى خير وشر

لم أجد جاراً ولا دا راً كما في طيِّ صدري

فكأني لم أسر إ لا بعَيْنٍ أو بقفْر

مدريد حسين مؤنس

المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز

بقلم الدكتور صالح احمد العلى

للحجاز أهمية خاصة بين أقاليم العالم الاسلامي ، ففيه ولد الرسول وقضى كل حياته ما خلا فترات قصيرة قام بها بأسفار إلى بصرى في بلاد الشام ؛ وفيه جاءته النبوة وأمره تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين ، وان ينذر أم القرى وما حولها ، وأن يكون القرآن ذكر له ولقومه ، وهو رحمة للعالمين ، وان يكون للعالمين بشيراً ونذيراً وقد اتخذ الرسول في الحجاز ، بمكة أولاً ، ثم بالمدينة ثانياً ، مركزه لنشر الدعوة الاسلامية ، وتأسيس الدول الاسلامية ، والى عشائر الحجاز وأماكنها وجه معظم غزواته وسراياه

ثم ان الحجاز عاش فيه معظم صحابة الرسول والتابعين الاعلام الذين كانوا قدوة للمسلمين ومصدراً لمعرفة الاسلام وسنة الرسول ؛ كما استوطنته قريش التي ينتمي اليها الرسول وكافة الخلفاء ، الراشدين والأمويين والعباسيين الذين كانوا مسؤولين عن ادارة دولة الاسلام وتوجيهها ؛ وقد كانت المدينة هي العاصمة الأولى التي انطلقت منها البعوث لإخماد حركات الردة وفتح بلاد الشرق الأوسط في عهد الراشدين ، كما ان مكة فيها الكعبة التي يتوجه اليها كافة المسلمين في مختلف الأقطار ، في صلواتهم الخمس اليومية ، وهي مركز الحج الذي تهوى اليه أفئدة المسلمين ، ويؤمه سنوياً آلاف المسلمين للقيام بالركن الخامس من أركان

الإسلام فلا عجب أن يوليه الخلفاء ، حتى بعد أن انتقلت عاصمة الخلافة منه ، عناية خاصة، ويهتمون بشؤونه ، كما أولاه الفقهاء عناية خاصة ، وخاصة فيما يتعلق بالحج أو بسنة الرسول.

ولا بد من الاشارة إلى أن تعبير الحجاز غير محدد أو متفق عليه ، فقد اعتبره البعض يشمل جبال السراة الممتدة من اليمن إلى أطراف بلاد الشام ، وقصره البعض على المنطقة البركانية الممتدة من أطراف حرة خيبر الى العرج الواقعة في منتصف المسافة تقريباً بين مكة والمدينة ، وادخل فيه آخرون المنطقة الممتدة الى جبل طي ، أما الاداريون فقد جعلوه يمتد من سرغ ، بالقرب من تبوك ، الى أطراف نجران الواقعة اليوم شمالي اليمن ، وقد جعل الاداريون معظم مناطق هضبة نجد تابعة له [1] أما نحن فسنأخذ بالتعريف الثالث ، الذي وان لم يكن دقيقاً من الناحية الجغرافية ، إلا أنه أقرب الى الشمول من الناحية العملية ، فان مناطق شرقي الحجاز كانت شديدة الارتباط بها

ورغم كثرة مناطق الاستقرار والقرى والمدن في الحجاز ، إلا أن المركزين الرئيسين فيه هما مكة والمدينة ، ومع ان مكة كانت قبلة المسلمين في الصلاة ، ومركز الحج ، إلا أن المدينة ظلت طوال قرون هي المدينة الرئيسية فيه ، ذلك ان استقرار الرسول مع المهاجرين في المدينة ، واتخاذه منها قاعدة لأعماله وحركاته ، وعاصمة لدولة الاسلام المتنامية ، أدى الى أن يهاجر اليها عدد كبير من القرشيين وأهل الحجاز ، وأن تكون مصدر معرفة السنة وأعمال الرسول ، ثم أن تصبح المركز الذي ينظم الفتوح ويشرف على إدارة الدولة الاسلامية المتنامية، وقد أدى ذلك الى أن تنصب اليها الأموال والواردات بعد الفتوح، ويوزع العطاء على أهلها ، وتزدهر فيها الحياة الاقتصادية ، وتعمر فيها وحولها الأراضي الزراعية ، يساعد في ذلك خصوبة تربها البركانية ، ووفر المياه الجوفية ، وتزايد المهارات

(١) أنظر عن هذه التعريفات : البكري : معجم ما استعجم ص ٩ فما بعد (طبعة مصطفى السقا) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٠ (طبعة وستنفلد) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٧ (طبعة دي غويه) ، وكل ما يذكر في هذا المقال يشير الى هذه الطبعات من الكتب

الفنية بعد الفتوح ، فلا عجب أن تلعب المدينـــة دوراً رئيسياً في تاريخ الحجاز في صدر الاسلام ، وان تـكون أهم مركز للحركة الفكرية في الاسلام في العهود الأولى ، والواقع أن المؤلفات عن المدينة وما حولها لا تقـارن كثرتها مع قلة المؤلفات عن مكة ، لذا سوف لا يتناول بحثنا هذا تاريخ المؤلفات عن مكة

وقد يكون من خارج نطاق بحثنـــا تطور الحركة الفـكرية في الحجاز ومقارنتها بما حدث في الأقاليم والمراكز الأخرى ، ويـكفي أن نشير هنا إلى ان هذه الحركة ظهرت في الحجاز ، وفي المدينة بصورة خاصة ، في وقت مبكر جداً ، يوازي، أن لم يسبق ظهورها في الأقاليم الأخرى، وانها تناولت جوانب متعددة ، منها البحث فيسيرة الرسول ، والتراجم ، والنسب ، والتاريخ ، والشـــعر ، والفقه ، وقد تطرق كل منها إلى أحوال الحجاز عامة ، والمدينة خاصة

فـكتب السيرة مثـلاً ذكرت في ثنايا بحثها عن حياة الرسول الغنية الطويلة ، أماكن كثيرة في الحجاز ، وسكانها وعشائرها وتحديد مواقعها ، وأقدم كتابين عن السيرة ، هما ما ألفه ابن اسحق ، والواقدي فأما سيرة ابن اسحق فقد كانت العماد الرئيسي لمن تلاه من مؤلفي السيرة ، وقد خص بالتفصيـل طريق هجرة الرسول الى المدينة ، والطريق الذي سلـكه الى بدر ، والى ذي العشيرة ، والى تبوك ، والى حنين ، وبين كافة المحطات التي تقع على كل منها ، فضلاً عن اشارته الى بعض طرق قوافل أهل مكة واتجاهاتها

أما الواقدي فقد تابع ابن اسحق في كثير مما كتب عن السيرة ، ولـكنه أهتم بتحديد معظم الأماكن التي أوردها وذكر إبعاد كثير من هذه الأماكن بالأميال والبرد

غير ان كتب الســـيرة ركزت بحثها على حياة الرسـول واعماله ، لذلك جاءت أغلب المعلومات المتعلقة بأوضاع الحجاز وجغرافيته واهله ، عرضية ، مشتتة ، غير شـاملة ولا متناسقة ، وهي متركزة على ما له علاقة بالرسول بصرف النظر عن اهمية ذلك المـكان ، كما

ان اغلبية الأماكن التي وردت في هذه الكتب ، تقع حول المدينة او بينها وبين مكة ، ثم ان كتب السيرة الأولى رغم قدمها ، قد دونت بعد الرسول بأكثر من قرن ، وهي فترة حدثت خلالها تطورات غير قليلة لعلهـا انعكست في كتب السيرة ، ودخلت فيها ، ولعل اوضح مثل على ذلك ضبط المســافات بالأميال والبرد ، الذي تم في العصر الأموي والعباسي ، ولم يكن في زمن الرسول

اما كتب النسب فأقدم ما وصلنا منها هو كتاب النسب الكبير لهشام بن محمد الكلبي ، ونسب قريش لمصعب الزبيري الذي اعتمـد عليه وأضاف له كثيراً الزبير بن بكـار وقد صار هذان الكتابان المصدرين الرئيسين لمن تلاهما ؛ وفي كل من هذين الكتابين معلومات قيمة عن العشائر والأسر والشخصيات البارزة ومكانتها الاجتماعية ودورها السياسي ، مع إشارات الى أماكن اقامتها وأملاكها وثرواتها ، ولكن هذه الكتب تركز على النسب ، ولا تقصر بحثها على الحجاز وحده

أما كتب التراجم فأقدم ما وصلنا منها هو كتاب الطبقات الكبير لابن سعد كاتب الواقدي وهو يتكون من ثمانية مجلدات كبار يبحث الأول والثاني منها في حياة الرسول ، ويختص الجزء الثالث والرابع والخامس بالصحابة والتـابعين من اهل المدينة ومكة خاصة أما السادس فيبحث في تراجم الكوفيين ، والسـابع في البصريين وأهل خراسان والشام والمدائن ، والثامن في النساء. ويتبين من هذا ان الأجزاء الخمسة الأولى والثامن تتناول أهل الحجاز ، وقد اعتمد بالدرجة الأولى على الواقدي ، غير أنه نقل من عدد كبير غيره نصوصاً متباينة في العدد والطول والكتاب غني بالمعلومات عن الحركة الفكرية ومظاهر الحياة الاجتماعية كالألبسة والزينـة وفيه معلومات عن الأماكن والادارة والملكيات ؛ غير ان هذه المعلومات مبعثرة ، كما ان المؤلف اهتم بالقراء والأتقيـاء فخصهم بفصول طويلة ، وأهمل الجوانب الادارية والسياسية وقد صار كتاب ابن سعد نموذجاً ومصدراً تابعه كثير ممن

ألفوا في الرجال كأبي حاتم الرازي ، وابن عبد البر ، وابن الأثير ، وابن حجر العسقلاني

ان مكانة الحجاز في تاريخ الاسلام ، والحوادث الخطيرة التي حدثت فيه وخاصة في القرن الأول وأوائل القرن الثاني ، كواقعة الحرة ، وثورة ابن الزبير ، وهجوم الخوارج ، وقيام محمد النفس الزكية ، وثورة العبيد ، فضلا عن الاحداث السلمية التي حدثت فيه ، اثارت اهتمام المؤرخين فتتبعوا اخبارها وذكروها ضمن التيار العام لتاريخ الاسلام ، كما خصص لها بعضهم كتباً خاصة ، فقد ألف عن الحرة كل من أبي عبيدة وأبي مخنف والواقدي والغلابي ، وألف أبو مخنف كتاباً عن حصار ابن الزبير[1] ، ولم يبق من هذه الكتب إلا مقتطفات نقلها الطبري في تاريخه ، والبلاذري في كتابه « انساب الاشراف » والسمهودي في « وفاء الوفا » . وفي ثنايا هذه الكتب معلومات عن اماكن في الحجاز ، وعن طرق المواصلات والمراكز العسكرية ، وبعض التفاصيل عن خطط المدن ، وخاصة مكة والمدينة ، وهذه المعلومات ذات اهمية كبيرة لان ورودها في زمن ما يعين على تعيين تاريخ ذلك المكان غير انها معلومات متفرقة مشتتة وغير متناسقة أو كاملة

لقد ظهر في الحجاز ، قبل الاسلام وبعده ، عدد غير قليل من الشعراء ، عاش بعضهم في البادية والريف كشعراء الهذليين والعذريين ، وعاش الآخرون في المدن كعمر بن أبي ربيعة ، وقد تطرق هؤلاء الشعراء في شعرهم الى ذكر كثير من الاماكن والعشائر والاحداث السياسية وبعض المنتوجات ، وقدموا صوراً متعددة من الحياة ، والشعراء يتميزون بضبط الأسماء لان حركات الكلمات تؤثر في الوزن والقافية ، واهم اللغويون

---

(١) يضم كتاب الفهرست لابن النديم ، وكتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ للسخاوي ، أوسع قائمة بأسماء الكتب التي ألفها العرب في التاريخ وقد أعيد طبع كتاب السخاوي مع تعليقات وافية أضافها روز نتال وقت بترجمتها ونشرها في كتاب علم التاريخ عند المسلمين ، وقد أضفت الى هذا الكتاب ما ورد في فهرست ابن النديم من كتب تاريخ مصنفة تبعاً لمواضيعها

بشعر هؤلاء الشعراء فشرحوه وفسروه وقدموا في ذلك معلومات اضافية قيمة عن الحجاز واحواله

غير أن الشعر عادة غير مفصل أو شامل في وصفه ، أو دقيق في ضبطه ، فقد يذكر مكانين معاً ، وهما متباعدان في الموقع ، وهو بالتالي تعبير عن مشاعر الشاعر وعواطفه ، وقد يبتعد التعبير العاطفي الشخصي عن الدقة كما ان شروح اللغويين ليست دائماً وافية أو دقيقة

لقد كان المأمول ان الحج الذي يؤديه سنوياً عدد كبير من المسلمين ، فيهم العلماء والمفكرون ، سيثمر كتباً يدون فيه الحجاج ملاحظاتهم ؛ فتكثر كتب الرحلات التي مبعثها الحج ، غير أن الواقع غير ذلك ، فان عدد الرحالة الذين ذهبوا الى الحج ودونوا اخبار رحلاتهم قليلون جداً ومتأخرون ، ولعل من اقدم من وصلتنا رحلاتهم من هؤلاء الحجاج هو ابن جبير الذي جاء في أواخر القرن السادس الهجري ، وهو ومن تلاه متأخرون عن الفترة التي ندرسها الآن

وقد ظهرت في القرن الثالث الهجري عدد من كتب المسالك والممالك ، وكتب الجغرافية التي وصفت طرق المواصلات ومحطاتها ، واقاليم العالم الاسلامي ، وخصت الحجاز بفصول منها ، وقدمت معلومات طيبة عن هذا الاقليم ، واستمدت كثيراً من معلوماتها من سجلات الدواوين ، كما نقل بعضها معلومات من المتقدمين ، ولكننا سوف لا نتناولها بالتحليل لانها متأخرة نسبياً ، ولانها تتابع نماذج في التأليف كانت سائدة في المشرق دون الحجاز [1]

***

---

(١) ان سياق البحث اقتضى اعطاء نظرة عامة والاكتفاء بذكر الكتب الرئيسة ، أما من يريد التفاصيل عن كافة الكتب في كل من المواضيع التي ذكرناها فيحسن الرجوع الى الكتب المختصة وخاصة كتاب بروكلمان عن تاريخ الأدب العربي

ان كافة الأصناف التي ذكرناها فيما سبق فيها مادة قيمة عن الحجاز واحواله في القرون الأولى ، غير أن هـذه المادة مشتتة ومبعثرة ، وقد ذكرت بصورة عرضية ، ومهما حاول الانسان جمعها وترتيبها ، فلا يكفي أي مصدر منها ، بل وكلها مجتمعة على اعطاء صورة متماسكة واضحة لاحواله ، لا نقصاً في مؤلفيها ، بل لانهم لم يكونوا يهدفون الى ذلك ، إذ أن مؤلفي كل صنف كان لهم هدف يبناه ، ولذلك فان المعلومات التي أوردوها ينبغي ان تعتبر مكملة أو موضحة لمؤلفات الكتاب الذين ألفوا كتباً تدور حول الحجاز أو احدى مدنه بالدرجة الأولى ، وهو الموضوع الذي نريد تناوله بالبحث في مقالنا هذا

ولا بد من الاشارة إلى اننا سنقتصر بحثنا هـذا على دراسات المؤلفات ، أو الأفكار والمعلومات التي دونت في الكتب ووصلتنا بنصها أو بما نقل عنها ، فلا ندخل الأفكار والآراء والمعلومات التي من المحتمل ، أو من الراجح ، انها كانت معروفة في عصرها ، أو أشغلت اهتمام المعاصرين في زمنها ولكنها ضاعت وفقدت فلم يصلنا منها شيء حيث أن فقدان هذه المعلومات يجعل من الصعب الحكم على قيمتها واهميتها أو تقرير النسبة بين اهتمام الناس في قضية ما وبين تدوينهم لها

ولا ريب أن الحركة الفكرية التي ظهرت في العالم الاسلامي في زمن مبكر ، كانت تعتمد بالدرجة الأولى على المناقشات والآراء التي تحفظ عن ظهر قلب وتنقل مشافهة الى أن بدأ التدوين على نطاق واسع بشكل كتب بعد انتشار لورق في أواخر القرن الثاني ؛ وهنا تبرز مشكلة تقرير نسبة الاخبار وتعيين مصدرها الأصلي ولتوضيح ذلك نقول إن الطبري في كتابه : « تاريخ الأمم والملوك » مثلا اقتصر على ايراد روايات المصادر القديمة عن الاحداث التاريخية ، وان اغلب هذه المصادر لم تصلنا من اصحابها بشكل كتب ، لان اصحابها لم يدونوا معلوماتهم في كتب وابقوها بشكل روايات شفهية الى ان جاء اصحاب الكتب فدونوها ذاكرين مصادرهم أو مغفليها ، فالطبري يروي مثلا كثيراً من

الروايات عن سيف بن عمر الذي يروي بدوره عن عدد من الشيوخ مثل محمد وطلحة وزياد وغيرهم ؛ ان هذه الاخبار يمكن ان يعتبر صاحبها محمد (الشيخ الأول) أو سيف (الناقل الذي جمع الروايات في كتاب) أو الطبري (الذي نقل كتاب سيف وأوصله لنا) أما نحن في بحثنا هـذا فسنعتبر المؤلف هو الشخص الذي روى مؤرخوا الفكر الاسلامي انه ألف كتاباً في الموضوع ، سواء وصلنا ذلك الكتاب كاملا أم عن طريق المقتطفات عنه ، ونأخذ بنظر الاعتبار ايضاً كثرة النقول المنسوبة الى هـذا المؤلف والتي اقتبستها الكتب المتأخرة عنه وعلى هذا فاننا نعتبر سيف بن عمر هو المؤلف الحقيقي ، وندرس ما روى عنه الطبري باعتبار ان الطبري ناقل ، هذا مع العلم اننا لا نغفل ، عند الاقتضاء ذكر شيوخ المؤلف والناقلين عنه

ولا بد من الاشارة الى أن معظم هؤلاء المؤلفين الأولين كانوا يهتمون بذكر مصادرهم التي أخذوا عنها معلوماتهم ، غير ان هذه المصادر في الغالب متعدده وكثيرة جداً ، وقلما ينقل المؤلف من شيخ اكثر من رواية واحدة ، وفي بعض الأحيان كان المؤلف يغفل اسم الشيخ ويكتفي بذكر كلمة « اخبرنا الثقة » أو « أخبرني من أثق به » وكثيراً ما يشير صراحة الى أنه جمع روايات شيوخ متعددين وألف بينها ، فيوردها رواية واحدة متماسكة لا يتبين منها مدى التباين الموجود بين روايات مختلف الشيوخ ، كما أن هذا المؤلف يورد عادة كثيراً من المعلومات المستمدة من اطلاعه ومعرفته وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الموجودة في عصره فهو إذاً ليس مجرد جمّاع لروايات الشيوخ ، بل كثيراً ما يختار منها ، ويؤلف بينها ويضيف اليها مما يعرفه عما يبحثه

ولا شك أن هذا الجهد يبرر اعتباره « مؤلفاً » بالرغم من اعتماده في كثير من معلوماته على رواة آخرين ، ذلك أن جمع الروايات ، والتأليف بينها ، والاضافة اليها ، وتنسيق كل ذلك ببحث قد لا يكون متماسكاً ولكنه على كل حال يحتفظ بشيء من

التسلسل ، لا بد أن يطبع البحث بطابع خاص مميز

ولا بد من الاشارة الى عدم وجود حقوق طبع عند الاقدمين ، والى أن معظم المؤلفين القدامى كانوا لا يكتبون كتبهم بخطهم ، بل يعتمدون في ذلك على املائها على تلامذتهم ، مما يعرضها الى اختلاف الروايات بضبط الأسماء والنصوص ، الأمر الذي جعلنا نجد للكتاب الواحد عادة روايات متعددة تتباين في ضبط الأسماء وفي كمية المعلومات احياناً ولكن مما يخفف أثر هذا الأمر هو أن الأقدمين بفضل اطلاعهم الواسع وتدقيقهم في دراسة اشخاص الرواة استطاعوا أن يقرروا بعض الرواة المعتمدين ، بل أن المؤلف كثيراً ما يقرر بنفسه الرواية المعتمدة من كتابه ، ولهذا اهمية كبيرة في كتب التاريخ التي لم يخضع كثير من رواتها الى نفس التمحيص الذي وجه الى رواة الحديث

ان اغلب المؤلفين الذين حددنا طابعهم اعلاه ، ضاعت مؤلفاتهم ولم يصلنا منها إلا المقتطفات التي نقلها المتأخرون كالبكري في « معجم ما استعجم » وياقوت في « معجم البلدان » وابن النجار في « الدرة الثمينة في اخبار المدينة » والزين المراغي في « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » والسمهودي في كتابه العظيم « وفاء الوفا في اخبار دار المصطفى » ولا ريب ان هذا يؤدي الى أن يكون بحثنا أولياً ، واستنتاجاتنا تمثل الخطوط الرئيسية دون أن تكون شاملة لكل التفاصيل ، لان الكتب الناقلة المتأخرة كثيراً ما تنقل من المؤلفين الأولين دون الاشارة الى مصدرها ، مما قد يؤدي الى عدم ادخال كثير من معلومات المؤلف الأول في بحثنا ، كما ان الناقل المتأخر قد لا يكون نقل كل ما جاء في المؤلف القديم بل اختار منه ما رآه ملائماً وحذف نصوصاً أخرى قد تكون مهمة جداً في رأينا ، ومع انه يمكن علاج هذا بجمع كل ما نقلته كافة المصادر ، إلا أن هذا ليس بالأمر السهل ، كما انه قد لا يغني في تكوين صورة كاملة للمؤلف القديم ، إذ قد تتفق كافة المصادر على حذف نصوص معينة ؛ ومع هذا فحتى لو تمكنا من جمع كل نصوص

الكتاب المفقود مما نقل عنه ، فان هذا لا يكفي لاعطاء صورة كاملة عن الكتاب ، لان النصوص مقتطفات جزئية لا تكفي وحدها لتوضيح تنظيم الكتاب وتسلسل ابحاثه ، مما له اهمية كبرى في تقرير قيمة الكتاب

محمد بن الحسن بن زبالة :

يقول السمهودي إن « ابن زبالة ويحي اقدم من أرّخ للمدينة ، ولا شك أن ابن زبالة اسبق إذ يؤخذ من كلامه انه وضع كتابه في صفر سنة ١٩٩ هـ » ، وابن زبالة هو محمد بن الحسن ، وهو أحد أصحاب الامام مالك بن انس (وفاء ج ١ ص ٢٥٢ [1]) شيخ الزبير بن بكار (وفاء ج ١ ص ١٥٠) الذي كان من رواة كتاب ابن زبالة (وفاء ج ١ ص ١٤)

ألف ابن زبالة كتابه « اخبار المدينة » سنة ١٩٩ هـ ، ولم يذكر له غيره ، وقد فقد هذا الكتاب ، ولكن بقيت منه نصوص نقلها المتأخرون ، فقد نقل عنه الطبري في احد عشر موضعاً عن بعض الاحداث التي جرت في المدينة ، ونقل عنه ابن رسته في الاعلاق النفيسة في أربعة مواضع ، كما نقل عنه ابن النجار في كتاب « الدرة الثمينة في تاريخ المدينة » عشرين نصاً معظمها عن طريق الزبير بن بكار ، ونقل عنه الزين المراغي في كتابه « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » في ستين موضعاً ، كما نقل عنه السخاوي في كتاب « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » في عدة مواضع ، غير أن أوسع من نقل عنه هو السمهودي في كتاب « وفاء الوفا » حيث ذكر صراحة انه نقل عنه في ٣٥٠ موضعاً ، فضلا عن نصوص يرجح أنه نقلها عنه وان كان لم يشر الى ذلك ، ونظراً لفقدان

---

(١) لقد طبع كتاب « وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى » للسمهودي مرتين : الأولى بمطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣٢٦ هـ والثانية بمطبعة السعادة سنة ١٩٥٦ والصفحات المذكورة في المقال عن الطبعة الأولى .

كتاب ابن زباله وكثرة النصوص التي أوردها السمهودي عنه ، فسنعتمد فيما يلي على ما نقله السمهودي للحصول على فكرة عامـة عن نطاق بحث ابن زبالة وطريقته ، مع العلم ان السمهودي لم ينقل كل ما أورده ابن زبالة ، وقد اشار الى ذلك بصراحة عندما قال إنه حذف من ابن زبالة بعض ما أورده عن اليهود (وفاء ج ١ ص ١١٦) ، وانه لخص بعض ابحاثه ومزجها بغيره (وفاء ج ١ ص ١٣٥)

لا يهمل ابن زباله ذكر الشيوخ الذين نقل عنهم ، وقد ذكر منهم اكثر من مائة ، وقلما يروى عن أي منهم أكثر من رواية واحدة ، وأغلبهم من أهل المدينة ، وكثير منهم ممن اعتمد عليهم ابن اسحق والواقـدي وروى عنهم المحدثون غير أن معظم ما نقله السمهودي عن ابن زبالة كان مباشرة ، خاصة فيما يتعلق باخبار المدينة وخططها في زمنه

لقد تناول ابن زبالة بالبحث اسم المدينة ، وحرمها ، وبدء سكنها ، وتاريخ اليهود فيها وعشائرهم ، والأوس والخزرج وخطط عشائرهم ، وطريق الهجرة وفصّل في مسـجد الرسول واصله وذرعه وعلاماته وزخرفته ، وتخليقه ، والمنبر ، والسواري ، والاسطوان ، والمنائر ، وتوسيعات المسجد في زمن الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ، وقبر الرسول وقبور الصحابة ، والسقايات والبلاليع ، وآداب المسجد ، والقناديل والابواب ، والدور التي حوله ، كما بحث اسواق المدينة ، وسوق هشام ، والمصلى ، وعدداً كبيراً من المساجد التي صلى فيها الرسول ، والبقيع وآبار المدينة ، وصدقات النبي ، وطريق النبي الى مكة ، ومساجده في الحجاز والعقيق

ويتبين مما ذكرنا ان نطاق بحث ابن زبالة واسع ، تناول مختلف المواضيع ، إلى درجة يمكن القول بانه وضع الطريق الذي سـار عليه من ألف بعده عن المدينة ، كابن النجار والمراغي والسمهودي غير أنه لا يمكن الجزم بالتسلسل الذي اتبعه ابن زبالة في بحثه ، إذ ربما عدل السمهودي أو بدل فيه ، وقد اشار السمهودي الى أن ابن زبالة صدر كتابه في

بدء من سكن المدينة ، بينما وضعها السمهودي بعد بحثه عن تسمية المدينة وحرمها (وفاء ج ١ ص ١١٠) .

اما اسلوب ابن زبالة فهو دقيق مركز خال من اللغو او الزخارف اللفظية ، وكتابته بسيطة واضحة مفهومة

يحيى بن الحسين العلوي :

لقد ذكرنا اعلاه ان السمهودي يقول ان « يحيى وابن زبالة هما أقدم من أرخ للمدينة ، وهما عمدة في ذلك » ، وهذا المؤلف هو يحيى بن الحسين بن جعفر العلوي (وفاء ج ١ ص٤٨) وهو جد أمراء المدينة الذين كانوا يحكمونها في زمن السمهودي (وفاء ج ١ص١٧٤)، وهو من أصحاب مالك « وكانت وفاته سنة ٢٧٧ هـ عن ثلاث وستين سنة (وفاء ج ١ ص ٢٥٢) وهو من الشيوخ المؤلفين ، حتى ان السمهودي يقول ان « ابن زبالة وان كان ضعيفاً ولكنه اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب به»(وفاء ج ١ص٢٥٢ .)

وكتاب يحيى عنوانه « أخبار المدينة » (وفاء ج ١ ص ١٧٤، ٣٠٣ ج ٢ص ١٧ ، ٤٠١) وقد اطلع السمهودي على عدة نسخ منه ، فمنها نسخة رواها راو لم يذكر اسمه (وفاء ج ١ ص ٤٠٨) ومنها نسخة رواها ابنه طاهر عن أبي الحسن المدائني (وفاء ج ١ ص ٣٦٠) ، وثالثة رواها طاهر عن أبيه مباشرة (وفاء ج ١ ص ٤٨ ، ١٧٤ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣ ج ٢ ص ٤٠٢) ورابعة رواها الحسين بن محمد بن يحيى حفيد المؤلف (وفاء ج ١ ص ١٧٥، ٣٥٠ ج ٢ ص٤٠٢) ، وقد ذكر من رواة نسخة طاهر ، ابن فراس (وفاء ج ١ ص ٣٩٤) ، وقد ذكر السمهودي ان بين النسخة التي رواها طاهر عن أبيه والتي رواها الحسين اختلاف حيث روى الأول خبراً لم يروه الثاني (وفاء ج ٢ ص ٤ ٢)

ان أبرز شيوخ يحيى الذين اقتبس منهم هو ابن زبالة ، حيث كان يروى عنه بدون تعقيب (وفاء ج ١ ص ٢٥٢) ، وقد أشار السمهودي الى مثل هذه الاقتباسات في ستة

وأربعين موضعاً في الجزء الأول . غير أن يحي يورد أخباراً عن غير طريق ابن زبالة وفي نفس المواضيع التي تناولها هذا ، وبذلك يمكن اعتبار كتابه مكملاً لكتاب ابن زبالة

وقد روى يحي عن شيوخ آخرين غير ابن زبالة ، ذكرهم السمهودي أكثر من ثمانين شيخاً ، وقد روى عن كل واحد منهم تقريباً رواية واحدة

لقد فقد كتاب يحي ، ولم تبق منه إلا مقتطفات نقلها المتأخرون ، فقد نقل منه الزين المراغي في خمسة مواضع ، والسخاوي في أربعة مواضع ، غير ان أوسع من نقل عنه هو السمهودي ، فقد نقل عنه في ٢١٠ موضع ، وهو مقدار يكفي لتكوين فكرة عامة عن نطاق الكتاب ، ويبدو من هذه المقتطفات أن يحي بحث في هجرة الرسول ونزوله قباء ثم استقرار مقامه في بني النجار ، والمربد ، وبناء المسجد ، وتحويل القبلة والمنبر ، ومعتكف الرسول ، وبيوت زوجات النبي ، وأبواب المسجد ، وتوسيعه ، والدور التي حوله ، وزيادة الخلفاء وخاصة الوليد ، والمؤذنين ، والحرس ، ومواضع قبر الرسول والخلفاء ، وتجمير المسجد ، والبلاليع ، والأبواب ، والمصلى وقباء ، وبعض مساجد المدينة التي صلى فيها ويتبين من هذا ان بحثه مقصور على المدينة دون ما حولها من وديان أو مساجد

علي بن محمد المدائني :

يذكر ابن النديم ان المدائني ألف كتابين أحدهما عن المدينة ، والثاني عن حمى المدينة وجبالها وأوديتها ، (الفهرست ص ١٥١ طبعة القاهرة) غير ان المصادر المتأخرة لم تنقل منها ، وحتى السمهودي لم ينقل منه إلا نصاً واحداً عن وادي قناة (وفاء ج ٢ ص ٢١٥)

وجدير بالملاحظة ان المدائني من أهم المؤرخين المسلمين الأولين ، وقد كان العماد الأول للطبري في أخباره عن خراسان ، وفي كثير من أخباره عن أحداث البصرة ، كما انه ألف عدداً من الكتب عن الوفود ، ومزاح النبي ، وأمهاته ، ورسائله ، وكتبه ، وأقطاعه ،

وخطبه ، وعهوده ، وأمواله ، وعماله (الفهرست ص ١٤٧)

وهـذه العناوين تدل على سعة أفق المدائني ، واهتمامه بالنواحي الادارية والاجتماعية والمالية التي لم يتناولها ابن اسـحق والواقدي والكثرة من مؤرخي السيرة الذين تابعوا هذين المؤلفين ، اللهم ما عدا ابن سعد الذي بحثهـا دون أن يشير الى المصدر الذي استمد منه معلوماته ، ومن الصعب أن نعتبر اغفال مؤرخي السيرة وابن سعد للمدائني راجع الى تجريحهم له ، وإلا لما اعتمد عليه الطبري مثل هذا الاعتماد الكبير ، يصعب أن نفهم لماذا أن مؤرخاً عظيماً كالمدائني ، يعتمد الناس على معظم كتبه في مختلف المواضيع ، إلا في تاريخ المدينة ودراسة حياة الرسول

عمر بن شبة :

وممن ألف في تاريخ المدينـة عمر بن شبة النمري الذي ولد سنة ١٧٣ هـ ، وسكن بغداد أمداً من الزمن ، ثم انتقل إلى سامراء حيث توفى سنة ٢٦٢ هـ

لقد ذكر ابن النديم لابن شبة كتباً عن البصرة ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، وعن أمراء كل منهـا ، فضلاً عن كتب أخرى عن بعض احـداث التاريخ الاسلامي ، وفي الشعر والنسب واللغة. ويمكن القول بأنه من أوائل من كتب عن تاريخ أكثر من مدينة بل كتب عن تاريخ عدة مدن اشتهرت بالتنافس بينها ، مما يدل على ان كتابته لا تعبر عن نزعة أقليميـة محلية ، بل عن تقدير فلسفي ، لأهمية دراسة تاريخ المدن

وجدير بالملاحظة أن الطبري يروي كافة أخبار المدائني تقريباً عن طريق ابن شبة ، فابن شبة هو الراوية الأول للمدائني فيما كتبه عن الاحداث ؛ فهل ان كتب ابن شبة عن المدينة هي في الأصل من تأليف المدائني وان ابن شبة هو مجرد راوية لها ؟ اننا لا نعتقد ذلك ، لأنه لو كان هذا هو الأمر ، لأشار اليه المؤرخون كما اشاروا الى رواياته عن المدائني في الأحداث

الأخرى ، والواقع ان الطبري يميز بين ما يرويه عن ابن شبة ، وبين ما يرويه عن المدائني بطريق ابن شبة ، كما ان ابن النديم يعدد بتفصيل كتب ابن شبة ولا يخلطها بالكتب التي ألفها المدائني ؛ فهناك تمييز واضح بين مؤلفات ابن شبة الذاتية وبين ما يرويه عن المدائني، لذلك لا يمكن القول بأن ابحاث ابن شبة عن المدينة ، ومكة، هي نفس ابحاث المدائني رواها عنه ابن شبة ، انما هي ابحاث مستقلة ، وهذا قد يدل على ان كتب المدائني عن مكة والمدينة كانت ضعيفة ، وان ابن شبة ادرك ضعفها فقام بتأليف كتب شاملة واسعة اصبحت هي المرجع دون كتب المدائني

لقد كان كتاب « اخبار المدينة » لعمر بن شبة مصدراً نقل عنه عدد من المؤرخين المتأخرين ، فقد نقل عنه السخاوي في التحفة اللطيفة (انظر مثلاً ج ٢ ص ٤٩/٦٠/٨١/٩٨/١٣٥ ٢٠٤/٢٠٧/٢٥٤/٢٩٩/٣٥٢ ، كما روى عنه الذهبي (انظر التذكرة ج ٢ ص ٥١٦ .

غير أن أوسع من نقل عنه هو السمهودي ، حيث أشار اليه في حوالي ٣٥٠ موضعاً من كتاب وفاء الوفا ، ونقل عنه نصوصاً يختلف طولها ، وهذه المنقولات تدل على سعة الكتاب ، وتعطى فكرة عن نطاق بحثه ومدى دقته

لقد اهتم ابن شبة بوصف جغرافية المدينة ومنطقتها ، فتحدث عن آبارها ، ووديانها ، وأسواقها ، ومساجدها (وقد نقل السمهودي منه عنها قرابة المائة نص) ، كما أولى الجوانب الاقتصادية عناية خاصة ، ففصل في ذكر الصدقات من الأراضي والمزارع والبيوت وأورد نصوصاً كثيرة من كتب الصدقات ، كما أشار الى الملكيات

وقد أولى ابن شبة المهاجرين عناية خاصة ، فتحدث عن دورهم وخططهم ، وكان المصدر الأول للسمهودي فيما نقله عن المهاجرين ، ولم ينقل السمهودي عن ابن شبة نصوصاً تتعلق بخطط الأنصار ، الأمر الذي يرجع أما ان ابن شبة لم يبحثها أو أنه بحثها ولكن السمهودي لم ير ان بحثه وصل مستوى بحث المؤرخين الآخرين فلم ينقل عنه

ويبدو أن ابن شبة قد رتب بحثه عن المهاجرين تبعاً لعشائرهم ، فهو يذكر العشيرة ثم يفصل في ذكر دور رجالها ، ومن العشائر التي ذكرها : دور بني تيم[1] (٤٧٣/٥٠٩/٣٢٦/٧٣١) ودور بني عدي بن كعب (٧٢٣/٧٢٥/٧٤٤/٨٨١ أنظر أيضاً التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٨١) ودور بني زهرة (٥٢٩/٧٢٤/٧٢٨/٧٠٣) ودور بني عبد شمس (٧٣٧/٧٨٢) ودور بني أسد (٧٢٣/٧٤٥) دور عامر بن لؤي (٧٤٣/٧٤٤) ودور بنى مخزوم (٧٥٩) ودور بنى جمح (٧٦٢) ودوربنى هاشم (٧٣٤) ودور غفار (٧٥٧)

ويظهر مما نقله السخاوي في التحفة اللطيفة انه ترجم للأشخاص أيضاً

أعتمد إبن شبة في بعض ما كتبه على مشاهداته وخبراته الشخصية ، كما اعتمد على عدد كبير من الرواة ذكرهم ، ولكنه قلما ينقل من أي مبهم أكثر من رواية واحدة بل حتى الذين نص السمهودي على أنهم شيوخ ابن شبة مثل سليمان بن داود (٤٩٨) وخلاد بن يزيد بن عبدالعزيز (٦٥٩) لم ينقل منهم إلا رواية أخرى ؛ ولكن يشذ عن هذا ما رواه عن أبي غسان محمد بن يحيى الكناني)

وابو غسان هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني ومن أصحاب مالك (٧٨١/٧٨٨) أنظر أيضاً ص ٥٤٤/٥٦٠) « وكان عالماً بأخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم » (٥٤٤)

نقل السمهودي عن أبي غسان في ٥٤ موضعاً ، منها ١٤ بصورة مباشرة ، والباقي عن طريق عمر بن شبة ، ولم تذكر المصادر لأبي غسان كتاباً ألفه ، ونرجح ان علمه انتقل عن طريق الرواية الشفهية » وان عمر بن شبة هو أكبر رواته ، وانه حتى الأربعة عشر رواية التي لم يذكر مصدرها السمهودي ، جاءت عن طريق عمر بن شبة أيضاً

---

(١) ان أرقام صفحات كتاب السمهودي المذكورة عن ابن شبة فقط هي من طبعة مطبعة السعادة بتحقيق محي الدين عبد الحميد

ان ثلاثين من النصوص التي رواها السمهودي عن ابن شبة مسندة ، وهو يذكر رجال السند في معظمها ، وأغلب رواياته فيها ذكر لرجل واحد ، ولكن هناك سبع روايات يذكر في سنده اكثر من شخص وهناك بعض الروايات التي لا يذكر فيها اسم صاحب السند بل يكتفي بالقول اخبرني الثقة (٥٤٨) الثقات (١٠٣٨) من اثق به (٦/٥٣٢ ٨/٨٣١) غير واحد من أهل العلم (٨٥٠) بعض مشايخنا (٨٤٦) بعض اصحابنا (٥٠١)

تناولت روايات أبي غسان التي نقلها السمهودي مسجد الرسول ، والبقيع وما فيه من قبور وبعض المساجد التي صلى فيها ، وبعض أماكن المدينة كسوق زباله ، وسوق هشام ، واريس ، وحسيكة ، وقباء ، والعقيق ، ورضوى[1] .

الزبير بن بكار :

وممن كتب عن المدينة وما يجاورها الزبير بن بكار الذي توفي سنة ٢٥٦ هـ وهو تلميذ ابن زبالة (وفاء ج ١ ص ١٥٠) وراوية كتابه (ج ١ ص ١٤)

ألف الزبير كتباً عديدة في مواضيع منوعــة ، عن الشعراء والمغنين وعن نسب قريش ، وكان أعلم الناس بانساب قريش خصوصاً آل الزبير ، وقد اعتمد في هذا الكتاب على كتاب عمه مصعب الزبيري ، فتابعه مع اضافات كثيرة قيمة

وألف الزبير أيضاً كتابه « أخبار المدينة » (وفاء ج ٢ ص ١٦٢ ، السخاوي التحفة ج ٢ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣١٩

كما ألف كتاباً عن العقيق سماه ياقوت كتاب العقيق (ج ٤ ص ٨٨٠ ، ج ٢ ص ٨٥٠) أو عقيق المدينة (ج ٤ ص٦٧٣) أو العقيق في المدينة (ج ٤ ص ٤٩٢) وسماه السمهودي « معـــارف العقيق » (وفاء ج ٢ ص ٢٠٨) وقال ابن الفقيه الهمداني « وفي العقيق وقصوره وأوديته وحراره اخبار كثيرة وللزبير بن بكار فيه كتاب مفرد » (البلدان ص٢٦)

أما كتاب الزبير « اخبار المدينة » فهو كتاب مفقود لا نعلم نطاقه وطبيعته ، لان مانقله السمهودي عنه اقل من أن يكفي لاصدار حكم واضح عليه ومما يزيد الأمر صعوبة ان الزبير بن بكار هو تلميذ ابن زبالة (وفاء ج ١ ص ١٥٠) وراوية كتابه (وفاء ج ١ ص ١٤) وان مؤرخي المدينة اعتمدوا على ابن زبالة في دراساتهم للمدينة ، ولذلك لم ينقلوا من الزبير عن اخبار المدينة وخططها إلا نصوصاً قليلة جداً ، فالسمهودي الذي يعتبر كتابه أوسع مؤلف عن المدينة لم يشر الى أنه نقل عن الزبير نصوصاً في غير العقيق ، إلا نصين الاول عن خطط بني مغالة وحديلة (ج ١ ص ١٥٠ وانظر نفس النص في ياقوت ج ١ ص ٧٤٨) والآخر عن مؤذن مسجد الاحزاب (ج ٢ ص ٤٣ انظر أيضاً ياقوت ج ١ ص ١٤٧) أما بقية النصوص التي رواها عن الزبير ، فقد اشار الى أن الزبير اخذها عن ابن زبالة (انظر مثلا ج ١ ص ١٣ ـ ١٤ ، ص ٣٩١ ، ج ٢ ص ١٨٨)

وقد نقل ياقوت عن الزبير نصوصاً تتعلق باماكن المدينة منها ما ذكرناه اعلاه ومنها ذكره عن البقال (ج١ ص٦٩٩) والراجح انه أخذها من اخبار المدينة ، ولكنه نقل نصوصاً كثيرة منه عن مكة وآبارها (انظر ج ١ ص ١٤٦ / ٣٤٦ / ٥٢٤/٦٥٩/٧٤١ ج ٢ س ١٤ ، ج ٣ ص ٢٨/٣٠٥/٦٤ ، كما نقل عنه البكري نصوصاً عن المدينة ربما كانت مأخوذة من « اخبار المدينة » (انظر ص ٣٧٧ / ٤٩٨/٥٩٤/٩٥٦/٩٨٤) هذا فضلا عن نصوص اقرب الى انها مأخوذة من كتاب النسب او الكتب الأخرى

نقل السمهودي نصوصاً طويلة عن الزبير بن بكار عن العقيق والوديان والغدران التي تصب فيه (ج ٢ ص ٢١ ـ ١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) وهي تشمل العقيق منذ مبتدئه حتى مصبه في البحر ، ما عدا القسم القريب من المدينة ولكن يظهر أن ما نقله السمهودي هو ملخص وليس بالأصل ، بدليل انه في الجزء الثاني :

(١) يذكر في ص ٢١٠ الفلاجة مجردة ، ثم يذكر في ص ٣٥٦ فلجة من أودية العقيق

كما سبق . قال الزبير وفيها يقول أبو وجرة السعدي

اذا تربعت ما بين الشريق الى روض الفلاح اولات السرج والعنب
واختلت الجو فالاجراع من حرج فما لها من ملاحات ولا احلب

(٢) يذكر في ص ٢١٠ مرخ ، وينقل في ص ٣٧٢ عن الزبير مرخ وذو مرخ في العقيق وانشد لابي وجرة

(٣) يذكر في ص ٢١٠ « شعاب الحمري والفراء وعيرين » ولكنه يقول في ص ٣٤٧ : ولهذا قال الزبير في اودية العقيق : ثم شعاب الحمراء والفراة وعيرين ، قال وفي عيرين يقول الاحوص :

اقوت زواوة من اسماء فالجمد فالنصف فالسفح من عيرين فالسند

(٤) يذكر في ص ٢١٠ « ثم راية الغراب » ويقول في ص ٣٥٣ يقول « قال الزبير في أودية العقيق : ثم راية الغراب وفيها يقول معن بن أوس وذكر البيت :

[فمندفع العلان من جنب منشد فنصف الغراب خطبه واساوده]

(٥) يذكر في ص ٢١٠ « ثم نبعة العشرة ثم نبعة الطوى ثم الحنينة ثم النبعة »
وهو يعيد ذكرها في ص ٣٨٤ ويضيف « قال الزبير عقبة : وفي النباع يقول خفاف بن ندبة : عشقت دياراً ببطن النباع فاقتضى ان النباع ما ذكر

(٦) يذكر في ص ٢٢٠ وادي ترعة مما يلقي أضم من ناحية القبلة ويذكر في ص ٢٧٠ « قال الزبير عقبه : وفي ترعه يقول بشر السلمى :

أرى أبلي أحست نحن لقاحها بترعة ترجو أن أحل بها إبلا »

(٧) يذكر في ص ٢٢ عن السيول بعد عين أبي زياد باضم « ثم تلتقي هذه السيول وادي نقمى » ؛ ويقول في ص ٣٨٤ « وسبق في مجتمع الأودية ان وادي نقمى يلقاها أسفل من عين أبي زياد بالغابة وروى الزبير عقبه عن عمر بن عبد الله بن معمر ان اسم

نقمى ليس نقمى وإنما هو نقمان أي بالتثنيـة ، وان اسمه أولاً كان عرس ، نخرج رجلان من العرب لقومها فرجعا فلم يحمدا فقيل نقمان أي بالتثنية فسميا بذلك السبب نقما »

ويتبين من كل هذه النصوص الاضافيـة التي أوردناها نقلاً عن السمهودي في آخر كتابه ، ان ما كتبه عن العقيق في(ص ٢١٠ — ١١ ، ٢٢٠) هو مختصر ، فقد حذفت منه الأشعار ، يضاف الى ذلك ان ياقوت ينقل عن كتاب العقيق للزبير أماكن في العقيق منها روضة العقيق (ج ٢ ص ٨٥٤) ومنيرة (ج ٤ ص ٦٧٣) ونسر (ج ٤ ص ٧٨٠) وهي غير مذكورة عند السمهودي ، مما يدل على حذف السمهودي بعض ما أورده الزبير ، غير اننا لا نستطيع الجزم بمقدار ما حذف

أولى السمهودي القسم الذي يمر من العقيق قرب المدينة عناية خاصة ، فأورد عنه تفاصيل وافية ذكر فيها الاقطاعات والمزارع والقصور الواقعة عنده ، وكثيراً من الأشعار التي تذكر هذه الأماكن، وقد استوعب ذلك منه اثنين وعشرين صحيفة من الجزء الثاني (١٨٨ ـ ٢١٠) وقد ذكر من مصادره عنها ابن زبالة (١٨٧/١٨٨/ ١٩٠/١٩٩/٢٠٦/٢٠٨/٢٠٩) وأبو غسان (١٨٧) وأبو العباس العراض (١٨٧) وابن شبة (١٨٧/ ١٩٠/١٩١/٢٠٦/٢٠٩) والهجري (١٨٨/١٩٩/٢٠٠) وعياض (١٨٩) والمطري (١٨٩) والمجد (١٩٥) والأسدي (١٩٥) والزبير (١٨٨/١٩٠/١٩٤/١٩٦/٢٠٠/٢٠٨)

ولا ريب ان هذه المصادر التي نص عليها السمهودي لم ترو إلا بعض المادة الواسعة التي ذكرها في هذا الفصل غفلاً عن المصدر غير أنه بالمقارنة مع ما ذكرته الكتب الأخرى يمكن تعيين مصدرها : ففي ص ١٩١ يذكر اقطاع مروان بن الحكم لعبد الله بن عياش ما بين الميل الرابع من المدينـة الى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس ، ولا ينسب مصدر القول، وهذا النص نفسه موجود في السمهودي(ج٢ ص٣٣٩) وفي ياقوت(ج ٣ ص ٤٧٥) منسوباً إلى الزبير بن بكار ، مما يدل على ان الفصل كله إلى ص ١٩٥ مأخوذ من الزبير ، ومما

يؤيد ذلك أنه يتناول أملاك الزبيريين التي عنى الزبير بها وأشهر بمعرفته فيها ، يضاف إلى ذلك ان معلوماته محلاة بكثير من الأشعار ، وهي مما يتميز به الزبير

كما ان كثيراً من المادة المذكورة عن العرصه (ص ٢٠٠ — ٢٠١) مأخوذة من الزبير بدليل أنه يقول بعد ذكره أبياتاً « قال الزبير ولم يصح عندي الشعران » (ص ٢٠١) .

وهـــذا ينطبق على ما ذكره عن الجماوات وخاصة من منتصف ص ٢٠٨ الى منتصف ص ٢٠٩ والواقع ان السمهودي يذكر في ص ٢٠٦ « نقل ابن زبالة وغيره ان الجماوات ثلاث : الأولى جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم وبئر عروة » وهذا النص ينقله ياقوت منسوباً الى الزبير (ج ١ ص ٨٥٣)

ومهما كانت هنات ما نقله السمهودي عن الزبير بن بكار فيما يتعلق بالعقيق ، فانه يمكن تكوين فكرة عنه ، وهو الدقة والتركيز ، والاهتمام بالأخبار والشعر، ومراعاة التسلسل الجغرافي الى قدر محدود ، غير أنه لايقارن بالسكوني الذي بحثه أقرب الى الجغرافية الصرفة من حيث اهتمامه بذكر تسلسل المواضع الجغرافي

أبو عبد الله الأسدي :

وممن ألف عن المدينة ومنطقتها أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي (ج ١ ص ٦٨) وقد فقد كتابه ، الا ان السمهودي اعتمد عليه في أكثر من خمسين موضعاً من الجزء الثاني . وقد وصفه بانه من المتقدمين (ج ٢ ص ٥٤/١٨٩) وانه « يؤخذ من كلامه انه كان في المائة الثالثة » (ج ٢ ص ١٦٤) ، وذكر ان له « منسك » ذكر فيه المساجد التي تزار بالمدينة ومنها مسجد النور (ج ٢ ص ٧٣) ومسجد السقيا (ج ٢ ص ١٤٣) وعينين (ج ٢ ص ٥٤)

نقل السمهودي عن ابي عبد الله الأسدي في الجزء الثاني نصوصاً كثيرة عن أماكن

الطريق بين المدينة ومكة فذكر بئر عروة (١٩٥) وذي الحليفـــة (١٦٦/٢٥٤/٢٩٤) والسيالة (١٦٦/٣٩٠) وورقان (٢٩٠/٢٩٢) ومسجد الظبية (١٦٧) والروحاء (٣١٤) وشنوكة (٣٣١) ومسجد المنصرف (١٦٨) والرويثة (١٦٩/٣١٦) ومسجد المنبجس (١٧٠) والعرج (٣٥٩) والحفيرة (٢٧٠) والطلوب (١٧٠/٣٢٣) والأثاية (٢٨١) والعائد (٣٤٢) وتعهن (٢٧١) والأبواء (١٧٢) والجحفـــة (١٧٢) وخم (٣٠١) والمدارج (٣٦٩) وامج (٢٤٩/٢٨١) ولحيا جمل (٣٦٦) والجي (٣٨٤) والبيضة (١٧٣) وخليص (١٧٣ ـ ٤) والتنعيم (١٧٥) ومسجد عائشة (١٧٦) وكراع الغميم (٣٥٤) وقدس (٣٥٩) ووادي الأزرق (٢٨١)

ووصف من طريق نجد بركة أوطاس (١٨٣) والرحضية (٢٤٢) وحزم عوال (٣٢٣) وافاعيه (٢٤٨) وقباء (٣٥٨) وبطن نخل (٢٦١) وكليه (٣٦٥)

ووصف من طريق الكوفة ذو القصة (٣٦٢) والطرف (٣٣٩) والمغيث (٣٧٦) والربذة (٢٢٧) وفيد (٢٣٥) ونخيلي (٣٨٢) ونهر السائب (٣٥٤) والقاحه (٣٥١)

كما انه وصف طريق البصرة ولكن لم ينقل منه في وصف هـذا الطريق الا ما قاله في ضربه (٢٢٨) أما شمال المدينة فلم ينقل منه الا وصف ذي المروة (٣٧٢) .

يتبين من النصوص التي نقلهـا السمهودي عن الأسدي اهتمامه بالمساجد التي صلى فيها الرسول ، والطرق التي تتفرع من المدينة ، فسجل أبعادها بالأميـال ، وأعلام البريد ، والمياه والآبار ، والعشائر من السكان

عرام بن الأصبغ السلمي :

وممن ألف عن الحجاز عرام بن الأصبغ السلمي الذي لانعلم عنه سوى الاشارة التي ذكرها ابن النديم بقوله : انه أحد الأعراب الذين ألف كتاباً أسماه « أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه » وقد نشر الكتاب مع مقدمة

عبد العزيز الميمني في مجلة الكلية الشرقية التي تصدر في لاهور ، معتمداً على مخطوطة من دار الكتب السعيدية بحيدر آباد ، ثم أعاد محمد عبد السلام هارون نشره سنة ١٣٧٢ هـ معتمداً على مخطوطة حيدر آباد ومخطوطة أخرى منسوخة عنها ، ثم أعاد نشرها سنة ١٣٧٥ هـ كحلقة ثامنة من سلسلة نوادر المخطوطات ، وكتب لها مقدمة ونقداً لحمد الجاسر وقد بين ان هذه النسخة هي من رواية السيرافي عن أبي محمد السكري عن أبي سعد عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك المعرف بأبي الأشعث الكندي عن عرام

لقد تكلم عرام في كتابه عن رضوى ، وأماكنها ، وينبع والجار ومنطقتها ثم ورقان ومنطقته ، وآره ، وذره ، وشمنصير ، وهرشي ، والشراة ، وساية ، وجبال مكة والطائف ثم عن حدود الحجاز ، ووصف منطقة المدينة ، وشوران والرحضية وذورولان وعريفطان ، وابلى ، والسوارقية وبقية المناطق التي في شرقي الحجاز ، وطرق نجد الى عكاظ وهو يذكر الجبال والوديان والنباتات والقرى والسكان والطرق الواقعة في كل من هذه المناطق

لقد كان عرام مصدراً رئيسياً لكل من البكري وياقوت والسمهودي ، حتى يكاد كل منهم يكون قد نقله جميعه

لقد ذكر البكري في ص ٥ من كتابه معجم ما استعجم « وجميع ما أورده في هذا الكتاب عن السكوني فهو من كتاب أبي عبيد الله عمرو بن بشر السكوني في جبال تهامة ومحالها ، يحمل جميع ذلك عن أبي الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندي عن عرام بن الأصبغ السلمي » ويقول في ص ٦٥٥ عند الكلام عن رضوى « قال السكوني أملى عليّ أبو الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الكندي قال أملى عليّ عرام بن اصبغ السلمي اسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى والمياه وما تنبت من الأشجار فأولها رضوى »

ولم يورد البكري ذكراً لأبي الأشعث في غير هذين المكانين من كتابه ، مما يجعل دور أبي الأشعث هو دور الناقل فحسب

وقد ذكر البكري عرام في مكانين آخرين ، فقد ذكر في ص ١٠ « وزعم عرام بن الاصبغ ان حد الحجاز من معدن النقرة الى المدينة ، فنصفها حجازي ونصفها تهامي ، وقال في موضع آخر « الجلسى ما بين الجحفة الى جبلي طي ، والمدينة جلسية واعمال المدينة فدك وخيبر ووادي القرى » والجملة الأولى موجودة في المطبوع (ص ٤٢٤) كما يذكر في (ص ٨١٠) نصاً عن شمنصير ويقول « هكذا قال عرام بن الاصبغ عن الحديبية »

يصرح البكري بنقله عن السكوني في ٤٧ موضعاً بعضها نصوص طويلة تصف المنطقة وصفاً دقيقاً مستوعباً اماكنها ومواقعها وطرقها واهلها ، تتطابق مع ما هو موجود في كتاب عرام المطبوع ، ومع ما أورده ياقوت والسمهودي

وهذه المواضع التي نقل عنها البكري تفاصيل وهي موجودة في كتاب عرام المطبوع تتناول :

	في البكري	في كتاب عرام
	ص	ص
ابلى	٩٨ — ١٠١	٤٢٨ — ٤٢٤
ارثد	١٣٦	٣٩٩ ، ٢٩٦
الجار	٢٥٦	٣٩٨ — ٩
رضوى	٦٥٥ — ٦	٢٩٦ — ٨
شراء	٧٨٦ — ٧	٤١٣ — ٤
شمنصير	٨١٠ — ١١	٤٠٩ — ١١
قدس	١٠٥٠ — ٥٢	٤٠٣ — ٧

ان التشابه بين مادة البكري وعرام يؤكد على ان مادة هذه المواضيع مأخوذة من عرام ، ويظهر الاعتماد الكبير على عرام الذي اخذ البكري مادته عن طريق السكوني ، ولا بد أن نشير الى وجود نصوص أخرى متفرقة لم يذكر البكري المصدر الذي استمده منها ، ولكن تشابه مادتها مع ما جاء في كتاب عرام يدل على أنه اخذها منه عن طريق السكوني ومما يجدر ذكره ان في نصوص البكري بعض الاختلاف عن نصوص كتاب عرام المطبوع ، وقد كنا نود لو أن ناشر الكتاب استوعب مقارنة النصوص التي أوردها البكري والمصادر الأخرى ، وسجل الاختلاف في القراءات

وفي البكري معلومات عن عرام غير موجودة في كتاب عرام المطبوع ، نجدها عند الكلام عن رضوى[1] ، وشمنصير ، وقدس ، وعند الكلام عن حد الحجاز

أورد ياقوت عن عرام خمساً وسبعين نصاً موجودة كلها في كتاب عرام المطبوع ، ما عدا ثلاثة مواضع هي شروح لغوية ورواية لبيت شعر ، وقد نص ياقوت في كل هذه المواضع على انه أخذها من عرام ، إلا في موضعين نص على انه أخذهما عن أبي الاشعث عن عرام وقد نقل ياقوت عشرين نصاً ذكر انه أخذها عن أبي الاشعث الكندي ، ولكن كل هذه النصوص العشرين موجودة في كتاب عرام المطبوع ، الأمر الذي يدل على ان عرام هو المصدر الاصلي ، وان أبا الاشعث لم يكن له غير دور الراوية الناقل

ومن الغريب ان ياقوت عندما يعدد مصادره في بداية المعجم يذكر ممن « قصدوا ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة اهل الأدب وهم .. وأبو الأشعث الكندي في جبال تهامة » (ج ١ ص ٧) ولا يذكر ياقوت في هذه المقدمة عرام ، فكأنه يعتبر أبا الأشعث هو المصدر ، هذا بالرغم من كثرة ما نقله عن عرام وصرح به ، غير اننا في دراستنا هذه نعتبر ما نقله ياقوت عن أبي الأشعث هو في الحقيقة معلومات عرام في الأصل ، وان ياقوت ينسبها مرة الى عرام ، وهو المصدر الأصلي ، ومرة الى أبي الأشعث ،

وهو الراوية ، وجدير بالملاحظة ان ياقوت لم ينقل عن السكوني نصاً من عرام ، مما يدل على انه لم يعتمد فيما نقله عن عرام على رواية السكوني

لقد استوعب ياقوت فيما نقله عن عرام وأبي الأشعث ، كل ما جاء في كتاب عرام المطبوع

يختلف ياقوت عن البكري في طريقة نقل النصوص عن عرام ؛ فالبكري ينقل عن المنطقة نصوصاً طويلة ، يشمل كل منها ذكر اماكن غير قليلة ، اما ياقوت فقلما ينقل نصاً واحداً طويلا يشمل اكثر من مكان ، بل في الاغلب ينقل نصوصاً قصيرة يتعلق كل منها بمكان واحد ، وكثيراً ما يكرر نفس النص في اكثر من مكان اذا كان في النص ذكر لاكثر من مكان ، فكثرة نصوص ياقوت لا تدل على انه نقل اكثر مما نقله البكري ، غير ان نصوص ياقوت لا تخرج عن نطاق الكتاب المطبوع ، وان كانت قراءاته لبعض الكلمات والنصوص تختلف عما ورد في الكتاب المطبوع وقد كنا نتمنى لو أن ناشر الكتاب المطبوع اشار عند كل نص الى موضع ذكره في معجم ياقوت والبكري والسمهودي ، ودوّن اختلاف النصوص والقراءات

أبو عبد الله عمرو بن بشر السكوني :

لقد ذكرنا ان البكري اعتمد على كتاب عرام عن طريق أبي الأشعث ، عن السكوني ، وان ما أورده السكوني عن عرام يرد بنصه في كتاب عرام المطبوع ، كما يرد فيما نقله ياقوت والسمهودي عن عرام

غير أن البكري يستمد من السكوني معلومات أخرى قيمة لا ترد في كتاب عرام ، ولا ينسبها أحد الى عرام ومنها :

(١) ضرية (٨٥٩ — ٨٧٨) وهو وصف مستوعب شرح فيه تاريخ المنطقة في الاسلام وما حدث فيها من تطور وانماء في الري والزراعة وخصومات حول الملكيات ، ثم وصف ما في المنطقة من اماكن ووديان وجبال وينابيع ومياه ومناجم متسلسلة

جغرافياً بحيث يمكنك ان ترسم خريطة واضحة لها

لم يذكر البكري بصراحة ووضوح المصدر الذي اعتمد عليه في هذه المعلومات ، غير أنه يذكر السكوني في موضعين من البحث : فهو عند الكلام عن وادي ذي عثث يقول « يصب فيه وادي مرعى ، هكذا قال السكوني : مرعى بالميم ، واظنه ثرعى بالثاء المضمومة ، لاني لا اعلم مرعى اسم محل » (ص٨٧١) كما انه عند كلامه عن أمرات يقول : « ورواه السكوني : الى ابرق الدءاث ذي الأمرات (ص ٨٧٦) وهاتان الاشارتان توحيان بانه قد أخذ المعلومات من السكوني

ومما يؤيد أن البكري أخذ معلوماته عن ضرية من السكوني ، قوله عند الكلام عن الحسلات انها « هضاب محدودة مذكورة في رسم ضرية ، وهناك ماء يسمى حسله : هكذا وقع في كتاب السكوني »(ص٤٤٦) والحسلات وحسلة مذكورة في الفصل المكتوب عن ضرية (انظر ص ٨٧٠)

وكذلك عند الكلام عن حليت وانها في ضرية حيث قال « وذكر السكوني هناك (في ضرية) انه جبل » (ص ٤٦٢) والنص موجود في الفصل المكتوب عن ضرية (ص٤٦٢)

وعند الكلام عن خزاز يقول « وخزاز في ناحية منعج دون أمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة الى المدينة ينظر اليهن كل من سلك الطريق ، ومنعج على مقربة من حمى ضرية هذا قول السكوني » (ص ٤٩٦) وهذا موجود في الفصل المكتوب عن ضرية وان لم يكن حرفياً (ص ٨٧٧)

وعند الكلام عن فروع يقول « وماء لبني عبس آخر يقال له الفَرْعَ او الفروع لا احقه ذكره السكوني قد تقدم ذكره في رسم ضرية » (ص ١٠٢٣) وهذا مذكور في الفصل المكتوب عن ضرية (ص ٨٦٤)

(٢) فيد (١٠٣٣ — ١٠٣٥) وصف البكري منطقتها وجبالها وأوديها ومياهها وعشائرها والمسافات بينها ، وقد ذكر في ثنايا هذا الوصف « وقال السكوني » « هكذا قال

السكوني » بشكل يدل على انه اخذ النص من السكوني

وقد ذكر البكري في مكان آخر (ص ٢٦٠) « البعوضة وهي ماءة في حمى فيد بينها وبين فيد ستة عشر ميلا على ما يأتي ذكره في رسم فيد نقلا عن كتاب السكوني »

(٣) عقد البكري فصلا طويلا عن حمى الربذة (ص ٦٣٣ — ٦٣٧) ذكر فيه حدوده وآباره ومياهه وجباله وعشائره والمسافات بين اماكنه بنفس الاسلوب والطريقة التي بحث فيها فيد وضرية

لم يذكر البكري في هذا النص من أين استقى معلوماته ، غير أنه يذكر في مواضع أخرى ما يدل على انه استمد هذا الفصل من السكوني ؛ فهو يقول في ص ١٤٢ : « أروم وارام قال السكوني هما جبلان في قبلة الربذة » كما يقول في ص ٥٠٢ : « وذكر السكوني ان الخضرمة ماءة في حمى الربذة فانظره هناك » وكلا النصين موجودان في هـذا الفصل (ص ٦٣٥) واذا لاحظنا ان هـذا الفصل مكتوب بنفس الاسلوب والطريقة التي كتب فيها عن « فيد » وعن « ضرية » امكننا القول بانها مأخوذة من السكوني أيضاً

(٤) عقد البكري فصلا عن تيماء (ص ٣٢٩ — ٣٣١) تحدث فيه عن الطرق الاربعة التي بين المدينـة وتيماء ثم وصفها ، وقد ذكر في أولها « قال السكوني » (ص ٣٢٩) مما يدل على انه اخذ الفصل منه

غير ان هذا الفصل غير كامل لأن البكري يقول في (ص ١٤٨) « الأسماء هكذا ذكره السكوني ولست منه على يقين واليه تنسب عين الأسمـاء وهي على مرحلة من المدينة وأنت تريد تيماء وانظرها في رسم تيماء » غير أن هذا المكان غير مذكور في الفصل المكتوب عن تيماء

(٥) فدك (ص ١٠١٥—١٠١٦) حيث ذكر موقعها وعشائرها والطرق الموصلة لها ؛ وقد ذكر في هذا البحث « ثم مرتفقا لبني قتال بن يربوع ، هكذا قال السكوني ، وإنما

هو رياح بن يربوع .. » مما يدل على أنه أخذ النص من السكوني

(٦) خيبر (ص ٥٢١ — ٥٢٤) وقد بحث في الطرق المؤدية لها وجبالها ووديانها وحصونها ومياهها ، وذكر في (ص ٩٢٣) « صح ما أوردته من كتاب السكوني »

(٧) النقيع (ص ١٣٢٣ — ١٣٣٣) وقد وصف فيه ابعاد حمى النقيع والآثار التي على حدوده ووديانه ومياهه ونباتاته ومزارعه والملكيات التي عليه ؛ واشار في بحثه هذا الى السكوني مرتين ، حيث يقول في ص ١٣٢٥ « هكذا نقل السكوني » وفي مكان آخر « هكذا لفظ السكوني » مما يدل على أنه أخذها منه

(٨) في البكري فصل طويل عن العقيق (٩٥٢ — ٩٥٨) ذكر فيه الاعقة واقطاع العقيق ثم الطرق المؤدية اليه ومسافاتها ، ثم نص من ابن اسحق عن محطات طريق الرسول الى بدر ان اسلوب هذا الفصل لا يختلف عنه في الفصول التي ذكرناها عن السكوني ، مما يدل على أن البكري اخذها من السكوني أيضاً

(٩) ينقل البكري نصوصاً مطولة عن العرج (ص ٩٣٠ ـ ٩٣١) وملل (ص ١٢٥٦ ـ ٢٥٩) وذروه (ص ٦١٢) وغدير خم (ص ٤٩٢/٥١٠) والأشعر (ص١٥٥ ـ ١٥٨) ويشير في كل منها الى رواية السكوني أو ضبطه كما نقل السكوني مما يدل على انه اخذها منه .

ويذكر البكري في (ص٢٧٤) « وقد تقدم في رسم الأشعر بأسفل على البلدة والبليدة وهما عينان لبني عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص فانظره هناك ؛ وكذلك قال محمد بن حبيب ، كما قال السكوني فيما نقلته عنه عند ذكر الأشعر قال البليد ماء لآل سعيد بن عنبسة ابن العاص بوادٍ يدفع في ينبع » وهذا مذكور بنصه في كلام البكري عن الأشعر (ص١٥٨) وهو دليل آخر على ان البكري أخذه من السكوني

ان النصوص التي نقلها البكري عن السكوني مطولة شاملة تكوّن لباب كتاب البكري وجوهره ، وهي أشمل وأدق ما فيه ، وقد اعتبر البكري نفسه هذه النصوص أساساً شاملاً

حتى أنه إذا جاء اسم المكان في مكانه الأبجدي فان البكري يقتصر في الكلام عليه بأن يشير الى أنه بحثه في الفصل المعين الذي ذكر المكان ضمنه ، ولنوضح ذلك بالقول انه عند كلامه عن حمى ضرية ، يذكر حليت وما لديه من معلومات عنها ، وهي أحد جبال ضرية ، فاذا ما جاء دور الكلام عن حليت في مكانها من الترتيب الأبجدي فانه يكتفي بالقول « أنظرها في رسم ضرية » دون أن يضيف أية معلومات أو يورد شيئاً عنها في هذا المكان ، وعلى هذا الأساس يمكن تركيز كتاب « معجم ما استعجم » للبكري وحصره على فصول معينة أهمها ولبابها هو ما رواه عن السكوني وعرام ، أما ما تبقى من معلومات فهي زائدة وغير مهمة ، اللهم إلا ما يورده من أشعار مستمدة من اللغويين

ان الفصول الشاملة التي نقلها البكري عن السكوني تشمل بعض سواحل اقليم الحجاز ، والمنطقة الجبلية منه « وهي التي نقلها عن عرام » ثم منطقة خيبر ، وفدك ، وتيماء ، والنقيع ، والربذة ، وضرية ، وفيد ، وربما أجا وسلمى ، أي أنها شملت منطقة واسعة تمتد من أواسط نجد تقريباً الى تيماء والبحر الاحمر ومكة وإذا كنا نعلم مصدره عن جبال الحجاز ، وهو عرام ، فاننا لا نعلم مصدره عن المناطق الأخرى ولذلك سنعتبره صاحب هذه المعلومات

ان كثيراً من النصوص التي أخذها البكري عن السكوني ، أوردها السمهودي أيضاً حرفياً ولكنه نسبها الى الهجري

(١) في بحث النقيع نقل السمهودي نصوصاً من عدة مصادر ، ومنها الهجري ، وهي موجودة حرفياً تقريباً في الفصل الذي كتبه البكري ؛ كما نقل السمهودي في المعجم الذي يكون الفصل الثاني من الباب السابع لبقاع المدينة وأعراضها وأعمالها نصوصاً عن عدة أمكنة في العقيق منسوبة الى الهجري وكلها موجودة في الفصل الذي كتبه البكري عن النقيع معتمداً على السكوني

ونورد أدناه جدولاً للأماكن التي أخذ السمهودي معلوماته عنها من الهجري ،

ونصوصه تتفق حرفياً مع ما ورد في البكري

	البكري		السمهردي
			(الجزء الثاني)
	ص		ص
الحمى	١٣٢٤	=	٢٢٢
برام والوتد ولصاف	١٣٢٥	=	١٨٠/٢٨٨
الوتد	١٣٢٥	=	٢٨٧
عسيب	»	=	٣٤٥
مقمل	»	=	٢٤١
أثيث وآثاث	»	=	٣٩٢/٢٤١
قرار ملس	١٣٢٦	=	٢٤٨/٢١٢
المرخ	١٣٢٨	=	٢١٢
رواوه	»	=	٣١٤
الأثبة	»	=	٢٤١
رابغ	»	=	٣٠٩
الخليقة	»	=	٣٠٠
الجثجاثة	١٣٢٩	=	٧٦
شوطي	»	=	٣٣٣
روضة الجام	»	=	٣١٥
حمراء الأسد	١٣٣٠	=	٢٩٥
ثنية الشريد	١٣٣١	=	٣٤٧

	البكري	السمهودي
	(الجزء الثاني)	
	ص	ص
شجرة المحرم	»	= ١٩٩ (نص أطول يختلف في بعض التفاصيل)
مزارع عروة	»	= ٢٩٠
الجماوات	١٣٣٢	= ٢٠٦/٢٠٨ (في البكري مختصره جداً)
العرصات	»	= ٢٠٠
الجرف	١٣٢٣	= ١٩٩
الزغابة	»	= ٣١٨
أضم	»	= ٢٠٧/٢٢٠
الغابة وعين الصورين	»	= ٣٥١
ثرمد	»	= ٢٩٢
الحفياء	»	= ٢٩٢

(٢) ضرية وقد عقد لها البكري فصلاً طويلاً (٧٥٩ — ٨٧٨) ذكرنا من قبل انه اعتمد فيه على السكوني

وقد عقد السمهودي لضرية فصلاً طويلاً (٢٢٨ — ٢٣٤) نقل في أوله ستة عشر سطراً عن ابن الكلبي والاصمعي والأسدي وابن سعد والمجد، ثم نقل الباقي عن الهجري، وختم النقل بقوله انتهى ما لخصته مما نقله الهجرى، ثم ذكر عن ابن جني حكايات وأشعار ليست لها علاقة وثيقة بالموضوع ومن هذا يتبين ان ما نقله عن الهجري هو أساس بحثه وجوهره

وقد أورد السمهودي في مواضع أخرى من كتابه نصوصاً عن بعض المواضع في ضرية

ذكر صراحة انه نقلها عن الهجري : من ذلك كلامه عن عين ضرية (ص ٢٣٢) فقد كرر ذكرها حرفياً في (ص ٣٢٩) ، وعن شعر (ص ٢٣٣) فقد كررها في (ص ٣٢٩) ، ومدعى (ص ٢٣٤) فقد كررها في (ص ٣٧) الجفر (ص ٢٣١) فقد كررها في (ص ٢٨١) وكل هذه النصوص المكررة ذكر صراحة انه أخذها عن الهجري مما يعزز ان كل الفصل مأخوذ من الهجري

وعند مقارنة المادة المكتوبة عند السمهودي بالمادة التي عند البكري نلاحظ ان السمهودي قد اختصر بعض النصوص وحذفها ، ولكن ما أورده مذكور بالحرف عند البكري ؛ اللهم ما عدا الاختلاف في قراءة بعض الكلمات (وهي قليلة ومؤملة في المخطوطات)

غير أن السمهودي يورد بعض المعلومات التي لا ترد عند البكري : ومن ذلك المعلومات التي قدمها في (ص ٢٢٩) عن اعمال ابراهيم بن هشام ، وقد أشار اليها البكري باقتضاب (ص ٨٦٠) وكذلك ما أورده عن العين التي حفرت بين نفء واضاخ ، والعين التي عملها عثمان بن عنبسة (ص ٨٦١) ، وهي غير مذكورة في البكري ، وكذلك هدم بني العباس حفيرة سليمان (السمهودي ص **٢٣٣** ، البكري ص ٨٦٨)

وقد ذكر السمهودي نصوصاً صرح بنقلها عن الهجري وهي مذكورة عند البكري

	البكري	السمهودي
	ص	ج ٢ ص
مثل : ابرق خترب	٨٦٤	٢٤٠
الشماء	٨٦٧	٣٣٠
عين سليمان	٨٦٨	٢٣٣
الشطون	٨٧١	٣٢٩
انسان	٨٧٧	٢٥٠

(٣) فيد : وهي تشغل ثلاث صفحات من كتاب البكري (ص ١٠٣٢ — ١٠٣٥) اعتمد في معظمها على السكوني ، ومادتها موجودة بنفسها في كتاب السمهودي (ج ٢ ص ٢٣٦ — ٢٣٨) غير انه ذكر في أولها « قال الهجري ، وفي آخرها » هذا آخر ما لخصته عن الهجري » مما يدل على اعتماده فيها على الهجري غير أن في كلام السمهودي عن فيد اضافات غير موجودة في كتاب البكري ، وتبدأ هذه الاضافة من بعد كلامه على صحراء الحلة ، حيث يدرج كلاماً طويلا عن سويقة والجبل الذي فيه معدن البجادي ، وكبد منى ، وقادم وقويدم ، واشيق ولما كانت هذه الاضافة في آخر الفصل ، لذا نعتقد انها ساقطة من النسخة المطبوعة من كتاب البكري

(٤) الربذة : فقد نقل السمهودي عنها معلومات ملخصة عما في البكري دون الاشارة الى مصدره ، غير نص واحد اشار فيه الى انه اخذه عن الهجري وهو موجود في البكري

(٥) نقل السمهودي عن الهجري نصوصاً وردت في المادة التي كتبها البكري عن الاشعر منقولة من السكوني وهي :

	البكري	السمهودي (ج ٢)
حورتان	١٥٥	٢٩٦
ظلم	١٥٧	٢٧٢
بواط	١٥٤	٢٦٦
بلدة والبليدة	١٥٨	٢٦٦
عبود	١٢٥٩	٣٩٤/٣٤١

(٦) وقد نقل السمهودي أيضاً عن الهجري نصوصاً عن يين (ج ٢ ص ٣٩٣) والاجرد (ج ٢ ص ٣٤٦) وقدس (ج ٢ ص ٣٥٩) وهي غير موجودة في كتاب البكري.

ان نطاق معلومات الهجري ومادته التي أوردها السمهودي تشبه في جملتها وتفصيلها

المادة التي أوردها البكري عن السكوني ، وهذا التطابق في النطاق والتفاصيل يحملنا على افتراض ثلاثة فروض :

١ — ان المؤلف الذي يسميه السمهودي الهجري هو نفسه الذي يسميه البكري « السكوني » ولكن مما يضعف هذا الاحتمال ان السمهودي يذكر عند الكلام عن غيقة « وقال السكوني هو ماء لبني غفار » (ج ٢ ص ٣٥٤) مما يدل على انه كان واضحاً في ذهنه وجود راوية اسمه السكوني ،وانه غير الهجري ثم انه يصعب فهم أية علاقة بين النسبة الى السكون والى هجر ، وذلك لان السكون قبيلة يمانية النسب استوطن بعض افرادها الكوفة والشام والفسطاط ، ولم يستوطن احد منهم هجر التي هي مدينة مشهورة في البحرين اغلب اهلها من عبد القيس وبكر ولم تذكر المصادر أن فيها أحد من السكون

٢ — ان الهجري هو غير السكوني وان كلا منهما روى عن مصادر اقدم ، فاما الشطر الأول فمعقول ، واما كونهما استمدا من مصدر اقدم فانه أمر يحتم علينا ، ان صح ، ان نعطي بذلك التقدير الاكبر لهذا المصدر الجغرافي المجهول ، غير أن هذا ان صح ، فانه يضعنا امام اشكال آخر وهو ان مؤلفي المعاجم الجغرافية الرئيسة الثلاثة ، وهم البكري وياقوت والسمهودي ، اهتموا بذكر المصادر الأولى وكانوا مطلعين عليها ، ولا يعقل أن ثلاثتهم وقد قدروا هذا المصدر بدليل كثرة ما نقلوه عنه ، يجهلون اسمه وينسبون المعلومات الى الراوية الثاني دونه ، بالرغم من سعة اطلاعهم على المصادر الأولى ، والتي تتجلى من مجرد القاء نظرة على فهرست أسماء رواتهم

٣ — ان الهجري هو غير السكوني ، وان احدهما قد روى معلوماته عن الثاني وهذا الافتراض يتطلب دراسة دقيقة لكتب التراجم

فاما الهجري فان السمهودي يسميه أبو علي الهجري (وفاء ج ١ ص ٦٩) ويذكر في مكان آخر من كتابه « وفي أبيات الهمزة في كتاب الهجري عن محمد بن قليع عن اشياخه

قالوا ما برقت السماء قط على عظم (وهو جبيل قرب المدينة) إلا اسهلت ، وكانوا يقولون ان على ظهره قبر نبي أو رجل صالح ، قال وانا اقول ان عظم من منزلي اذا بدوت في ضيعتي بالثنية بحيث ناله دعائي ، فقلما اصابنا مطر الا كان عظم اسعد جبالنا به وأوفرها حظاً (ج ٢ ص ٢٤٧) وواضح من هذا النص ان الهجري هو من أهل المدينة ، وان له ضيعة يتبدى فيها احياناً بالثنية قرب جبل عظم الذي يقع على ثمانية أميال غربي المدينة

ولابي علي الهجري كتاب النوادر ، وهو كتاب ضخم منه مخطوطتان ، احداهما في مكتبة جامعة كلكتا ، والأخرى في دار الكتب المصرية ، وقد اعدها للنشر السيد معصومي مدرس العربية في جامعة كلكتا ، والقى عنها بحثاً في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في الهند في كانون الثاني ١٩٦٤ وقد اخبرني انها تجمع نوادر اللغة والشعر ، ولا تتناول بحوثاً جغرافية .ولم ينقل ياقوت عن الهجري شيئاً ، أما البكري فقد نقل نصاً واحداً عن الهجري ١٠١٧

اما السكوني هذا فلم اجد فيما قرأته من الكتب من يترجم له أو يذكر اسم كتابه اما الكتب التي بحثت البلدان ، والتي أوردت ما ذكره ابن النديم منها في الضميمة التي اضفتها الى كتاب « علم التاريخ عند المسلمين » ص٢٨٨-٢٩٢ فلم يذكر منها كتاب ألفه السكوني.

ذكر ياقوت السكوني واحداً من ستة ممن اعتمد عليهم من طبقة أهل الأدب الذين قصدوا ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية » (ج ١ ص ٧) وقد نقل عنه ستين نصاً تتعلق كلها بجغرافية الجزيرة واماكنها ، دون أن يكون فيها أي نص عن مكان خارج الجزيرة أو عن تعبير لغوي

ويمكن تصنيف ما نقله ياقوت حسب المواقع إلى ما يلي :

١ — المنطقة التي تقع في العراق وهي على طريق حاج واسط (٢/٤٥٦ ، ٣/٧٧٦) (٤/٢٧٥)

٢ — منطقة الكوفة : فقد ذكر قرب الكوفة ! خفان (٢/٤٥٦) وسنداد

(٣/١٦٤) وضارج (٣/٤٦١) والضجوع (٣/٤٦٦) والسلمان (٣/١٢١) والنسوخ (٤/٧٨٢) والرحبة (٢/٧٦٢)

كما ذكر عنه اماكن تقع على طريق الشام : الرهيمة (٢/ ٨٨) قصر مقاتل (٤/١٢١) القطقطانة (٤/١٣٧) فضلا عن أنه وصف محطاته (٤/١٣٧/١٢١)

٣ — طريق حاج الكوفة : ذكر منها : العذيب (٣/٦٢٦) المعينة (٤/٥٨٠) المكمن (٤/٦١٥) شراف (٣/٢٧٠) الشباك (٣/٢٤٨) الغوير (٣/٧ ٨) الشعب (٣/٢٩٦) زبالة (٢/٥١٢) ذو القصة (٤/١٢٥) الشجية (٣/٢٦٢) شرج (٣/٢٧٤) فيد (٣/٩٢٧) اذنه (١/١٧٩) عالج (٣/٥٩١) الشيحة (٣/٣٤٦) سميراء (٣/١٤٨) امر (٤/٤٩٥) الربايع (٢/٧٤٨) حبشي (٢/١٩٧) السقيا (٣/١٠٤) وشل (٤/٩٣٠) واردات (٤/٨٨٠) العباسية (٣/٦٠٠) العنابة (٣/٧٣٢) النجفة (٤/٧٦١) قرورى (٤/٧٥) طمية (٣/٨:٥) النقرة (٤/٨٠٤) العسيلة (٣/٨٢٢) غمر كنده (٣/٨١٣)

٤ — طريق حاج البصرة ذكر منها :

الشجى (٣/٢٦٢) حفر أبي موسى (٢/٢٩٤) ماوية (٤/٤٠٤) ذات العشيرة (٣/٦٨٢) الينسوعة (٤/١٠٤١) النباج (٤/٧٣٥) القريتان (٤/٧٧) عنيزة (٣/٨٣٨) قنة (٤/١٩٤) الوقبى (٤/٩٣٤) الرايعة (٢/٧٤٥) ناجية (٤/٦٢٩) ظلال (٣/٥٧٨) القوارة (٤/١٩٦) متالع (٤/٤١١) ضرية (٣/٤٧١) بطن الرمة (٢/٨٢٢) قطن (٤/١٣٨) التينان (١/٩١٠) خو (٣/٦٨٢) فلجة (٣/٩١١) الدثينة (٤/٥٥٠) وجره (٤/٥ ٩) ساق (٣/١٢) زم (٢/٩٤٦)

٥ - منطقة جبلي طي فقد ذكرها بتفصيل (١/١٢٢) ، كما ذكر سلمى (٣/١٢٠) ذو صحا (٣/٣٦٨) العريمة (٣/٦٦٢) الموقف (٤/٦٨٨) السلامية (٣/١١٣) سقف (٣/١٠٣) بقعاء (١/٧٠١) قراقر (٤/٤٩) شبرم (٣/٢٥٤)

وذكر بين جبلي طي وتيماء اماكن : عرنان (٣/٦٠٦) الدبر (٢/٥٤٥) صماخ (٣/٤١٦) وادي القرى (٤/٨١) وطرقها (٤/٧٦) دومة الجندل (٢/٦٢٥)

٦ — منطقة اليمامة فقد ذكر طرقها (١/٢٨٧، ٣/٨٠٢) وذكر من قراها

العرض (٣/٦٤٣) العقيق (٣/٧٠٠) قرية بني سدوس (٤/٨٤) ملهم (٤/٦٣٩) موشوم (٤/٦٨٢) ثرمداء (١ ٩٢٢) قرقرى (٤/٦٢) ذات غسل (٣/٨٠٢) الشطبتان (٣/٢٨٨) فلج (٣/٩٠٨) أكمه (١/٣٤٤) قرن (٤/٧٣) القصيم (٤/١٢٧) لصاف (٤/٢٥٦) طويلع (٣/٥٦٣)

يتبين مما أوردناه اعلاه ، ان ياقوت يتفق مع البكري والسمهودي في نقله عن السكوني معلومات عن جبلي طي وتيماء ، ولكنه يختلف عنهما من حيث أنه لا ينقل عن السكوني كثيراً عن منطقة ضرية ، كما أنه لا يشير إلى أنه أخذ معلومات من عرام عن طريق السكوني ، ولكنه ينقل عن السكوني نصوصاً تتعلق بمناطق لم ينقل منه عنها البكري والسمهودي ، وهذه المناطق تشمل اليمامة واواسط الجزيرة وشرقيها

ان عدم نقل ياقوت عن السكوني فيما يتعلق بضرية راجع إلى أنه فضل عليه الاصمعي وأبي زياد الكلابي ، هذا مع العلم ان الصورة التي يعطيها السكوني عن ضرية أوضح واشمل لانها تتناول تاريخ المنطقة وجغرافيها مرتبة تبعاً لمواقع الاماكن ، وهي صورة يبدو ان البكري أدرك انها أوضح واجدر بالنقل فاعتمدها مفضلا اياها على ما كتبه الاصمعي الذي بالرغم من سعة معلوماته ، فإن أساس بحثه هو توزيع العشائر ومياهها وان الصورة التي يقدمها مفككة لجة

وهنا يتساءل المرء : لماذا لم ينقل البكري عن السكوني معلومات عن اواسط الجزيرة وشرقيها واليمامة ، كما فعل ياقوت ؟ هذا مع العلم ان بحث البكري عن اليمن واليمامة وأواسط وشرقي الجزيرة لا يقارن في تفككه وضحالته ببحثه عن مناطق غرب وشمال غربي الجزيرة ؛ كما انه لا يقدم صوراً شاملة عن مناطق اليمن وأواسط وشرقي الجزيرة

كما يفعل عن مناطق غربي وشمال غربي الجزيرة ان هذا قد يفسر سببه في ان البكري لم يطلع على كل ما كتب السكوني ، أو أن كتاب البكري المطبوع هو غير كامل والرأي الاخير هو الذي أرجحه ، وذلك لان البكري كثيراً ما يحيل القارىء إلى ابحاث يقول إنه ذكرها في كتابه ، ولكننا لا نجدها في المطبوع

كما انه يذكر في (ص٣٧٩) وقدتقدم من قول السكوني « تميماً كلها باسرها باليمامة» وهو نص يدل على أن البكري قد بحث اليمامة ، وانه نقل في ذلك عن السكوني ، غير اننا لا نجد ذلك في الكتاب المطبوع الذي بين ايدينا

اما عدم نقل السمهودي منه فيرجع الى ان اواسط وشرقي الجزيرة خارجة عن نطاق بحثه

وعلى هذا نرى ما يبرر الافتراض بان السكوني تناول في بحثه جغرافية الجزيرة كلها ، ولكن هذا البحث لم ينقل لنا كاملا ، وان كتاب ياقوت ينقل بعض ما بحثه السكوني ، وكتاب البكري ينقل بعضه ، وان مادة الكتابين المأخوذة عن السكوني متكاملة

لا يدعى ياقوت انه نقل في كتابه « معجم البلدان » كل معلومات السكوني ، ومن الراجح انه لم يفعل ذلك بل اقتصر على اختيار ما رآه ملائماً اما لدقته وشموله ، أو لانفراد السكوني بايراده ولعل هذا يتجلى بوضوح في وصف طريق حاج الكوفة والبصرة ومحطاته ، فان ياقوت نقل عن السكوني معلومات غنية عن اماكن صغيرة نسبياً ولم يذكر عنه مادة تتعلق بالمحطات الرئيسية التي يذكرها الجغرافيون والرحالون عادة وليس من المعقول ان يهتم عالم مدقق كالسكونى ، باماكن صغيرة ، ويترك الاماكن المهمة ، بل الارجح انه وصف كل الطريق وصفاً مفصلا دقيقاً ، ولكن ياقوت لم يعتمد عليه في وصف الاماكن البارزة الرئيسة ، واكتفى بالاعتماد عليه فيما انفرد به وهو مقدار واسع وقيم جداً

اما بحث اليمامة فقد اعتمد ياقوت بالدرجة الأولى على محمد بن أبي حفصة فنقل عنه نصوصاً كثيرة ، تظهر اطلاع هذا العالم ودقته ، ولكن بالرغم من ذلك لم يهمل السكوني الذي اهتم بذكر الطرق والمنابر

ثم ان ياقوت رتب مادته تبعاً للحروف الهجائية ، فهو اذ اعتمد على مؤلف فانه لا ينقل ما ذكره ذلك المؤلف كاملا ، بل يفكك البحث ويفرقه تبعاً للترتيب الهجائي للكلمات ، وعلى هذا فلا يمكن استنباط صورة دقيقة عن طريقة بحث أي مؤلف بمجرد الاعتماد على النصوص التي نقلها ياقوت عن ذلك المؤلف

ان الملاحظتين السابقتين لا تمنعان من اعطاء فكرة عامة عن بحث السكوني ، فهو يهتم بطرق المواصلات ، والابعاد بين الاماكن وتحديد الابعاد بالاميال ، والاماكن القريبة من محطات الطرق الرئيسة ، والآبار واعماقها ، والسكان وعشائرهم والعلاقات بينهم ، وانه يتبع الطريقة التي اتبعها في الفصل المكتوب عن ضرية وفيد وخيبر وغيرها مما نقله البكري بصورة اكمل ، وانه اذا القى المرء نظرة فاحصة على كل النصوص التي روتها هذه الكتب عن السكوني ، فيحق له أن يقول ان السكوني من ادق واشمل من وصف جزيرة العرب عامة ، ومنطقة الحجاز وما يجاورها خاصة ، وان دراسته لا تقل في مستواها عن وصف ابن الحائك الهمداني لليمن في كتابه صفة جزيرة العرب

صالح أحمد العلي

أثر اللغة العربية في اللغة التاجيكية

الدكتور حسين علي محفوظ

تصدير

سافرت إلى تاجيكستان [1] صيف ١٩٦١ ، فلبثت في ديارها ستة عشر يوماً ؛ أمضيت طائفة منها في مدينة « ستاليناباد» [2]، وأياماً في « بخته آباد » و « آب گرم » و «ورزاب».

ثم غادرتها إلى ازبكستان [3][4] فأقمت بها عشرة أيام ؛ زرت في أثنائها « طاشقند » [5] و « سمرقند » و « بخارا »

(١) بلاد تاجيكستان وازبكستان هي « ما وراء النهر » قديماً ، وهي « آسية الوسطى » اليوم أما ازبكستان فيتكلم أهلها باللغة الأزبكية ؛ وهي شعبة من اللغات التركية وأما لسان تاجيكستان فاللغة التاجيكية ، وهي إحدى الألسنة الايرانية ، وتشابه أختها الفارسية مع فروق في القواعد ، واختلاف في أصول جملة من الألفاظ ومعانيها واستعمالها ونطقها

(٢) وهي بلدة « دوشنبه » من قبل ، ومن بعد وقد اتخذت عاصمة تاجيكستان بعد انفصالها من ازبكستان

(٣) سماها ابن بطوطة في الرحلة ج ١ ص ٢٠٦ « بلاد السلطان محمد اوزبك خان »

(٤) ولقد عنيت — أيضاً — بدرس أثر اللغة العربية في الأزبكية وأوسعتها بحثاً وتنقيراً وتحقيقاً

(٥) عاصمة ازبكستان — اليوم

ولقد اتيح لي هنالك تتبع اللغة التاجيكية ، وملاحظة الآداب والأخلاق والعادات

ان اتصال العرب بالشرق ـ ولا سيما « بلاد ايران » [١] ـ قديم جداً ، وعلاقة العربية بالفارسية أمر ربما أعجزتنا معرفة أوليته ، وتجاور العرب والعجم شيء معرق لا يكاد يبلغ الوهم بدايته وقد برز تأثيره في اللغة ، وظهرت آثاره في العادات ، ولقد جاوزها فتوغل في الانساب ؛ فاختلط الناس ، وتداخلت الآداب ، واشتبكت الألسنة وكان بين العربية والفارسية من التأثيروالتأثر ما لعلنا لا نطمع ان نجد مثله في أيما لغتين أخريين وما زالت بقية ذلك الاختلاط والتداخل والاشتباك واضحة في اللغتين ، وهي علامة تلك الصلة العاديّة المستمرة ؛ ومن معالمها القديمة الـ « هزوارش » [٢] الموجود في اللغة البهلوية

وفي العاميةالعراقية ـ مثلا ـ كثير من الكلمات التي نسيها الايرانيون ككلمة « وفر »، وهي الصورة الأفستية لـكلمة « برف » أي الثلج [٣]

والوفر مستعمل في الآداب العربية ـ أيضاً ـ إذ ورد في كتاب الحوادث الجامعة [٤] ، وفي مرآة الزمان [٥] ، وغيرها [٦] وأمثاله لا يحصيها عدّاد

---

(١) تراجع / المتنبي وسعدي — التصدير ، صفحة : يح ـ يط

(٢) هزوارش : الألفاظ السامية والعربية ، التي تكتب في « البهلوية » بالعربية ، وتلفظ بما يقابلها من معانيها الفارسية .

(٣) وتراجع أصول الفاظ اللهجة العراقية ص ١٠١

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٦٢ ، و٤٨٢ — ولاحظ ؛ أصول الفاظ اللهجة العراقية ص ١٠١

(٥) في حوادث سنة ٥١٠ هـ : « وفيها سقط ببغداد ثلج عظيم لم يتم مثله ، أقام خمسة عشر يوماً فقال شاعر :

يا صدور الزمان ليس بوفر	ما رأيناه في نواحي العراق
إنما عم ظلمكم سائر الخلـ	ـق فشابت ذوائب الآفاق

راجع ؛ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان مج ٩ ج ١ ص ٩٨

(٦) ككتاب عيون الأنباء — الذي أشار الى القصة السالف ايراد ذكرها — في ترجمة « البديع الاصطرلابي » ج ٢ ص٣ ٢ — بديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي ؛ =

وفي العربية كلمات لم يستطع علماء اللغة ـ رحمة الله عليهم ـ ادراك أعجمية أصولها (وهي فارسية) مثل : « شخت » و « سخت » أي الشديد [١] ، الخالص [٢] الصلب « والفيلم » [٣] أي الرجل العظيم ، والعظيم الجثة ؛ التي رويت بصورة « فيلماني » [٤] ، و « بيلماني » [٥] التي توشك أن تقارب اصلها الفارسي وفارسيها « فيل مان » أو « فيل مانند » أي شبيه الفيل

وكذلك ال « فيلكون » [٦] ، أي الغليظة ؛ في صفة القوس :

فكأن كسرن من هتوف مرنّة ... من السدر كانت فيلكون المعابل

و « بنك » أي « أصل » [٧] ، وفارسيها « بن » [٨]

ثم أتى الاسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وآمنوا به ، وتعلّموا القرآن ، وحفظوه ، وقرأوه ، وكرّروا ألفاظه ، وتمثلوا حكمه ، واستعملوا أمثاله ، وترجموا آياته وعنوا بالحديث ؛ فتأثرت بهما محاوراتهم ومحاضراتهم واهتموا بالأدب واللغة والشعر ؛ مقدّمةً لدرس القرآن ، وانعاماً في التدّين ، وتقرّباً إلى الدولة فكان منهم أشياخ العلم ،

= الطبيب العالم الفيلسوف المتكلم

قال : « قال .. وقد جاء بالعراق وفر كثير ؛ يعني بالوفر الثلج : يا صدور الزمان .. (البيتان) »

(١) القاموس المحيط ج ١ ص ١٤٩ مادة « السخت » ، وتراجم المخصص ج ٩ ص ١٨

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ص ٢٢٩

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٦٠ مادة « الفيلم »

(٤) مختار الصحاح ص ٥٤٦ مادة « فيلم » ، والفائق ج ١ ص ١٠ مادة « بلم »

(٥) الفائق ج ١ ص ٦٠ مادة « بلم »

(٦) المخصص ج ٦ ص ٤٠

(٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٩٦ مادة « البنك » ، ومختار الصحاح ص ٣٢٢ مادة « قبط » : القبط .. أهل مصر وهم بنكها ، أي أصلها »

(٨) برهان قاطع — القول الثاني / البيان ٢٢ — ص ٢٠٤ « بن »

وأعمدة الأدب ، واساطين اللغة ، وفحولة الشعر

وانتشرت مدارس الأدب العربي في ايران ؛ حتى عُد حفظ معلقة أمرىء القيس ، وشعر المتنبي من شروط التأدب [1]

فلا يعجب احدٌ إذا كان الزوزني من أوائل شرّاح المعلقات [2] ، وان يشغل المتنبي ايران كما شغل بلاد العرب ؛ فقد لاحظته عناية الايرانيين ، فوصل ديوانه ـ في زمنه ـ إلى بخارا ، وخوارزم ، وبست [3] ؛ حتى قال الرشيد الوطواط : « ان جميع شعراء الاسلام من العرب والعجم عيالٌ عليه » [4]

وليس عجيباً أن نلمح معانيه في شعر الأمير أبي الحسن علي بن الياس الاغاجي البخاري، المعاصر للشاعر الدقيقي [5] ، وان نظفر بمآخذه منه وان مات قبله بربع قرن

من اجل ذلك أرى أن النقاد الايرانيين لا يغنون عن الأدب العربي ، ولا سيما « القرآن » لتصحيح المتون الفارسية ، وحسن فهم آدابها

ولو عرف الافاضل التاجيكيون مثلا ـ ان الرودكي نظم قوله :

زامده شاد مان نبايد بود
وزگذشته نكرد بايد ياد

---

(١) تاريخ بيهقي ص ١١٢

(٢) تراجع ترجمته . في : معجم المؤلفين ج ٣ ص ٣٠٩ — ١٠ ، وفرهنكنامههاي عربي بفارسي ص ١١ — ١٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٤٤

(٣) المتنبي وسعدي ص ١٠ — ٣٢

(٤) تذكرة الشعراء ص ٢٤

(٥) لباب الألباب ج ١ ص ٣٢ ، والمتنبي وسعدي ص ١٩ ،

The influence of Arabic poetry on the development of persian poetry, P 182.

معنى الآية ٢٣ من سورة الحديد : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم » ما غلطوا في استرجاح ضبط البيت الذي نشر في طبعة ستاليناباد ، هكذا :

زامده شاد مان ببايد بود [١]

وقال محقق ديوان الرودكي - أيضاً - في تعليقاته [٢] ، عند قول الشاعر :

برخ هزار زهره ثامور برشكفت ايدون زباغ قطره شبنم نيافتم

« ان تصحيح البيت عسير غير ممكن » ولا ادري لعله راجع المعجمات فلم يظفر بلفظ « ثامور » ومن لم يتصفح المعاجيم العربية كلها - وهو ما أمضيت فيه طرفاً من عمري - فليس هيّناً أن يعثر بما يهديه الوجه والصحيح « تامور » من مادة « أمر » ومعناه : « الوعاء ، والنفس .. والقلب ؛ وحبّته وحياته ودمه ، والدم ، والزعفران ، والولد ؛ ووعاؤه ، والماء ، والابريق ، والحقة » [٣] ، وانما أراد « الجنبذ » [٤]

ثم لا بد من قراءة البيت بلا إضافة « زهره » إلى « تامور » وصوابه :

برخ هزار زهره ، تامور برشكفت

تأثير العربية في التاجيكية

أما تأثير العربية في التاجيكية ، فأمر عجاب مدهش ؛ وهو آية اختلاط الأمتين الشديد

---

(١) آثار أبو عبد الله رودكي ص ١٤ (٢) المرجع المذكور ص ١٠٩

(٣) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٦٥ ، مادة « الأمر »

(٤) الجنبذ ؛ الـ « جنبذ » — في العراق — هو البرعم — أي كم ثمر الشجر والنور ، أو زهرة الشجر قبل أن تتفتح

والجنبذ — في اللغة : « ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة وهو فارسي معرب .. والجنبذة المرتفع من كل شيء وما علا من الأرض واستدار ومكان مجنبذ مرتفع » تراجع تاج العروس ج ٢ ص ٥٥٥ مادة « جبذ » ؛ والقاموس المحيط ج ١ ص٣٠١ « الجبذ » ولاحظ (البرعم) في الافصاح في فقه اللغة الباب السادس عشر في الزرع والأشجار والأثمار ص ٤ ٦ — ٥ ؛ فصل تنوير الأشجار (أقول) والجنبذ بمعنى البرعم — في العراق — معرب « كنبد » تراجع برهان قاطع — القول ٢٢ ، البيان ١٦ ص ١٠٠٤ مادة « كنبد »

قديماً وحديثاً [١] ولقد غطى تغيير الحروف التاجيكية ـ التي استعمل اهلها الحروف العربية الاسلامية حتى حين ؛ إذ استبدلوا بها الحروف الروسية ـ فلا أنكر على الباحثين التاجيكيين أن تُغَمّ عليهم اصول ذلك التأثير والتأثر ؛ عد عن الأدباء العرب

سمعت محاورات الناس ـ ابان اقامتي بتاجيكستان ـ ثم تصفحت « المعجم التاجيكي الكبير » [٢] وقرأت كل ما وصل اليّ مما صنفه التاجيكيون في الأدب واللغة والتاريخ ، وانعمت النظر في دواوين الشعر القديمة والمحدثة

أما المعجم التاجيكي الجديد ، فمجموعة ألفاظه نحو من أربعين ألف كلمة « ٤٠ ٠ » لعل « ١٤٧٢٩ » منها من الجديد ، الذي دخل في المعجم بعد اتصال اللغة التاجيكية الأخير باللغة الروسية ـ ويحتوي على جملة من الكلمات العالمية ، وطرف من الروسية ، وألفاف من الألفاظ العامية المستعملة في القرى والرساتيق ؛ زد عليها حكايات الأصوات ـ وسائرها ما كان موجوداً في اللغة قبل تغيير الحروف وعدته مهاء « ٢٥٧٢٢ » من

(١) العرب في « ما وراء النهر » طائفتان : السمانيون ؛ وقد دخلوا آسية الوسطى من مدينة بلخ ، والشيبانيون ؛ وقد جاؤها من بلدة اندخوى وأصلهم جميعاً من افغانستان والظاهر أنهم جميعاً أقاموا ــ أولاً ــ ببخارا ، ثم انتشروا في سائر بلدان ما وراء النهر ولعل هجرتهم من بلاد الأفغان قبل نحو من ٢٠٠ سنة وفي أزبكستان أمكنة ما زالت تسمى « عرب » و « عرب خانه » و « عربان » و « عربلر » و « عرب قشلاق » و « عرب مزار » ؛ ففي زرافشان ــ وحدها ــ ٢٢ اسماً مركباً مع كلمة « عرب » عدة العرب في تاجيكستان ٤٧٥ يسكنون : كولاب ، وسارى جشمه ، وقرغن تبه ، وكباديان. وكانت عدتهم في أزبكستان سنة ١٩٢٤ (٤٤٦ ر ٤٠) وهم يسكنون قشقادريا ، وفرغانه ، وسمرقند ، واندجان . وخجند ، وسرخان دريا وكانوا في بخارا ــ وحدها ــ (١٢٣٠٠) وقد بلغ الذين يتكلمون العربية من عرب ما وراء النهر سنة ١٩٣٨ (نحو ١٧٥) تتبعات في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا / نقلاً من مقالات صديقنا الفاضل الزميل الأستاذ فنكوف ، معلم اللغات السامية في الكلية الشرقية بجامعة لنينغراد

(٢) وهو معجم تاجيكي وروسي بالحروف المستجدة

من الألفاظ والتراكيب والاصطلاحات المستعملة في المحاورة والكتب وهو يتألف من شعبتين :

(١) الألفاظ التاجيكية ، وعددها « ١٣٥٤٩ »

(٢) الكلمات العربية ، ومجموعها « ١١٧٢٢ » وهي نوعان : المفردة ، والمركبة الملمعة من العربية والتاجيكية ، وغير الملمعة فنصيب العربية النصف تقريباً

وإحصاؤها بحسب الحروف :

الألف	١٢١	كلمة	الضاد	٧٤	كلمة
الباء	١٠٠٦	»	الطاء	١٧٦	»
پ	١٣٥	»	الظاء	٣٦	»
التاء	٧٣٦	»	العين	٦٣٤	»
الثاء	٥٣	»	الغين	٣٧١	»
الجيم	٢٨٩	»	الفاء	٣١٠	»
چ	٣١	»	القاف	٣٧٠	»
الحاء	٤٣٥	»	الكاف	٢٤٢	»
الخاء	٤٦٧	»	گ	٢٨	»
الدال	٣٢٣	»	اللام	١٢١	»
الذال	٣٩	»	الميم	١٨٣٥	»
الراء	٣٠٦	»	النون	٦٧٤	»
الزاي	١٠٦	»	الهاء	٢٠٥	»
السين	٥١٢	»	الواو	٢٠٠	»
الشين	٣٢٨	»	الياء	٦٦	»
الصاد	٤٠٤	»	المجموع	١١٧٢٢	

وقد أصاب الألفاظ العربية « المعجمة » المستعملة في التاجيكية من التغيير في المعاني والمباني والأصوات ما أصاب الكلام المعرّب في لغتنا من تصرّف

ومن آثار العربية الباقية في اللغة التاجيكية :

[١]

التراكيب العربية

ربما استطعت تصنيف التراكيب العربية أقساماً ، هي :

(١) الجمل والمركبات الاسنادية مثل :

استغفر الله	بارك الله

(٢) الجمل الناقصة ، وأشباه الجمل مثل :

ان شاء الله	على حده
بين الملل	في الحال

(٣) التراكيب الاضافية مثل :

عكس الحركت

(٤) التراكيب المزجية « النعتية » مثل :

ثابتْ قدم	قديمْ نسل
فارغْ بال	كاملْ حقوق

(٥) التراكيب النَسَقية مثل :

حسن وجمال	عدلْ وانصاف

ومن التراكيب العربية الكثيرة ، المركبات المؤلفة من : « الباء ، بلا ، دار ، صاحب ، عموم ، غير ، لا » وكلمات أخرى

فقد ركبت :

(ب) مع ١٢ كلمة معرفة باللام
(بلا) مع ١٢ كلمة أيضاً
(دار) مع ١٩ كلمة
(صاحب) مع ٥٠ كلمة
(عموم) مع ١ كلمات
(غير) مع ٧ كلمة
(لا) مع ١٥ كلمة

[٢]

التراكيب الملمعة

أما التراكيب العربية والتاجيكية « الملمعة » فهي ضربان :

(الأول) المركبات الملمعة من كلمتين عربية وتاجيكية ، وهي نوعان :

أ — المركبات التي أول جزأيها عربي ، وهي :

بهت ـ مع ١٠ كلمات تاجيكية
جمع ـ مع ٦ كلمات
حاصل ـ مع ١١ كلمة
حق ـ مع ٧ كلمات
خاطر ـ مع ٩ كلمات
خبر ـ مع ٩ كلمات أيضاً
فائدة ـ مع ١٠ كلمات
كتاب ـ مع ٨ كلمات
منفعت ـ مع ٧ كلمات
نشئه ـ ٨ كلمات
نظر ـ مع ٧ كلمات
نقش ـ مع ١١ كلمة
هوا ـ مع ٩ كلمات

ب — المركبات التي ثانيها عربي

فقد ركبت :
بـ [١] ـ مع ٢٩ كلمة عربية

(١) أي — اللام ، وإلى

بـ [1] ـ مع ١١٩ كلمة

بَدْ [2] ـ مع ٣٧ كلمة

بَرْ [3] ـ مع ١٤ كلمة

بَرابر [4] ـ مع ٦ كلمات

بُلَنْد [5] ـ مع ٨ كلمات

بي [6] ـ مع ٢٩٧ كلمة

پُرْ [7] ـ مع ٧٧ كلمة

پريشان [8] ـ مع ٥ كلمات

پَسْت [9] ـ مع ٤ كلمات

پيش [10] ـ مع ٩ كلمات

چار [11] ـ مع ١٢ كلمة

خام [12] ـ مع ٥ كلمات

خود [13] ـ مع ١٨ كلمة

خوش [14] ـ مع ٣٥ كلمة

دراز [15] ـ مع ٧ كلمات

دل [16] ـ مع ٦ كلمات

دو [17] ـ مع ١٣ كلمة

سَبُك [18] ـ مع ١ كلمات

سر [19] ـ مع ٣٠ كلمة

سير [20] ـ مع ٤٦ كلمة

---

(١) أي — مع ، ذو

(٢) أي — سيء ، رديء ، خبيث ، كريه ، غير طيب ، غير جيد

(٣) أي — على

(٤) أي — سواء ، سيان ، متساوى

(٥) أي — عالي ، رفيع

(٦) أي — بلا

(٧) أي — كثير ، جم ، مشبع

(٨) أي — مشوش

(٩) أي — دون

(١٠) أي — سابق ، مقدم

(١١) أي — أربعة ، ورباعي

(١٢) أي — فج ، وبسيط

(١٣) أي — نفس

(١٤) أي — حلو ، طيب ، حسن

(١٥) أي — طويل

(١٦) أي — قلب

(١٧) أي — اثنان

(١٨) أي — خفيف

(١٩) أي — رأس .

(٢٠) أي — كثير ، غزير ، وافر

فَرْخ [1] ـ مع ٨ كلمات	نيك [6] ـ مع ٩ كلمات
كم [2] ـ مع ٤٩ كلمة	نيم [7] ـ مع ٢٧ كلمة
نا [3] ـ مع ٩٥ كلمة	هر [8] ـ مع ٧ كلمات
نازك [4] ـ مع ٨ كلمات	هم [9] ـ مع ٤٩ كلمة
نو [5] ـ مع ٨ كلمات	يك [10] ـ مع ٢٢ كلمة

(الثاني) الكلمات العربية المزيد فيها « الكواسع » التاجيكية وهذه الكواسع نوعان :

أ ـ الكواسع الفعلية ، والاسمية ، مثل :

آميز ، آور ، آورى ، شونده ، كار ، كارانه ، كارى ، كننده ، كنى

ب ـ الكواسع الحَرْفية مثل :

انه ، چى ، سا ، فام ، كار ، گار ، گر ، گون ، گى ، گين ، مند ، ناك ، وار ، ى

[٣]

التراكيب المترادفة

ومن التراكيب العجيبة في اللغة التاجيكية ، المركبات الملمعة من اللفظ العربي ومترادفه التاجيكي ، منسوقاً ، أو مضافاً ، أو ممزوجاً ، ومعناها مفرد مثل :

استراحت ودمگيري باد وهوا

---

(١) أي ـ سعيد ، مبارك
(٢) أي ـ ناقص
(٣) حرف نفي وسلب
(٤) أي ـ لطيف ، رقيق
(٥) أي ـ جديد
(٦) أي ـ حسن ، طيب ، جيد
(٧) أي ـ نصف
(٨) أي ـ كل
(٩) أي ـ أيضاً
(١٠) أي ـ واحد .

پيشرفت وترقى　　قد وبر

تازه وصاف　　قوم وخويش

تفاوت وماندى　　قيدو بند.

جنگ وجدال [١].　　كوشش ومحنت

حيله و نيرنگ　　گشت وسير

خويش وقريب　　گوشت لحم

زهر قاتل　　گياه وعلف

عطر گل.　　مار أفعى

علف سبزى　　مرخصى ودمگيرى

عهد و پيمان　　نقش ونگار

ومركبات من ألفاظ عربية مترادفة ومعناها مفرد :

استادي ومهارت　　حرب وضرب

اشراف واعيان　　حسن وجمال

اطراف وجوانب　　ذوق وعشق

امن وأمان　　صفت وخاصيت

اهل عايله　　ضبط وقيد

اهل وعيال　　عجيب وغريب

جهد وجد　　عدل وانصاف

حال طرز　　عرف وعادت

حساب وكتاب　　عكس صدا

(١) أي — النزاع والتخاصم

عيش وطرب	قضاء وقدر
عيش وعشرت	مال وملك .
غم وغصه	معلومات واستفسار
غم وكلفت	هرج ومرج .
قابليت واستعداد	هزل ومزاح
قدر وقيمت	

[٤]

التراكيب المتضادة

وهي ؛ مركبات من ألفاظ عربية متضادة مثل :

حاضر غايب	مدّ وجزر
عرض وطول	

أو ؛ من لفظين عربي وآخر تاجيكي ؛ متضادين مثل :

يار وأغيار

[٥]

النسب

حروف النسب في اللغة التاجيكية ثلاثة أقسام ؛ فارسية ، وازبكية ، وعربية :

فمن معالم الاضافـــة « النسب » العربية في اللغة التاجيكية ٤٦ كلمة عربية ينسب اليها بالواو والياء [١] ؛ هي :

إداره وى	بيضوى

(١) فهم يفتحون آخر الـكلمة المنسوب اليها ، ويزيدون عليها واواً مكسورة بعدها ياء ساكنة

تجربوی ، تربیوی ، ترجیەوی صحنوی

ثانیوی عاموی ، عائلوی ، عنعنوی

خاتموی ، خلاصوی غایوی

دنیاوی فاجعوی

زمانوی قبیلوی

سلالوی کسبوی ، کنایوی

شوروی لا یحەوی ، لهجوی .

مالیوی ، مباحثوی ، مبادلوی ، مبالغوی ، مدافعوی ، مستملکوی ، معالجوی ، معـــدەوی ، معنوی ، مقایسوی ، مقدموی ، مناظروی ، مؤسسوی ، موسیقوی ، نتیجوی ، نظریوی

وقد نسبوا ـ بنفس الاسلوب ـ إلى كلمات تاجيكية ـ أيضاً ـ مثل :

آذوقوی قاقشوی

افسانوی نمونەوی .

دوادوی هنگاموی .

كما نسبوا إلى كلمات روسية وأجنبية كذلك ، مثل :

ایدیەوی دراموی .

پارتیەوی ریسپو بلـــکەوی

پرتیوی سأویەوی

پراگراموي میلیئاراتیوی

[٦]

المصدر الصناعي[1]

وفي اللغة التاجيكية من هذا النمط ٢١ كلمة ، هي :

آدميت ، اجتماعيت ، احتماليت ، اذيت ، ارثيت ، استقلاليت ، اسلاميت ، اصليت ، اقليت ، اكثريت ، امكانيت ، امنيت ، انسانيت ، انسيت ، اصليت ، اهميت

بدويت ، بديعيت ، بشريت — سببيت

تابعيت ، تبعيت ، تماميت — شخصانيت ، شخصيت ، شعريت

جاهليت ، جديت ، جمعيت ، جمهوريت — صميميت

حاكميت ، حريت ، حساسيت، حيوانيت — ضروريت

خاصيت ، خيريت — عصبيت ، عموميت ، عينيت

دائميت ، دوريت — غالبيت ، غلاميت

رسميت ، رعيت ، رفاهيت — فرديت ، فطريت ، فوقيت

زوجيت

قابليت ، قانونيت ، قبضيت ، قدسيت ، قيوميت

كراهيت — لازميت ، لزوميت

مالكيت ، مأموريت ، ماهيت ، متوازيت ، مجبوريت ، مجموعيت ، مجوسيت ، مجهوليت ، محبوبيت ، محروميت ، محزونيت ، محسوسيت ، محكوميت ، مختاريت ، مخدوميت ، مدنيت ، مديريت ، مساويت ، مستقليت ، مسؤوليت ، مشغوليت ،

---

(١) لاحظ المصدر الصناعي ، في قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ص٣١ ، وشذا العرف في فن الصرف ص ٥٠ والمباحث اللغوية في العراق ص ٢١ — ٢٣ ، وتحرير النحو العربي ص ٧٤ ، ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي مج ١ ص ٣٥ ، و ٢١١ — ٢١٥ .

مطابقيت،مطلقيت ، مظفريت ، مظلوميت ، مغروريت ، مغلوبيت ، مقابليت ، مكمليت ، ملكيت ، مليت ، ممنونيت ، موجوديت ، موفقيت

نفسانيت	واقعيت ، وحشانيت ، وضعيت
هويت	يهوديت

واذا وجدنا في ايران عشرات من الالفاظ الفارسية المختومة بـ « يت » قياساً على « المصدر الصناعي » العربي ، فليس في التاجيكية إلا :

راهبريت	رهبريت

واستعمال المصدر الصناعي واشباهه قليل جداً في الأدب التاجيكي القديم فالمستعمل في الدواوين المعروفة :

آدميت (١)	قابليت (٦)
انسانيت (٢)	قبوليت (٧)
جمعيت (٣)	كرويت (٨)
حميت (٤)	كيفيت (٩)
خاصيت (٥)	

---

(١) اشعار منتخب كمال خجندي ص ١٠١ ، ١٢١
(٢) المرجع المذكور ص ١٤٣
(٣) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ١٥١ ، ١٥٥ ، واشعار منتخب شاهين ص ١٠٣
(٤) آثار أبو عبد الله رودكي ص ٢٩ .
(٥) اشعار منتخب كمال خجندي ص ٩٦ ، ومنتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ٢١٤ ، ومنتخبات سودا ص ٦٩ ، واشعار منتخب شاهين ص ١٤٦
(٦) منتخبات سودا ص ١١١ (٧) اشعار منتخب كمال خجندي ص ١٣٧
(٨) منتخبات سودا ص ١٨٦
(٩) منتخبات سودا ص ٣١ ، ومنتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ١٨٧ ، واشعار منتخب شاهين ص ١٤ ، ٦٢ ، ١٠٢ ، ١٣١

[٧]

الجموع

الجموع العربية في التاجيكية ثلاثة اقسام :

(١) جمع التكسير ، ولا سيما ، وزن « أفعال » وأمثلته المستعملة في التاجيكية نحو من ٨٠ كلمة

ووزن « فعول » و « أفعله » و « أفعُل » و « أفعلاء »

(٢) جمع السلامة « المذكر » مثل : اقليون ، اكثريون

(٣) جمع السلامة « المؤنث » وفي التاجيكية ١٧٥ كلمة جمعت بالألف والتاء ، هي :

اجتماعات ، احتياجات ، احساسات ، احوالات ، اخبارات ، اختراعات ، اختلافات ، ادبيات ، ادويات ، ارتجاعات ، استحصالات ، استحكامات ، استعمالات ، اصطلاحات ، اصلاحات ، اظهارات ، اقتصاديات ، آلات ، الاهيات ، انتخابات ، انشاآت ، أوقات ، آيات ، ايجاديات ، ايضاحات

بديعيات ، بيانات

تابعات ، تأثرات ، تأمينات ، تبدلات ، تبليغات ، تجهيزات ، تداركات ، تدقيقات ، ترتيبات ، ترغيبات ، ترقيات ، ترهات ، تشريفات ، تشكيلات ، تشويقات ، تصحيحات، تصدقات ، تصديقات ، تصورات ، تضمينات ، تعريفات ، تعقيبات ، تعليمات ، تغييرات ، تفتيشات ، تفحصات ، تفريحات ، تفصيلات ، تقسيمات ، تلفات ، تنزلات

ثمرات

جزئيات ، جواهرات

حاصلات ، حروفات ، حسابات ، حسيات ، حفريات ، حيوانات

خرابات ، خراجات ، خرافات ، خسرات ، خطيات ، خيالات ، خيرات

درسيات	ضروريات
ذريات	طامات ، طبيعيات ، طلبات
رايات، رباعيات ، رقعات ، رياضيات	ظروفات ، ظلمات ، ظهورات
سماوات	عجائبات ، عرصات ، عمليات
صادرات ، صناعات	غرائبات ، غزاوات ، غزليات

فتوحات ، لخشيات ، فراسات ، فلزات ، فلكيات

كاتبات ، كائنات ، كرامات ، كشفيات ، كليّات ، كمالات ، كيفيات

لزومات ، لغويات ، لوازمات

مأكولات ، ماليات ، مايعات ، متروكات ، مثلثات ، محسنات ، محسوسات ، محصولات ، مراسلات ، مزخرفات ، مسكرات ، مشروبات ، مشكلات ، مصنفات ، مصنوعات ، مضافات ، مطبوعات ، مطلوبات ، معدنيات ، معلومات ، مفردات ، مفروشات، مقدرات ، مقطعات ، مكاتبات ، مكانات ، منتخبات ، مندرجات ، منقولات، موهومات ، مهملات

نباتات ، نشريات ، نظريات ، نقرات ، نقليات ، نكات

هجويات ، هزليات

واجبات ، واردات ، واقعات ، ولايات

وفي الجمع العربي في التاجيكية أشياء عجيبة ، منها :

١ — استعماله في جمع كلمات فارسية ؛ هي :

باغات ، دهات ، سبزوات ، سپارشات ، فرمايشات ، ميوه‌جات ، نوشتجات ، نيرنگجات ويلحق بها ألفاظ عربية تغيرت اواخرها وفق الالفاظ التاجيكية ؛ مثل : « قلعه‌جات » جمع قلعة

٢ — جمع جموع التكسير بالألف والتاء ؛ مثل : احوالات ، اخبارات ، ادويات ، جواهرات ، حروفات ، عجائبات ، غرائبات ، لوازمات

٣ — استعمال الجموع ، وجموع الجموع بمعنى المفرد ؛ مثل : اخبار ، اسباب ، اعضا ، اوقات « مقلوب / أقوات . أي طعام »

[٨]

المصدر

المصادر التاجيكية المنقولة من العربية ؛ ثلاثة انواع :

(١) المصادر المصنوعة ، وتسمى في الفارسية « مصدر جعلى » ، وتبنى من المصادر والأسامي العربية ؛ مكسوعةً بعلامة المصدر الفارسية « يْدن » والمستعمل منها في الفارسية سبعة أو ثمانية

أمّا التاجيك ، فقد أسرفوا في وضع المصادر المختلقة ، إذ صاغوا :

تجهيزاندن ، تجهيزانيدن ، من (تجهيز)	فوتيدن ، من (فوت)
جهازانيدن ، من (جهاز)	مركزانيدن ، من (مركز)
رقصيدن ، من (رقص)	مكافاتانيدن، مكافاتيدن، من(مكافأة)
شميدن ، من (شم)	ورميدن ، من (ورم)
طلبيدن ، من (طلب)	وهاندن، وهانيدن، وهميدن، من(وهم)

فهاندن،فهانيدن، فهميدن،من (فهم) .

وغالى الشاعر (سودا) في وضع المصادر ؛ فصنع ٤٤ مصدراً ـ في ديوانه الانتقادي الهزلي ـ هي :

اتفاقيدن[١] ، اثريدن [٢] ، اختلاطيدن [٣] ، اختلافيدن [٤] ، ارزقنيدن [٥] ، اعتراضيدن[٦] ، اعترافيـدن[٧] ، التجائيدن[٨] ، التفاتيدن[٩] ، اينحرافيدن[١٠] (كذا) .

ثمريدن [١١]
جنو ناندن [١٢]
حلويدن [١٣]
خرجيدن [١٤] ، خلافيدن [١٥]
ذقنيدن [١٦]
رحميدن [١٧]
شافيدن [١٨] ، شوقيدن [١٩]
صافيدن[٢٠] ،صبحيدن[٢١] ، صبريدن[٢٢]
طلبيدن [٢٣]

عتابيـدن [٢٤] ، عتبيدن [٢٥] ، عسليدن [٢٦] ، عشقيدن [٢٧] ، علاجيـدن [٢٨] ، علنيدن [٢٩] ، عمليدن [٣٠] ، عندليبيدن [٣١]

---

(١) منتخبات سودا ص ٨٨
(٢) المرجع المذكور ص ٦٢
(٣) المرجع نفسه ص ٨٨
(٤) المرجع نفسه ص ٨٧ ، ٨٨
(٥) المرجع نفسه ص ٦٨
(٦) المرجع نفسه ص ٤٩
(٧) المرجع نفسه ص ٨٧ .
(٨) المرجع نفسه ص ٧٧
(٩) المرجع نفسه ص ٧٠
(١٠) المرجع نفسه ص ٨٨
(١١) المرجع نفسه ص ٦٨
(١٢) المرجع نفسه س ٦٨
(١٣) المرجع نفسه ص ١١٤ ، ١٨٩
(١٤) المرجع نفسه ص ٧٢
(١٥) المرجع نفسه ص ٨٧
(١٦) المرجع نفسه ص ١٨٩
(١٧) المرجع نفسه ص ٧١ ، ٧٧
(١٨) المرجع نفسه ص ٨٧
(١٩) المرجع نفسه ص ٧٧
(٢٠) المرجع نفسه ص ٨٧
(٢١) المرجع نفسه ص ٨٧
(٢٢) المرجع نفسه ص ٦٩ ، ٧١
(٢٣) المرجع نفسه ص ٩٧
(٢٤) المرجع نفسه ص ٧١
(٢٥) المرجع نفسه ص ٧٧
(٢٦) المرجع نفسه ص ١١٤
(٢٧) المرجع نفسه ص ٤٩ ، ٧٢
(٢٨) المرجع نفسه ص ٧٢
(٢٩) المرجع نفسه ص ٦٨
(٣٠) المرجع نفسه ص٦٢
(٣١) المرجع نفسه ص ٧٧ .

غلافيدن [1] نخريدن [2] ، فدويدن [3]

قمرييدن [4] ، قيديدن [5]

كبابيدن [6] ، كبيدن [7] ، كفافيدن [8] ، كفنيدن [9]

لطفيدن [10] نصيبيدن [13]

مربيدن [11] ، معافيدن [12] وطنيدن [14]

(٢) المصادر اليائية — ويصوغونها من الـكلمات والمشتقات العربية بزيادة « الياء المصدرية » في اعجازها ، مثل :

استادي = الاستاذية إفلاسي = الافلاس

أسيرى = الأسر انيقي (= الأناقة) ... الخ

وهي كثيرة في المحاورة ، ولـكنها قليلة جداً في الآداب التاجيكية ، فقد استعمل كمال الخجندي: « بيصبرى »[15]، و«صيقلى »[16]، و « طفلى »[17] مرةً ؛ و « بيقرارى»[18]

---

(١) منتخبات سودا ص ٨٧ . (٢) المرجع المذكور ص ٩٤

(٣) المرجع نفسه ص ١١٣ . (٤) المرجع نفسه ص ٧٧

(٥) « « « ٦٧ ، ٦٨ (٦) « « « ١١٤

(٧) « « « ١١١ ، ١٩٠ (٨) « « « ٨٧ ، ١٩٠

(٩) « « « ٦٧ ، ١٩١ (١٠) « « « ٧١

(١١) « « « ١١٤ ، ١٩١ (١٢) « « « ٨٧ ، ١٩١

(١٣) « « « ٧٧

(١٤) « « « ٦٧ هذا — وقد استعمل شاهين « شميدن » لاحظ أشعار منتخب شاهين ص ٣٨١ ، ووضع « قيأستن » ؛ أشعار منتخب شاهين ص ١٢٧ .

والمصادر المصنوعة في الفارسية ١٣ لم أظفر ببعضها في غير كتاب « ترجمه سرگذشت حاجي باباى اصفهاني ص XI i ، و ٧٩ و ٨٢ و ٢٢٧ و ٢٩٥ و ٣٣٦ و ٤٢٠

(١٥) أشعار منتخب كمال خجندي ص ١٢٢ (١٦) المرجع المذكور ص ٢٨٦

(١٧) المرجع نفسه ص ٣٠٣ (١٨) « « « ١٧٢ ، ٢٨٤ .

مرتين ، و « صبوري »[1] ثلاث مرات

واستعمل مشفقي : « بولهوسى »[2] ، و « بيطالعى »[3] ، و « بيقصورى »[4] ، و « غلامى »[5] ، و « غمـــازى »[6] ، و « مخمورى »[7] ، و « مدهوشى »[8] ، و « مسكينى »[9] ، و « وفائى »[10] ، مرةً ؛ و « حيرانى »[11] ، و « غريبى »[12] مرتين ؛ و « رعنائى »[13] خمس مرات ، و « عاشقى »[14] سبع مرار

واستعمل شاهين : « خلاصى »[15] ، و « صبورى »[16] ، و « عاجزى »[17] ، و « غريبى »[18] ، مرة ، و « عاشقى »[19] مرتين[20]

[٩]

التنوين

وقد أحصيت أمثلته في التاجيكية ، فبلغت ١١٥ كلمة ؛ هي :

آناً فآناً

---

(١) آشعار منتخب كمال خجندى ص١١٣ ، ١٥٩ ، ٢٠٢

(٢) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ١٧١

(٣) المرجع المذكور ص ١٧٠

(٤) المرجع نفسه ص ١٧١

(٥) المرجع نفسه ص ٣٥

(٦) « « « ٥٤

(٧) « « « ١٥٤

(٨) « « « ١٦٠

(٩) « « « ١٦٤

(١٠) « « « ١٩٨

(١١) « « « ٢٣ ، ٤٦

(١٢) « « « ٢٢٧ ، ٢٣٥

(١٣) « « « ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٤ ، ١١٦

(١٤) « « « ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٣

(١٥) اشعار منتخب شاهين ص ٣٩٢

(١٦) المرجع المذكور ص ١٣٨

(١٧) المرجع نفسه ص ٣٩١

(١٨) المرجع نفسه ص ١٣٠

(١٩) « « « ٤٨ ، ١٦٢

(٢٠) ولاحظ « بى ثباتى » ص ١٠٥ ، و « رعنائى » ص ٤١٢ ، و « ملائى » ص ١٣ و « مولائي » ص ١٣/ المرجع نفسه .

أبداً ، اتفاقاً ، اجباراً ، اجمالاً ، احتياطاً ، احياناً ، اخلاقاً ، اساساً ، أصلا ، اضافتاً (كذا) ، اعتباراً ، اقلاً ، اكثراً ، اولاً

باطناً ، بديهتاً (كذا) ، بعضاً

تاريخاً ، تخميناً ، تدريجاً ، تركيباً ، تصادفاً ، تقريباً، تقريراً ، تكراراً ، عاماً، توكلا.

ثانياً

جبراً ، جمعاً ، جميعاً ، جواباً

حتماً ، حرفاً ، حقيقتاً (كذا) ، حياتاً (كذا)

خفيتاً (كذا) ، خلاصتاً (كذا) داعماً ، دفعتاً (كذا)

ذاتاً رسماً ، روحاً

سابقاً ، سالماً ، سياستاً (كذا) ضمناً

شخصاً ، شرطاً ، شكلاً ، شمالاً طبيعتاً (كذا)

صنعتاً (كذا) ، صودتاً (كذا) ظاهراً

عادتاً (كذا) ، عازيتاً (كذا) ، عمداً ، عملاً ، عموماً ، عيناً

غالباً ، غضباً

فرداً ، فرَضاً ، فرْضاً ، فوراً

قانوناً ، قبلاً ، قِسماً ، قصداً ، قياساً

كاملاً ، كليّتاً (كذا) لفظاً .

ماهيتاً (كذا) ، متحداً ، متصلاً ، متفقاً ، متناسباً ، متوازياً ، متوالياً ، مثلاً ، مجازاً ، مجبوراً ، مختصراً ، مخصوصاً ، مرتباً ، مستقلاً ، مستقيماً ، مضموناً ، مطلقاً ، معناً (كذا) ، مفصلاً ، مقداراً ، مقرّراً ، منتظماً ، منطقاً ، موقتاً

نثراً ، نسبتاً (كذا) ، نقداً ، نقلاً هيئتاً (كذا)

واقعاً ، وجداناً ، وصايتاً (كذا) يساراً ، يقيناً ، يميناً

والمستعمل منها في اللغة الازبكية :

أبدياً ، أساساً ، إسماً ، أصلاً ، اعتباراً ، أولاً

بناء

تاريخاً ، تخميناً ، تدريجاً ، تركيباً ، تقريباً ، تقليداً ، تكراراً ، عاماً

جسماً ، جواباً ضمناً .

حرمتاً (كذا) ، حقيقتاً (كذا) طبيعتاً (كذا)

خالصاً ، خصوصاً ظاهراً

خطاباً ، خيالاً عادتاً (كذا) ، عرقاً ، عموماً ، عيناً.

دفعتاً (كذا) فرَضاً ، فكراً

ذاتاً قانوناً ، قصداً ، قطعياً ، قياساً

رسماً ، روحاً لطفاً ، لفظاً

شخصاً ، شرعاً ، شكلاً

مثلاً ، مجازاً ، مجبوراً ، مضموناً ، معناً (كذا) ، مفهوماً ، منطقاً

نسبتاً (كذا) ، نظراً ، نقلاً واقعاً ، وجداناً .

والغريب تنوين بعض الكلمات التاجيكية ؛ مثـل : روياً ، زوراً ، غوناً ولكن التنوين قليل في الأدب ؛ فقد ورد « خصوصاً » في — التمثيل الرابع — من ديوان (تحفه دوستان) [1] للشاعر شاهين

واستعمل مشفقى « قطعاً » [2] مرة واحدة كذلك

وجاء لفظ « قطعاً » أيضاً في شعر كمال الخجندي [3] للرسالة تكملة

(١) اشعار منتخب شاهين ص ٣٥

(٢) منتخبات عبد الرحمن مشفقي ص ٩١

(٣) اشعار منتخب كمال خجندي ص ١٩٥

المنطق والرياضيات

بقلم الدكتور ياسين خليل

(٢) تتمة

(أ) قاعدة الدراسات المنطقية

٢٦ — تتألف قضايا المنطق والرياضيات من ثوابت ومتغيرات ، ومن الأمثلة على الثوابت الرياضية المعروفة العدد ١ ، ٢ ، ٣ .. الخ + وهكذا أما المتغيرات فيرمز اليها عادة بحروف لغوية ولكي نتعرف على الثوابت يجدر بنا الآن أن نستعرض بعض الأمثلة من الرياضيات والمنطق

المثال الأول

اذا ا / ب و ب / حـ فمن الضروري أن يكون ا / حـ »

يتكون هذا المثال الرياضي من العناصر الآتية :

ا) من متغيرات هي ا ، ب ، حـ

ب) من محمول أو علاقة رياضية ذات موضوعين هي "/" حيث تشير الى القسمة

حـ) من علاقة أو رابطة العطف بين العبارتين ا / ب و ب / حـ التي نشير اليها بالرمز « ٨ »

ء) من رابطة الالزام التي تدل عليها العبارة اذا ... فمن الضروري ... التي نشير اليها بالرمز ——>

وبذلك نحصل الآن على الشكل المنطقي الآتي : —

(ا / ب ∧ ب / حـ) ——> ا / حـ

كما يمكن أن نضع رمزاً للقسمة ولكننا نحتفظ بهذا الرمز لأن القسمة علاقة رياضية

ولكن هذه الصيغة ليست كاملة لسبب بسيط هو أن القول في المتغيرات يجب أن يكون كلياً ، لأن الشكل المنطقي أو الصيغة صحيحة لكل ا وكل ب وكل حـ وهذا يعني :

(ا) (ب) (حـ) ((ا / ب ∧ ب / حـ) ——> ا / حـ)

والرموز (ا) (ب) (حـ) تشير الى كل ا ، كل ب ، كل حـ على التوالي

٢٧ — المثال الثاني

من المعروف في المنطق القديم ان مبدأ الثالث المرفوع Tertium — non datur يكون معياراً للمنطق ذي القيمتين ، لأنه ينص « ان القضية أما أن تكون صادقة أو كاذبة ولاوسط بينهما »

نلاحظ في هذا المبدأ المنطقي العناصر المنطقية الآتية : —

ا) القضية التي نرمز لها بالرمز ق

ب) رابطة البدل (او) ونرمز لها بالرمز ٧

حـ) النفي ونرمز له بالرمز —

وبذلك يمكننا الآن وضع هذا المبدأ بالصيغة الآتية :

(ق ٧ — ق) أي اما القضية ق او ليس ق

٢٨ — كما نستطيع ان نعطي أمثلة أخرى لكشف دور الثوابت ، ولكننا نكتفي بهذا القدر ونعطي الآن قائمة بهذه الثوابت المنطقية بغية تحديد معانيها

١) النفي « ليس » Negation « — »

٢) العطف « و » Conjunction « ∧ »

٣) البدل « او » Alternative « ٧ » .

٤) الالزام « اذا .. فان » Implication « ——> »

٥) المساواة « اذا وفقط اذا » Equivalence « <——> »

٦) الذاتية « Identity » « = »

كما نضيف الى هذه المجموعة أسوار القضايا في الكل والبعض Quantifications of Propositions

٧) كل ا For every (ا)

٨) بعض ا There is ا (ا E)

٢٩ — يتحدد النفي بانه يقلب قيمة القضية التي يدخل عليها ، فاذا كانت القضية صادقة أصبحت بفضل النفي كاذبة ، واذا كانت كاذبة أصبحت صادقة وإذا رمزنا الآن إلى قيمة الصدق بالرمز « ص » وللكذب بالرمز « ك » ، فاننا نستطيع أن نضع الآن جدول القيم للنفي

ں	— ں
ص	ك
ك	ص

وبهذا الجدول تتحدد قيمة ودور النفي في المنطق ويدعى هذا الجدول وغيره من الجداول التي تحدد قيمة ودور الثوابت أو الروابط المنطقية بجدول القيم [١]

٣٠ — أما رابطة العطف فيمكن تحديد دورها المنطقي بالكلمات الآتية : تكون القضية المركبة التي تتألف من قضيتين بينهما رابطة العطف صادقة في حالة واحدة فقط

(١) أما الترجمة الحرفية فهي « جدول الصدق » ولكننا نفضل عبارة « جدول القيم » لأن الجدول يحتوي على الصدق والكذب معاً ، ويبين علاقتها تبعاً للرابطة المنطقية

وذلك عند صدق القضايا البسيطة ، ولـكنها تـكون كاذبة في الحالات الأخرى وعلى هذا الأساس يكون جدول القيم لرابطة العطف كما يأتي :

ں	ل	ں ∧ ل
ص	ص	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ك
ك	ك	ك

وبعبـارة أخرى تـكون القضية (ں ∧ ل) صادقـة إذا صدقت كل من ں و ل معاً ، وكاذبة إذا صدقت الأولى وكذبت الثانية او كذبت الأولى وصدقت الثانية أو كذبت الأولى والثانية معاً

ومن الأمثلة الرياضية والمنطقية لهذه الرابطة ما يأتي :

١ — سقراط فيلسوف وسقراط حكيم : القضية الأولى والثانية صادقة

٢ — سقراط فيلسوف روماني وسقراط حكيم : الأولى كاذبة والثانيـــة صادقة والقضية بأجمعها كاذبة

٣ — سقراط فيلسوف روماني وسقراط جاهل: الأولى كاذبة والثانية كاذبة والنتيجة ان القضية بأجمعها كاذبة

٤ — ومن الأمثلة الرياضية :

(٢ + ٢ = ٤) و (٢ × ٢ = ٤) (ص ∧ ص) = ص

(٤ + ٢ = ٥) و (٢ × ٢ = ٤) (ك ∧ ص) = ك .

(٤ + ٢ = ٥) و (٢ × ٢ = ٥) (ك ∧ ك) = ك

٣١ — أما رابطة البدل فيمكن تحديد وظيفتها المنطقية بالطريقة التي فعلناها مع رابطة

العطف : تكون القضية المركبة (ں ٧ ل) صـــادقة اذا صدقت كل من ں و ل معاً أو كذبت احداها ، وتكون كاذبة في حالة واحدة اذا كذبت ں و ل معاً وتبعاً لهـذا التحديد يكون جدول القيم كما يأتي :

ں	ل	ں ٧ ل
ص	ص	ص
ص	ك	ص
ك	ص	ص
ك	ك	ك

ومن الأمثلة على هذه الرابطة ما يأتي :

١ — رسل فيلسوف أو رسل رياضي (ص ٧ ص) = ص .

٢ — رسل فيلسوف أو رسل مسيحي (ص ٧ ك) = ص .

٣ — أرسطو روماني أو أرسطو يوناني (ك ٧ ص) = ص

٤ — أرسطو روماني أو أرسطو مصري (ك ٧ ك) = ك

ولنا في الرياضيات أمثلة كثيرة على هذه الرابطة :

٥ — (٢ × ٢ = ٤) أو (٢ × ٢ = ٤) (ص ٧ ص) = ص

٦ — ($٢^٢$ = ٤) أو ($٢^٢$ = ٥) (ص ٧ ك) = ص

٧ — ($٢^٢$ = ٥) أو ($٢^٢$ = ٦) (ك ٧ ك) = ك

٣٢ — ورابطة الالزام ضرورية في جميع الدراسات المنطقية ، ويمكن تحديد مفهومها ودورها المنطقي بالكلمات الآتية : تكون القضية (ں ——> ل) كاذبة في حالة واحدة فقط وذلك اذا صدقت الأولى وكذبت الثانية ، ولكنها تكون صادقة في جميع الحالات الأخرى وجدول القيم لهذه العلاقة يبين هذا التحديد بوضوح

ق	ل	ق ——> ل
ص	ص	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ص
ك	ك	ص

ومن الأمثلة على هذه الرابطة ما يأتي : —

١ — إذا كل إنسان فان فأن سقراط فان (ص ——> ص) = ص

٢ — اذا كل إنسانأوروبي فأن رسل أوروبي (ك ——> ص) = ص

٣ — إذا سقراط رومانيفان سقراط مولود في ايطاليا (ك ——> ك) = ص

ومن الأمثلة الرياضية ما يأتي : —

٤ — اذا كانت (٤ > ٣) فان (٣ < ٤) (ص ——> ص) = ص

٥ — اذا كانت (٢ = — ٢) فان (٢^٢ = (—٢)^٢) (ك ——> ص) = ص

٦ — اذا كانت (٣ = ٢ + ٢) فان (٢ + ٢ = ٣) (ك ——> ك) = ص

٢٣ — أما رابطة أو علاقة المساواة فيمكن تحديدها على الوجه الآتي : تكون القضية (ق <——> ل) صادقة عنـد صدق كل من ق و ل معاً أو عند كذبهما معاً اما في الحالات الأخرى وعند ما تـكون إحدى القضيتين كاذبة ، فان القضية (ق <——> ل) تـكون كاذبة كذلك . وبناء على ذلك يكون جدول القيم كما يأتي : —

ق	ل	ق <——> ل
ص	ص	ص
ص	ك	ك
ك	ص	ك
ك	ك	ص

٣٤ — وبعد هـذا التحليل نحاول الآن ان نبين أنه من الممكن تقليص عدد هـذه الروابط وذلك بتعريف بعضها بالبعض الآخر ومن الممكن كما أظهرت الدراسات المنطقية ان نعرف جميع هـذه الثوابت المنطقية بواسطة ثابت منطقي واحد هو خط شيفر [1] Shefferscher Strich

فاذا افترضنا النفي والعطف كأفكار غير معرفـة ، فاننا يجب ان نعرف بواسطتها بقية الروابط المنطقية

١) ب ٧ ل = — (— ب ٨ — ل)

وبعبارة أخرى ان القضية (ب ٧ ل) هي ليس (ليس ب وليس ل)

٢) ب ——> ل = — (ب ٨ — ل)

وبعبارة أخرى ان القضية (ب ——> ل) هي ليس (ب وليس ل)

٣) ب <——> ل = — [— (ب ٨ ل) ٨ — (— ب ٨ — ل)]

وبعبارة ثانية ان القضية (ب <——> ل) هي ليس [ليس (ب و ل) وليس (ليس ب وليس ل)] وبذلك نكون قد عرفنا هـذه الثوابت المنطقية بالاستعانة بالنفي والعطف فقط ويمكننا ان نختار النفي والبدل لتعريف بقية الثوابت ولكننا فضلنا هذه العملية لما لها من اتصال وثيق بخط شيفر ، فاذا استطعنا ان نعرف النفي والعطف بواسطة خط شيفر فاننا نكون بذلك قد ارجعنا أو اخضعنا جميع هذه الروابط المنطقية إلى رابطة واحدة وهذا هو ما حصل بالفعل ولكي نبين هذه العملية المنطقية بوضوح يجدر بنا أن نحدد خط شيفر أولاً :

---

1) Hermes, H., Einführung in die Mathematische Logik P. 25

ں	ل	ں | ل
ص	ص	ك
ص	ك	ص
ك	ص	ص
ك	ك	ص

يظهر من هذا الجدول أن القضية (ں | ل) كاذبة في حالة واحدة عند صدق كل من ں و ل وصادقة في الحالات الأخرى

وبهذه الرابطة نعرف الآن النفي والعطف كما يأتي :

٤) — ں = ں | ں

٥) ں ∧ ل = (ں | ل) | (ں | ل)

٣٥ — اما الآن فنبحث بعض المتعادلات المنطقية Tautologies وذلك بالاستعانة بجداول القيم أما مفهوم المتعادلة فيمكن تحديده بالتعريف الآتي :

(١٢) تعريف المتعادلة :

المتعادلة صيغة تبقى صادقة مهما كانت قيم الصدق Truth-values التي نعطيها للقضايا الأولية التي تتألف منها الصيغة

ونختار الآن من المتعادلات الصيغ الآتية :

١) (ں ←── ل) = — ں ∨ ل

٢) ں ←── ل ∨ ں

٣) — — ں = ں

٤) ں ∧ ل ←── ں

ولـكي نبين اهميـة تعريف المتمادلة نأخــذ المثال الأول ونعطي للقضايا الأولية مختلف القيم

ق	——>	ل	=	—	ق	٧	ن
ص	ص	ص	ص	ك	ص	ص	ص
ص	ك	ك	ص	ك	ص	ك	ك
ك	ص	ص	ص	ص	ك	ص	ص
ك	ص	ك	ص	ص	ك	ص	ك

ونشرح الآن هذا الجدول : لقد اعطينا إلى ق و ل مختلف القيم وهي في الاعمـدة ١ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ويظهر من العمود الثاني انه بين علاقة الالزام وتحها القيم حسب تحديدنا لهذه العلاقة في الفقرة (٣٢) ، اما العمود الخامس فانه عثل نفي القضية ق ، ومن نفي القضية ق والقضية ل توصلنا إلى صياغــة قيم العمود السابع (انظر الفقرة ٣١) . اما العمود الرابع فانه عثل النتيجة النهائية من العمود الثاني والعمود السابع ونجد أن القيم صادقة في جميع الاحوال وهذا تأكيد للتعريف وبرهان عليه

ولنأخذ الآن مثالا آخر ابسط من المثال الذي قدمناه

ق	——>	ل	٧	ق
ص	ص	ص	ص	ص
ك	ص	ص	ص	ك
ص	ص	ك	ص	ص
ك	ص	ك	ك	ك

يظهر من هذا الجدول ان النتيجة الموجودة في العمود الثاني صادقة في جميع الأحوال الممكنة ، وهذا بالطبع برهان على ان هذه القضية متعادلة

٣٦ — ومن العناصر المنطقية المهمة التي لم نبحثها لحد الآن هي اسوار القضايا ، وتتميز هذه الاسوار بانها عناصر مهمة في بناء حساب دالات القضايا Calculus of Propositional Functions وكما فعلنا بالنسبة للروابط المنطقية نستطيع كذلك ان نعرف سور قضية بسور آخر فلدينا الآن سور القضية الكلية وسور القضية الجزئية ، وعلى هذا الاساس يمكن تعريف الكلية بالجزئية وبالعكس

١) (ا) H ا = — [(ا E) — H ا] حيث يرمز H إلى محمول القضية

٢) (ا E) H ا = — [(ا) — H ا]

وعلينا ان نختار السور الاولي لنعرف الآخر ومن الجدير بالذكر ان مثل هذا الاختيار منوط بالمنطقي وبالنظرية المنطقية

(ب) مدارس المنطق الرياضي :

٣٧ — كان من اهداف الفلاسفة والمناطقة وعلماء الرياضيات كشف طبيعة القضايا الرياضية ومعرفة الأسس التي تقوم عليها الرياضيات وكانت معظم هذه الدراسات ذات طبيعة فلسفية بحتة ، ولم يتمكن احد منهم ان يدعم ادعاءه أو أقواله باسس علمية ولكن فريجه كان له السبق في بحث أسس الرياضيات ودعم مبادئه بصيغ منطقية ورياضية دقيقة

وظهرت في هذا القرن عدة مدارس في فلسفة الرياضيات نذكر اهمها واكثرها انتشاراً وتأثيراً ، وهي :

١) المدرسة المنطقية Logistics ومن مؤسسيها جوتلوب فريجه ، برتراند رسل والفريد نورت هوايهد

٢) المدرسة الشكلية Formalism ومن مؤسسيها دافيد هلبرت

٣) المدرسة الحدسية Intuitionism ومن مؤسسيها جوزيف برور J. Brouwer وهايتنج A. Heyting .

المدرسة المنطقية :

٣٨ — ليس من الممكن في هذه الرسالة الصغيرة ان نوفي المدرسة المنطقية حقها في بيان اصولها وافكارها المنطقية والرياضية ، خاصة وان لهذه المدرسة تراكيب رمزية معقدة تستعملها في بناء المنطق الرياضي وإخضاع الرياضيات إلى المنطق وكل ما نستطيع عمله هو أن نقدم الخطوط البارزة في النظرية كما نذكر من الاشياء ما نراه ضرورياً ومتجانساً مع هدف هذه الرسالة

٣٩ — يعرف رسل الرياضة البحتة بقوله : « الرياضة البحتة هي فئة جميع القضايا ذات الشكل« ں تستلزم ل » حيث تكون ں و ل قضايا تحتوي على متغير واحد أو أكثر كما تكون المتغيرات نفسها في القضيتين ، ولا تحتوي ں و ل أي ثوابت ما عدا الثوابت المنطقية والثوابت المنطقية كلها افكار يمكن تعريفها بواسطة الحدود الآتية : الالزام ، علاقة الحد بفئة هو عضو فيها ، وفكرة «بحيث» Such That ، وفكرة العلاقة وغير هذه الافكار التي تكون متضمنة في الفكرة العامة للقضايا التي لها الصورة (أو الشكل) المذكور » (١)

يتضح من هذا التعريف هدف المدرسة المنطقية في إخضاع قضايا الرياضيات إلى افكار وقضايا منطقية ولكي يتم هذا البرنامج يتوسل برتراندرسل بوضع الأسس العامة والاساسية المنطق الرياضي

٤٠ — يتألف المنطق الرياضي لهذه المدرسة من اربعة فروع مهمة هي :

١ ـ حساب القضايا Calculus of Propositions

٢ ـ حساب دالات القضايا Calculus of Propositional Functions

٣ ـ حساب الفئات Calculus of Classes

---

1) Russell, B., The principles of Mathematics P. 3

٤ ـ حساب العلاقات Calculu of Relations

ولكل حساب من هذه الفروع مقوماته وافكاره المنطقية الخاصة به فيحتاج حساب القضايا إلى افكار أولية غير معرفة وإلى صيغ منطقية لا تفتقر إلى برهان . والغاية التي يتوخاها رسل من بحث حساب القضايا تتجلى في الحقيقة المنطقية ان النظرية الاستدلالية تبدأ من هذا الحساب لاشتقاق الرياضة البحتة من أسس منطقية [١]

وللنظرية الاستدلالية افكار أولية ، وهي في حساب القضايا ثلاث : القضية ، النفي والبدل ، وبواسطة النفي والبدل نعرف جميع الثوابت المنطقية (الروابط المنطقية) عدا اسوار القضية التي تدل على الكل أو على الجزء وبناء على هذا الاعتبار يمكن تعريف العطف والالزام بالاستعانة بالنفي والبدل كما يأتي :

ق ∧ ل = — (— ق v — ل) [٢]

ق ——< ل = — ق v ل [٣]

كما يمكن تعريف علاقة المساواة بالالزام والعطف

ق <——> ل = (ق ——< ل) ∧ (ل ——< ق) [٤]

اما البديهيات التي يختارها رسل لحساب القضايا فهي كما يأتي [٥] :

١ ـ ق v ق ——< ق

٢ ـ ل ——< ق v ل

٣ ـ ق v ل —— ل v ق

---

1) Russell æ Whitehead,, Principia Mathematica P. 90

2) Principia Mathematiea P. 12

3) Ibid.

4) Ibid.

5) Ibid. P. 13

٤ ـ ں ٧ (ل ٧ م) ——> ل ٧ (ں ٧ م)

٥ ـ (ل ——> م) ——> [(ں ٧ ل) ——> (ں ٧ م)]

والقوانين الاستنتاجية التي يستخدمها رسل في البرهنة على المبرهنات هي على نوعين :

ا ـ قانون التعويض Rule of Substitution إذا حصـــل التعويض في متعادلة فان الصيغة الناتجة تكون متعادلة أيضاً

وهذا القانون يسمح لنا ان نستنتج صيغة جديدة من صيغة أو مقدمة افترضت أولاً ومن الأمثلة على اهمية هذا القانون ما يأتي :

لنأخذ أولاً المتعادلة ل ——> ں ٧ ل

ثم نستعيض عن ل بالمتعادلة م ٧ — م وهو قانون الثالث المرفوع ، فينتج من ذلك المتعادلة الآتية :

(م ٧ — م) ——> ں ٧ (م ٧ — م)

ب ـ قانون الشرط المنطقي Modus Ponens إذا كانت القضية ں صادقة والقضية (ں ——> ل) صادقة فمن الضروري ان تكون القضية ل صادقة أيضاً

٤١ — وتختلف القضايا عن دالات القضايا التي تؤلف منطق دالات القضايا من حيث ان الاولى تتميز بكونها اما صادقــة أو كاذبة اما بالنسبة لدالات القضايا فالأمر يختلف إذ لا يمكن ان نقول فيها إذا كانت العبارة « ا انسان » صادقة أو كاذبة اللهم إلا اذا عينا قيمة ا بان نقول « سقراط انسان » فعندئذ نحصل على قضية وعلى هذا الاساس يمكن تعريف دالة القضية كما يأتي :

(١٣) تعريف دالة القضية :

دالة القضية عبارة تحتوي على متغير واحد أو أكثر ، بحيث تصبح هذه

العبارة قضية في حالة تعيين قيم لهذه المتغيرات [١]

وبالاضافة الى ذلك نجد أن منطق دالات القضايا بحاجة إلى اسوار تدل على الكل أو على الجزء وهذا هو الذي هدى رسل إلى ان يضيف إلى مجموعة بديهياته في كتابه اصول الرياضيات بديهيات أخرى هي :

(ا) H ا ——> H ب[٢] [اذا كانت H مقولة على كل ا ، فانها مقولة على ب وبعبارة أخرى : ما هو مقول على الكل فانه مقول على أي شي]

H أ ——> (E أ) H ب[٣] [إذا كانت H مقولة على ا ، فانها مقولة على ب على الاقل وبعبارة أخرى : ما هو مقول على واحد فانه مقول على البعض]

٤٢ — اما منطق الفئات فمهم في إخضاع علم الحساب للمنطق فهو يكون بذلك احد الاجزاء الرئيسية في فلسفة الرياضيات ويعرف رسل الفئة مستعيناً بدالة القضية ولتوضيح ذلك نأخذ الدالة الآتية « ا انسان » حيث يوجد متغير واحد هو ا يمكننا الآن ان نستعيض عن ا باشخاص كثيرين مثل ارسطو ، سقراط ، كارناب ، رسل ، أحمد ، عبد الله ، وهكذا وكل واحد من هذه الأسماء يعطينا في الاخير قضية صادقة فتكون مجموعة الاشياء التي تحقق دالة القضية هي الفئة وعلى هذا الاساس يمكن تعريف الفئة كما يأتي :

(١٤) تعريف الفئة :

الفئة هي كل الاشياء التي ترضي (تحقق) دالة قضية [٤] ، وعلى اساس هذا التعريف تتعين الفئة بدالة قضية ولكن دالات القضايا تختلف من حيث الترتيب فهناك دالات

---

1) Russell, B., Introduction to Mathematieal Philosophy P. 155-156

2) Principia Mathematica P. 19

3) Ibid.

4) Ibid., 23

قضايا فيها المحمول يحمل على افراد ، بينما يمكن ان يحمل المحمول على محمولات وهكذا وبناء على ذلك تختلف الفئات كذلك والنظرية التي يقدمها رسل في هذا المجال تسمى نظرية الانماط المنطقية Logical Types ولهذه النظرية اهمية كبيرة في حل المتناقضات المنطقية والرياضية وتتصل بنظرية الفئات بديهية يقدمها رسل لاستنتاج حقائق منطقية مهمة هي بديهية الاخضاع Axiom of Reducibility التي تنص :

انه لكل دالة مهما اختلف ترتيبها ، توجد لها دالة حملية تساويها صورياً [1]

ويتميز منطق العلاقات بأنه أهم ما موجود في المنطق الرياضي في حالة اخضاع الرياضيات الى أفكار وأصول منطقية ولا تسعنا هذه الرسالة أن نبحث هذا الموضوع تفصيلاً ، ولكننا نذكر من هذه العلاقات المهمة في نظرية الفئات علاقة العضوية في فئة وعلاقة الذاتية ويمكن تعريف الذاتية كما يأتي :—

« ا هي ذات أو نفس ب » تعني ان جميع الصفات التي تنتمي أو تتصف بها ا تنتمي الى ب كذلك :

ا = ب = (H ا H <—— ب H [2]

٤٣ — أما بالنسبة للبديهيات الأخرى التي تؤلف نظام البديهيات في كتاب أصول الرياضيات فهي بديهية اللانهاية وبديهية التعدد

بديهية اللانهاية Axiom of Infinity

اذا كان ا عدد أصلي استقرائي Inductive Cardinal Number فان العدد الذي يتبعه موجود [3]

بديهية التعدد Multiplicative Axiom

لكل فئة تتألف من فئات لا تكون واحدة منها فئة فارغة Null-Class توجد فئة واحدة على الأقل لها حد واحد مشترك مع كل فئة من الفئات المذكورة [4]

1) Ibid., 56 2) Principia Mathematica P, 57

3) Introduction To Mathematical Philosophy P 131

4) Ibid:, 122

هذه هي البديهيات الرئيسة في كتاب أصول الرياضيات والتي تتوزع في منطق القضايا ودالات القضايا بالاضافة الى بديهيات الرياضيات في اللانهاية والتعدد وبديهية الاخضاع التي تتصل مباشرة بنظرية الأنماط المنطقية والفئات

المدرسة الشكلية

٤٤ - تختلف المدرسة الشكلية عن المدرسة المنطقية من نواح مختلفة وبصورة خاصة من حيث المبدأ والهدف والبرنامج فترفض المدرسة الشكلية بقيادة الرياضي داڤيد هلبرت فلسفة المدرسة المنطقية القائمة على أساس امكانية اخضاع الأفكار والأصول الرياضية إلى المنطق وتنظر هذه المدرسة الى الرياضيات على أساس انها علم تراكيب الأشياء فعالم الرياضيات يقوم بدراسة صفات الأشياء ليستطيع بعد ذلك وضع نظام صوري مؤلف من رموز فقط ومن العلاقات التي تربط الرموز المختلفة تتكون البديهيات والقوانين الاستنتاجية والمبرهنات فالرياضي لا يهتم بالأفكار بقدر اهتمامه بالرموز وعلاقاتها ، وهو يدرس الاعداد الطبيعية ليتعرف على خصائصها الصورية وما عليه إلا أن يعبر عن هذه الخصائص الصورية بتراكيب شكلية تكون على هيئة نظام رياضي

٤٥ — يهدف المدرسة الشكلية في برنامجها الى تخليص الرياضيات من المتناقضات وذلك بالبرهان على الأنظمة الرياضية بأنها خالية من التناقض ويمكن تحقيق هذا الهدف إذا وضعنا النظام الرمزي للرياضيات والمنطق جنباً إلى جنب ، وذلك ببناء نظام صوري يحتوي على الأفكار الرياضية والثوابت المنطقية

يبدأ هذا النظام بالنظرية الاستدلالية فيضع داڤيد هلبرت بديهيات حساب القضايا أولاً [١]

---

(١) يذكر هذا النظام M. Black في كتابه طبيعة الرياضيات The nature of mathematics عند مناقشته للمدرسة الشكلية (ص ١٦٢) وقد أخذ هذا النظام عن رسالة علمية لهلبرت هي Die Grundlagen der Mathematik

١ — بديهيات الالزام

١ — ق ——< (ل ——< ق)

٢ — (ق ——< (ق ——< ل)) ——< (ق ——< ل)

٣ — (ق ——< ل) ——< ((ل ——< م) ——< (ق ——< م)).

٤ — (ق ——< ل) ——< ((م ——< ق) ——< (م ——< ل))

٢ — بديهيات البدل والعطف

١ — ق ٨ ل ——< ق

٢ — ق ٨ ل ——< ل

٣ — ق ——< (ل ——< ق ٨ ل)

٤ — ق ——< ق ٧ ل

٥ — ل ——< ق ٧ ل

٦ — ((ق ——< م) ٨ (ل ——< م)) ——< ((ق٧ل) ——< م).

٣ — بديهيات النفي

١ — (ق ——< ل ٨ — ل) ——< — ل

٢ — — — ق ——< ق

أما قوانين الاستنتاج في هذا الحساب فهي قانون التعويض وقانون الاستنتاج القياسي.

٤٦ — أما البديهيات المعروفة في حساب دالاتَ القضايا والتي ذكرناها في المدرسة المنطقية ، فليس لها وجود بنفس الصيغة في المدرسة الشكلية ، لأن هلبرت يستعمل هذا الرمز (٤) ليتحاشى بذلك ذكر اسوار القضايا التي تدل على الكل أو على الجزء ، وبواسطة هذا الرمز يعرف هلبرت أسوار القضايا كذلك

٤ — بديهية ٤ المنطقية

(٤H) H <—— (ا) H — ١

ومن الممكن أن نضع بدل هذه البديهية البديهيات التي سبق وان ذكرناها في منطق دالات القضايا عند دراستنا لبرنامج المدرسة المنطقية ، ولقد فعل هلبرت ذلك في بحث منطقي آخر [١]

٤٧ — ٥ — بديهيات التعادل (أو الذاتية)

(ا = ا) <—— (ع ا) — ١

اذا كان ا عدد طبيعي Natural number فان ا هو ا

<—— (H (ا) <—— (ب = ا)) <—— (ع ا ∧ ع ب) — ٢

H(ب)))) اذا كانت ا و ب أعداداً ، فان ا هي ب إذا كانت H تنتمي إلى ا وتنتمي الى ب

٤٨ — ٦ — بديهيات العدد

١ — (ع ا) <—— (اَ ≠) (اَ تعني العدد الذي يتبع أو يأتي في الدور والترتيب بعد ا] ويمكن قراءة هذه البديهية كما يأتي : —

اذا كان ا عدد فان العدد الذي يتبع ا لايكون صفراً

{ ((بَ) H <—— (ب) H (ب) ∧ $_{(.)}$H }] <—— (ع ا) — ٢
[(ا) H <——

ويسمى هذا المبدأ بمبدأ الاستقراء الرياضي والذي يذكره بيانو في نظريته في الاعداد

---

1) Hilbert, D., & Ackermann, W., Grundzüge der theoretischen Logik P. 60

الطبيعية ، ويمكن وضع هذا المبدأ بالصيغة اللغوية الآتية » أن أي صفة تنتمي الى الصفر والى التابع لكل عدد له الصفة ، تنتمي إلى كل الأعداد

المدرسة الحدسية

٤٩ — تقترن المدرسة الحدسية بفلسفة خاصة ، فهي تختلف عن المدرسة المنطقية والمدرسة الشكلية في نظرها الى طبيعة الرياضيات فتعتبر المدرسة المنطقية والشكلية الرياضيات على أساس أنها علم يتميز بالثبوت وان جميع الأنظمة الرياضية ترجع في الأخير الى الأفكار والمباديء المنطقية كما هو الحال بالنسبة للمدرسة الأولى ، وتخضع هذه الأنظمة أو الرياضيات الى برهان المتانة Proof of Consistency أو عدم التناقض Widerspruchsfreiheit. بالنسبة للمدرسة الشكلية أما المدرسة الحدسية ومؤسسها برور فتؤكد على ديناميكية الرياضيات فلقد اعتقد سابقاً بصدق بعض القضايا الرياضية ، ولكن ذلك الاعتقاد لم يدم إذ سرعان ما أثبت خطأها

والبرنامج الذي اقترحه برور يؤكد على دور أهمية بناء الرياضيات على أسس عقلية أو حدسية دون أن نعرف طبيعة الأشياء سواء كانت موجودة مستقلة عن معرفتنا لها أم لا.

وأهم ما تمتاز به فلسفة المدرسة الحدسية في الرياضيات انها :

١ — ترفض مبدأ الثالث المرفوع وتعتبره ليس ضرورياً في الرياضيات والمنطق مادمنا لا نبحث عن الأفكار الرياضية لنعرف فيما اذا كان لها وجوداً أم لا

٢ — وتعتبر الأفكار الرياضية والطرق البرهانية تعتمد على الحدس الذي يتصف به الرياضي وهذا يعني أن مصدر الرياضيات ليس المنطق بل العقل

٥٠ — واستطاع هايتنج من بناء النظام الشكلي للمنطق الحدسي بشكل لا يسمح فيه بظهور مبدأ الثالث المرفوع كمبدأ من المباديء المنطقية والمنطق الذي يريد هايتنج بنائه يتصل بالرياضيات ، لأنه يجد في الرياضيات تطبيقاً مباشراً ، ولا يهمه فيما إذا كان لهذا

المنطق تطبيقاً خارج المعرفة الرياضية [١]

أما النظام الشكلي لمنطق القضايا الحدسي فهو كما يأتي : —

١ — ں ——> (ں ∧ ں)

٢ — (ں ∧ ل) ——> (ل ∧ ں)

٣ — (ں ——> ل) ——> ((ں ∧ م) ——> (ل ∧ م))

٤ — ((ں ——> ل) ∧ (ل ——> م)) ——> (ل ——> م)

٥ — ل ——> (ں ——> ل)

٦ — (ں ∧ (ں ——> ل)) ——> ل

٧ — ں ——> (ں ∨ ل)

٨ — (ں ∨ ل) ——> (ل ∨ ں)

٩ — ((ں ——> م) ∧ (ل ——> م)) ——> ((ں ∨ ل) ——> م)

١٠ — — ں ——> (ں ——> ل)

١١ — ((ں ——> ل) ∧ (ں ——> — ل)) ——> — ں

والقوانين الاستدلالية ألمستخدمـة في هذا المنطق هي القوانين المنطقية المعروفة في المدرسة المنطقية وهي قانون التعويض وقانون الاستنتاج

٥١ — أما بالنسبة للبديهيات التي تؤلف النظرية الحدسية في منطق دالات القضايا ، فان هايتنج يشير الى ان منطق دالات القضايا يمكن الحصول عليه بواسطة الرموز والبديهيات والقوانين المعروفة في حساب دالات القضايا لهلبرت وا كرمان مضافاً اليها بديهيات منطق القضايا الحدسي [٢]

---

1) Heyting, H , Intuitionism "An Introduction" p 101.

1) Heyting, A., Intuitionism, "An Introduction" p. 103.

ولكي نتعرف على البديهيات والقوانين الاستدلالية لهذا المنطق يجب أن نقدم أولاً بعض التعاريف الضرورية للتعابير التي ترد في هذه القوانين

(١٥) تعريف المتغير الحر Freie Variable

المتغير الحر هو متغير [رمز لا يدل على معنى ثابت] لا يظهر في مجال سور القضية الكلية أو الجزئية [١]

(١٦) تعريف المتغير المقيد Gebundene Variable

المتغير المقيد هو متغير يظهر في مجال سور القضية الكلية أو الجزئية [٢]

ومن الأمثلة على المتغير الحر قولنا مثلا « سقراط فيلسوف » وتحويلنا هذه القضية الى الشكل H ا حيث لا يرتبط ا بشيء معين ، فيمكن أن نستعيض عنه بأية لفظة لغوية أما المتغير المقيد فيظهر في قولنا « كل انسان فان » التي لها الشكل (ا) H ا حيث يرتبط المتغير ا بالمجال الذي يشير اليه أو ينطبق عليه « كل » وكذلك الأمر بالنسبة الى بعض (E ا) H ا حيث يظهر ا مقيداً بمجال البعض

٥٢ — أما القوانين والبديهيات لمنطق دالات القضايا فهي [٣]

١ — بديهيات دالات القضايا

ا — (ا) H ا ——> H ب

ب — H ا ——> (E ب) H ب

٢ — القوانين الاستدلالية

ا — قانون الاستنتاج Modus Ponens

---

1) Hilbert & Ackermann. Grundzüge der theoretisthen Logik p 52.

2) Ibid

3) Ibid., p 60-61.

ں ——> ل

ں

أذن ل

ب — قوانين التعويض

١ — يمكن الاستعاضة عن متغير قضايا Aussagenvariable بأية صيغة — شرط أن يحدث هذا التعويض في جميع الأماكن التي يوجد فيها هذا المتغير

٢ — يمكن الاستعاضة عن متغير حر Freie Gegenstandsvariable بمتغير حر آخر شرط أن يحدث هذا التعويض في جميع الأماكن التي يوجد فيها هذا المتغير

ح — قانون الاستبدال للمتغيرات المقيدة Gebundene Variable يمكن استبدال متغير مقيد في صيغة بمتغير مقيد آخر ، شرط أن يحدث ذلك في جميع الأماكن التي يوجد فيها ، وان تكون الصيغة الناتجة صالحة

ى — القوانين الخاصة بـ « كل » و « بعض »

١ —　A ——> B ا

A ——> (ا) B ا

ويشترط في هذا القانون ان يحتوي الرمز الذي يأتي بعد علامة الالزام في الصيغة العليا على متغير حر هو ا ، بينما لا يوجد ا في A

٢ —　B ا ——> A

(E ا) B ا ——> A

ويشترط في هذا القانون ما اشترط في القانون الأول ونجد في القانونين ان توفر الشروط يؤدي الى اشتقاق الصيغة السفلى من الصيغة العليا واذا لم تتوفر الشروط فلا يمكن حدوث ذلك كما يظهر من هذه القوانين ان بعضها ذكر في حساب القضايا للمدرسة

المنطقية كقانون الاستنتاج والقانون الأول من قوانين التعويض

٣ — فلسفة الرياضيات :

٥٣ — لكل مدرسة من المدارس المذكورة في المنطق الرياضي فلسفة تقوم عليها وتستند اليها في صياغة برنامجها العام في المنطق والرياضيات . كما ظهرت انتقادات كثيرة توجهها مدرسة إلى أخرى وغايتنا الآن ان نبين الأسس أو الفلسفة التي تعتمد عليها هذه المدارس والاختلافات الناتجة باختلاف الفلسفات

تؤكد المدرسة المنطقية بقيادة فريجه ، رسل وهوايتهد على امكانية وتحقيق اشتقاق الرياضيات البحتة من افكار وقضايا منطقية ولتحقيق هذا الغرض تضع هذه المدرسة النظريةالاستدلالية المنطقية التي تعتمد عليها الانظمة الرياضية المختلفة ، وتعمل على تعريف الافكار الرياضية بافكار منطقية لكي تكون هذه الافكار القاعدة المنطقية للنظرية الرياضية فاذا استطعنا ان نخضع الرياضيات البحتة إلى نظرية الاعداد الطبيعية ثم تعريف وارجاع افكار هذه النظرية ومبادئها إلى افكار وقضايا منطقية ، تحقق بذلك الغرض المطلوب وهو اشتقاق الرياضيات البحتة من هذه الافكار والقضايا المنطقية ولقد تمكن الرياضي المعروف بيانو من ارجاع الرياضيات البحتة إلى نظرية الاعداد الطبيعية ، فما على المدرسة المنطقية اذن إلا أن ترجع افكار ومبادىء هذه النظرية إلى المنطق وبين بيانو انه بالامكان اشتقاق أو بناء نظرية الاعداد الطبيعية من ثلاث افكار أولية وخمس بديهيات هي :

ا) الافكار الاولية وهي

الصفر ، التابع ، العدد

ب) البديهيات هي :

١ ـ ع 3 [الصفر عدد]

٢ - (ا) [ا ∈ ع ——> اَ ∈ ع] (التابع لاي عدد هو عدد)

٣ - (ا) [ا ∈ ع ——> اَ ≠   ] (الصفر ليس تابع لاي عدد)

٤ - (ا) (ب) [ا ∈ ع ∧ ب ∈ ع ∧ اَ = بَ ——> ا = ب]

(لا يكون لعددين نفس التابع)، ويمكن قراءة هذه البديهية كما يأتي: (كل ا وكل ب ، إذا كان ا عدداً طبيعياً و ب عدداً طبيعياً وكان لهما نفس التابع ، فان ا هو ب)

٥ - (H) [٠ ∈ H ∧ (ا) (ا ∈ ع ∧ ا ∈ H ——> اَ ∈ H) ——> ع ↄ H]

(كل صفة تنتمي إلى الصفر وإلى تابع كل عدد له الصفة ، تنتمي إلى جميع الاعـــداد)

[ع = فئة الاعداد الطبيعية ؛ ∈ = عضو في فئة ا ، ب = متغيرات لاعداد طبيعية ، H = صفة ، ع ↄ H = الصفة H تنتمي إلى جميع الاعداد الطبيعية]

٥٤ — ينتقد رسل [1] الافكار الاولية لهذه النظرية على أساس أنها تفترض معرفتنا سابقاً ما هو العدد وما هو الصفر وما هو التابع ، إذ لم يعرف بيانو هــذه الافكار واعتبرها غير معرفة في نظامه الرياضي وإذا فحصنا النظرية وجـدنا أن افكارها الاولية يمكن تفسيرها باشياء كثيرة مختلفة ، ورغم هذا التفسير تبقى البديهيات صادقة كذلك فاذا اخذنا الصفر على أساس انه « ١٠ » ، فان جميع البديهيات تبقى صادقة بهذا التفسير ؛ وهذا يعني ان نظام بيانو الرياضي لا يهتم بالاشياء الخارجية ، بل انه يركز على برهنة القضايا الحسابية المختلفة ولـكن من المعروف ان الناس يستخدمون الاعداد لاغراض حسـابية في حياتهم اليومية ، فهم يجمعون الاشياء ويعطون لها عدداً معيناً ، وهــذا ما لا تستطيع نظرية بيانو تقديمه فالخطوة الأولى التي يجب ان يتخذها رسل في اخضاع الرياضيات إلى المنطق وجعل القضايا الرياضية ذات نفع في الحياة اليومية ، هي ان يعرف الافكار الاوليــة لنظرية بيانو ، فيبـدأ بتعريف العدد ويجب ان نتذكر ان فريجه كان

1) Introduetion to Mathematical Philosophy p. 7.

أول من طرح هذا السؤال « ما هو العــدد ؟ » على بساط البحث في كتابه أسس علم الحساب ، فناقش الافكار والتعاريف المختلفة وانتقدها ، وتوصل أخيراً إلى تعريف العدد مستعيناً ببعض الافكار المنطقية [١]

ولتعريف العـدد يحتاج فريجه إلى بعض الافكار المنطقيـــة التي يجب تعريفها أولاً مثل المشابهة أو المســاواة العددية Similarity ; Gleichzahlig فاذا اردنا ان نعرف فيما إذا كانت الاشياء الموجودة في فئة A تســاوي الاشياء الموجودة في فئـة B أم لا ، يجب علينا ان نضع اعضاء A جنب أعضاء B بعلاقة واحد ـ واحد ، لمعرفة فيما إذا كانت الفئة A تساوي B عددياً أم لا كما نستخدم العبارة : « الفئة A تساوي الفئة B » ونقصد بها ان الاشياء في الفئة الأولى تساوي عددياً الاشياء في الفئة الثانية وبناءً على ذلك نجـد انفسنا مضطرين إلى تعريف المســاواة العددية يعرف فريجه المساواة العددية كما يأتي : « الفـكرة F تساوي عددياً الفـكرة G » وتعني هذه العبارة ما تعنيه العبارة الآتية توجد علاقـة Q التي تربط الاشياء الموجودة تحت الفـكرة F واحـد بواحـــد مع الاشياء الموجودة تحت G » [٢]

وتعريف رسل للمشابه أو المساواة العددية لا يختلف عن تعريف فريجه بتاتاً ، فهو يقول : « يقال إن فئة تشبه فئة أخرى إذا وجدت علاقة واحد ـ واحد يكون لها ا فئة نطاق Domain بينما تكوـــن الأخرى نطاق عكس [٣] ويمكن تعريف النطاق كما يأتي : لنفرض ان الرمز « لا » يمثل علاقة تربط ا و ب وان ا في الحالة الأولى يمثل فئة مؤلفة من حدود أو اعضاء ، بينما تكـون ب في الحالة الثانية فئة ، فلدينا إذن :

---

1) Grundlagen der Arithmatik

2) Ibid,, p. 85.

3) Introduction to Mathematical Philosophy p. 16.

١ ـ (ا) الا ب

٢ ـ (ب) الا ب

ان ا في الحالة الأولى هو نطاق باعتباره فئة مؤلفة من حدود وترتبط بعلاقة مع شيء اما ب فهي النطاق المعكوس وهي فئة مؤلفة من حدود وترتبط بعلاقة مع ا

وبعد هذه التعريفات المنطقية وتعريف المشابهة بواسطتها يكون بالامكان الآن تعريف العدد لفئة بانه فئة من جميع تلك الفئات الشبيهة به »[1]

٥٦ — وبقي لرسل ان يعرف الآن ما هو الصفر وما هو التابع

الصفر هو فئة من فئات متشابهة لها الفئة الفارغة كعضو وحيد، أو كما يعرفه رسل بالحرف الواحد: الصفر هو فئة عضوها الوحيد هو الفئة الفارغة[2] اما تعريف التابع فيمكن توضيحه كما يأتي: إذا كانت لدينا فئة مؤلفة من حدود، فان التابع سيكون عدد في الفئة المؤلفة من الفئة الأولى مضافاً اليها أي حد لا ينتمي إلى الفئة[3] فاذا كان الرمز ع يمثل العدد، فان التابع لهذا العدد سيكون ع + ١

وبهذه الطريقة استطاع رسل ان يعرف الافكار الاولية لنظرية پيانو بأفكار منطقية، وهذا يعني انه تمكن من اخضاع الرياضيات إلى الافكار المنطقية التي استخدمها في عملية التعريف والتحويل

٥٧ — ومن عرضنا المنطقي للمدرسة المنطقية وجدنا ان رسل يستعين بالبديهيات المنطقية لاخضاع الرياضيات إلى المنطق وسؤالنا الذي لا بد وان يوجه إلى هذه البديهيات هو: هل هذه البديهيات جميعها ذات طبيعة منطقية أم لا ؟

يظهر من النقد الذي وجه إلى نظرية رسل المنطقية ان البديهيات الوجودية

1) Introduction to Mathematical Philosophy p 18

2) Ibid., 23.

3) Ibid.

وهي بديهية الاخضاع واللا نهاية والتعدد تمثل وضعاً شاذاً في نظام Existence Axioms لانها ليست ذات طبيعة منطقية ولكن رسل أدخلها ليتم Principia Mathematica برنامجه في أسس الرياضيات ، ولقد حاول رامزي [1] اصلاح هذه البديهيات مستعيناً بنظرية فتجنشتاين [2] في القضايا المتعادلة

٥٨ – ولقد وجهت انتقادات كثيرة إلى نظرية الانماط المنطقية التي أدخلها رسل للحيلولة دون حدوث المتناقضات وبالتالي لحل المتناقضات المعروفة في المنطق والرياضيات وعلى سبيل المثال نذكر ما اكتشفه رسل في نظرية فريجه المنطقية من تناقض ، فلقد لاحظ رسل انه بالرغم من ان الفئة لا تكون هي احد اعضائها ، فان الاحتمال ممكن بان تحتوي الفئة ذاتها كعضو ما دامت الفئة الكلية Universal Class وهي الفئة التي تضم كل شيء ، فهي إذن عضو في الفئة الكلية ويظهر التناقض اكثر وضوحاً اذا كان لدينا فئة من جميع تلك الفئات التي هي ليست اعضاء في ذاتها ؛ وهذه الفئة يجب ان تكون اما عضو في ذاتها أم لا ، وكل احتمال يتضمن الآخر

لذا يدخل رسل نظرية الانماط المنطقية ليتمكن من اخضاع الرياضيات إلى المنطق بعيداً عن المتناقضات ونظرية الانماط هذه تتألف من شعبتين :

١ ـ الشق الأول وهو البسيط إذ يميز انماط دالات القضايا بالنسبة لنوع حدودها

أ ـ دالة حدودها افراد وهذه هي أول نوع من الدالات

ب ـ دالة حدودها دالات ، وبعبارة أخرى دالة الدالات

جـ ـ ثم دالة الدالات للدالات وهكذا

٢ ـ الشق الثاني ويسمى بالنظرية المتفرعة Branched Theory وهو يأخذ بنظر الاعتبار

---

1) Ramsey, F. P., The Foundations of Mathematics

2) Wittgensteind, L., Tractatus Logico-Philosophicus.

تعريف الدالات وترتيبها تبعاً لذلك

ا ـ الدالات الاولية وهي التي تكون قيمها قضايا بسيطة مترابطة ومحدودة .

ب ـ ثم تعرف الدالة بالاشارة إلى مجموع القضايا البسيطة وهكذا .. ولكن هذه النظرية لا تستطيع ان تخلص المنطق والرياضيات من جميع المتناقضات بالرغم من انها تمثل الحل الوحيد في النظرية المنطقية لابعاد المتناقضات الرياضية المعروفة

٥٩ — اما بالنسبة للمدرسة الشكلية ، فانها تلتزم طريقة أخرى في ابعاد المتناقضات من الانظمة الرياضية وذلك بواسطة برهان الثبوت ، حيث يخطو الفرد خطوة فاخرى ليتثبت فيما إذا كان هناك تناقض وهذه المدرسة فلسفة تبدأ بانجازات هلبرت العلمية في حقل الهندسة حيث وضع هندسة اقليدس على أساس بديهي [١] مستعيناً ببعض الافكار الاولية في الهندسة واصبحت الرياضيات بالنسبة لفلسفة هذه المدرسة مجرد ارتباطات رمزية وتراكيب رياضية ليس لها معنى بتاتاً ، وبعبارة أخرى : ان الرياضيات نظرية شكلية مؤلفة من بديهيات وقضايا يبرهن عليها ، ويجب ان يبرهن على هذه النظرية بانها خالية من التناقض ، والطريقة التي يستعملها هلبرت تتلخص بان يعطي نموذجاً Model للنظرية والنموذج للنظرية البديهية هو نظام اشياء مختارة من نظرية اخرى توفي البديهيات [٢]

٦٠ — وإذا كانت لدينا نظرية مؤلفة من بديهيات منطقية أو رياضية ، فاننا نسأل فيما إذا كانت هذه النظرية خالية من التناقض ، وهل ان نظامها المؤلف من البديهيات كامل أو تام

تكون البديهيات خالية من التناقض إذا كان من المستحيل ان نستنتج القضية

---

1) Hilbert, D., Grundlagen der Geometrie.

2) Kleene, S. C , Inrroducation to Meta-mathematics p. 53

ونقيضها معاً، وبعبارة أخرى لا عكن ان نستنتج ٨٧ـ ٧ من النظام الخالي من التناقض .

ويكون نظام البديهيات تاماً اذا استطعنا ان نشتق منه جميع القضايا الصحيحة

٦١ — واذا كانت النظرية المنطقية مؤلفة من دالات قضايا ، وان دالة القضية كما بينا لا تكون صادقة أو كاذبة إلا إذا اعطينا لمتغيراتها قيمة معينة ، فاننا في هذه الحالة نلجأ إلى التفسير Interpretation وهو عبارة عن عملية اقران قيم (اشياء) بالمتغيرات الموجودة في دالات القضايا وبعبارة أخرى يجب ان عيز أولاً وقبل كل شيء بين :

١ ـ منطق القضايا

٢ ـ منطق دالات القضايا

ولقد برهن كورت جودل على ان حساب الدالات المنطقي تام البديهيات [1] وكان ذلك في سنة ١٩٣٠ ، وفي سنة ١٩٣١ تمكن جودل من اثبات حقيقة منطقية ورياضية مهمة وهي ان حساب دالات القضايا وكل حساب مثله لا يستطيع ان يبرهن على بعض القضايا التي تظهر انها صادقة ، وهذا يعني بطبيعة الحال ان مثل هذه الانظمة غير تامة [2] وبدأت من هنا مرحلة جديدة لان الطريقة التي اتبعها المناطقة والرياضيون في البرهان الشكلي ستترك دائماً قضايا أو صيغاً صحيحة خارجة عن البرهان فاما ان نجد طريقاً آخر لحل هذه الازمة أو أن نستعمل طريقة رياضية أو منطقية أخرى في البرهان بحيث نستطيع بواسطتها ان نبرهن على جميع القضايا الصحيحة ، وعلى القضايا التي سبق عدم البرهان عليها بحيث لا تؤدي إلى تناقض

وفي الوقت الذي بدأ به هلبرت طريقته في برهان الثبوت لتخليص الانظمة المنطقية

1) Gödel' K., Die Vollständigkeit der Axiome des logischen Funktionenkalküls

2) Gödel, K, Über formale unentscheidbare Sätze der Principia Mathematica und verwandter Systeme

والرياضية من التناقض بدأت مرحلة جديدة في الرياضيات ، حيث بدأ المناطقة يعملون على بناء انظمة منطقية أو رياضية تصف أو تتحرى انظمة رياضية أخرى وهذا الفرع من المعرفة هو الرياضة الفوقية Meta-Mathematics

اما المدرسة الحدسية فانها تتخذ موقفاً جديداً من الرياضيات والمنطق مقروناً بفلسفة معينة فعالم الرياضيات يفترض الافكار الاولية للنظرية الرياضية معتمداً على الحدس فقط فيقوم ببناء النظام دون ان يأخذ بنظر الاعتبار ما تشير أو تدل عليه الافكار ، ففي المنطق مثلاً يعتبر اصحاب المدرسة المنطقية والشكلية قانون الثالث المرفوع من القوانين الضرورية وهو في اعتقاد المدرسة الحدسية السبب الاساسي في ظهور المتناقضات لاننا سنبحث عن الوجود وعدمه وعن صدق القضية وكذبها ، لذا ترفض المدرسة الحدسية هذا القانون ولا تدعه يكون بديهية أو مبرهنة في النظام المنطقي ، ولقد رأينا هايتنج يضع منطقه الحدسي بشكل لا يسمح لقانون الثالث المرفوع في الظهور ، ففي النظرية المنطقية وجدنا رسل يضع بديهيته في اللا نهاية على أساس وجود اللا نهاية ولكن الحدسية تناقش مفهوم « موجود » فاذا كان معناه « بنائي » فلا اعتراض على ذلك اما إذا كان مفهوم ميتافيزيقي فان الحدسية لا تأخذه ولا تسلم به [1] وعلى هذا الاساس يرفض برور قانون الثالث المرفوع للفئات اللا نهائية فاذا اخذنا الاعداد الطبيعية كمثال فاننا سنجد دائماً عدداً آخر مضافاً الى العدد السابق ، وهذا يعني إذا كان العدد ع فان ما يتبع هذا العدد ع + ١ موجود اما بالنسبة لبرور فان القضية ليست بهذه البساطة بحيث يعتبر وجود اللا نهاية وهذا مما جعل برور وثايل [2] يعتقدان انه لا يوجد اثبات للاعتقاد بوجود اللا نهاية

---

1) Heyting, A., Intuitionism "An Introduction" p. 2.

2) Kleene, S C., Introduction to Meta-Mathematics p 48

٦٣ — وبالنسبة الى برور تكون الرياضيات نابعة من تفكيرنا فقط ولا توجد فلسفة أو منطق تكون أساساً للرياضيات ، فلا يوجد أمام الرياضي إذن إلا الحدس الذي بواسطته يحصل على الأفكار ويبني المبادئ والاستنتاجات التي تبدو واضحة للعيان ومن رفض قانون الثالث المرفوع ونفي اللانهاية لم يبق للحدسيين إلا أن يأخذوا بنظر الاعتبار الفئات النهائية لأن البرهان على وجود الفئات اللانهاية غير موجود ، وبعبارة أدق تكون القضايا التي تضم فئات أو متواليات لا نهائيـة غير مبرهنة وهذا الموقف للمدرسـة الحدسية سيؤدي في النهاية إلى التخلي عن كثير من فروع الرياضيات التي لا تزال موجودة ومأخوذ بها.

فالمشكلة الأساسية التي لا تزال تعترض هذه المدارس هي المتناقضات وتأسيس الرياضيات على المنطق كما هو الحال بالنسبة للمدرسة المنطقية ، وذلك بوضع بديهيات منطقية وأخرى وجودية وكان اعتراض الشكلية منصباً على ان المدرسة المنطقية لم تفلح في برنامجها في ارجاع الرياضيات الى المنطق ، فاقترحت هي طريقة بواسطتها تبني أنظمة خالية من التناقض ولكن هذه الطريقة بالذات تحتاج نموذج مثل الأعداد الطبيعيـة أو نموذج من أنظمة رياضية أخرى فبدل أن يضع هلبرت بديهيات وجودية نجده ينتقل الى أشياء خارجة عن النظرية ليرى فيما إذا كانت هذه الأشياء تحول البديهيات الى قضايا صادقة أم لا

ان المدرسة الشكلية لا تستطيع ان تبين لنا أهمية الرياضيات في الحياة العملية ، لأنها تبدأ من أفكار غير معرفة ومبادئ تتألف من هذه الأفكار ، فالنظام الرياضي سوف يكون مجرد تركيب فيه رموز لا معنى لها وقضايا أو صيغ لا تدل على معنى بتاتاً [١]

أما بالنسبة للمدرسة الحدسية فإن عدم الأخذ بها واضح ، لأن الحدس لا يمكن أن يؤخذ معياراً لبناء الأنظمة الرياضية والمنطقية كما ان الأخذ بهذه النظرية يؤدي بنا الى التخلي عن فروع كثيرة مهمة في الرياضيات

---

1 Ramsey, F P, The Foundations of Mathematics p. 2.

أما بالنسبة للمدرسة المنطقية فأعتقد انها أكثر هذه المدارس نجاحاً ، وبالأخص بعد أن اختفت بعض الانتقادات التي وجهت اليها بفضل تبسيط نظرية الأنماط المنطقية ومن البحوث المهمة التي تؤيد انالرياضيات مشتقة من المنطق هو بحث يورجنسن [1] الذي أيد ان الرياضيات منطق وان المنطق رياضيات وبمعنى آخر ان الرياضيات هي المنطق وان المنطق أساس لها وإذا كانت قضايا المنطق متعادلات منطقية فان الرياضيات ستكون مؤلفة من قضايا هي متعادلات منطقية كذلك وتتميز المتعادلات بانها صادقة في جميع الأحوال وفي كل احتمال [2]

ياسين خليل

---

1) Jörgensen, J , A. Treatise of Formal Logic.

2) Wittgenstein, L , Tractatus Logico-philosophicus 4 46

محتويات البحث

جدول الرموز

ا ، ب ، حـ ... متغيرات حدود

ق ، ل ، م ... متغيرات قضايا

الرمز	المعنى
H	محمول أو صفة
B ، A	صيغ فيها متغير ، أو فئات
ع	فئة الأعداد الطبيعية
ʹ	التابع
3	علاقة عضو في فئة
لا	علاقة
—	النفي
٨	العطف
٧	البدل
——<	الالزام
<——>	المساواة
=	الذاتية ، علامة التعريف
(E ا)	بعض ا ، أو يوجد ا
(ا)	كل ا

مراجع البحث

Aristotle's Organon — (Translated into English; D W Ross Oxford..

Black, M , — The nature of mathematics; London, 1955.

Carnap, R., — The logical syntax of language; London, 1954

Abriss der Logistik; wien, 1929

Church, A , — Introduction to mathematical logic; vol. 1 Princeton, 1959.

Curry, B H , — Outlines of a formalist philosophy of mathematics; Amsterdam, 1958

Curry, B H., & Feys, R.. — Combinatory logic; Amesterdam, 1258

Frege, G , — Begriffsschrift; Halle, 1879.

Grundlagan der Arithmatik; Breslau, 1884 (Translated into English by J. H Austin, 1953)

Grundgesetze der Arithmetik; Jena, I, 1893: II, 1903.

Gödel, K., — Die Vollständigkeit der Axiome des logischen Funktionenkalküls; Monatsh. Math. Phys. 37; 1930

Über formale unentscheidbare Sätze der Principia Mathematica und verwandter Systeme; I. Monatsh Math Phys 38, 1931

Hermes, H., — Einführung in die mathematische Logik; Münster/Westf 1957

Heyting, A., — Intuitionism "An Introduction"; Amsterdam, 1956.

Hilbert, D , — Grundlagen der Geometrie, Leipzig, 1899

——— & — Grundzüge der theoretischen Logik; 3 Auflage.

Ackermann, W.,	Springer-Verlage, 1949
Hilbert, D,	Die Grundlagen der Mathematik; Abh. aus d math. Sem d. Hamb. Univ. 1928.
Jörgensen, J,	The Development of logical Empiricism; International Encyclopedia of Unified Science, vol II No. 9, Chicago, 994.
Jörgensen, J	A Treatise of formal logic; Three vólumes, Oxford, 1931
Kleene, S C,	Introduction to Meta-mathematics; Amsterdam, 1959.
Lukasiewicz, J,	Aristotle's Syllogistic, Oxford, 1957.
Ramsey, F P.,	The Foundations of Mathematics; London, 1954.
Reichenbach, H.,	Elements of symbolic logic; New York. 1947
Rosser, J B., &	Many-valued Logics, Amsterdam, 1958.
Turquette, A R.,	
Russell, B.,	The principles of mathematics, London, 1956
————	Introduction to Mathematical philosophy; London, 1956
with Whitehead.,	Principia Mathematica; I,II,III, Cambridge, 1957
Scholz H,	Abriss der Geschichte der Logik; Freiburg München, 1959.
Tarski, A.,	Introduction to logic; Oxford, New York, 1956. Oxford, 1956.
Wittgenstein, L,	Tractatus logico-phitosophicus; London, Kegan, 1955.

في تاريخ المشكلة اللغوية

بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي

(١) الأضداد

لابد للباحث في تاريخ العربية أن يقف وقفة طويلة على مشكلة الأضداد ليتبين حقيقتها ودلالتها في التاريخ اللغوي

لقد كتب في هذه المسألة علماء اللغة الأقدمون وهم :

١ — أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ (١)

٢ — أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ (٢)

٣ — أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوّزي المتوفى سنة ٢٣٠ (٣)

٤ — أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ (٤)

٥ — أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ (٥)

---

(١) المزهر للسيوطي ١/٣٩٧ ، وقد نشره المستشرق ها نزكوفلر في مجلة Islamica المجلد الخامس سنة ١٩٣١ (ص ٢٤٧ — ٢٩٣)

(٢) المزهر ١/٣٩٧ وقد طبع بتحقيق المستشرق اوغست هفنر سنة ١٩١٣ في بيروت ، ضمن مجموعة تشتمل على ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن السكيت

(٣) المزهر ١/٣٩٧

(٤) وقد طبع ضمن مجموعة كتب الأضداد ، أنظر الحاشية (٢)

(٥) طبع هذا الكتاب ضمن المجموعة المشار اليها

وهؤلاء هم اللغويون السابقون الذين عرفوا بجهودهم اللغوية المهمة الأولى ثم اعتمدها من بعدهم الطبقة التي خلفتهم من علماء القرون التي تعاقبت من بعدهم ومشكلة الأضداد من جملة ما كتبوا فيه من الموضوعات اللغوية الأولى

ومن علماء القرن الرابع أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ قد كتب في الأضداد (١) وأشار الى اعتماده على كتب هؤلاء المتقدمين

ومن هذه الكتب أيضاً «كتاب الأضداد في كلام العرب» لأبي الطيب عبد الواحد ابن علي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ (٢)

وظل العلماء يؤلفون في هذا الموضوع ففي القرن السادس ألف فيه أبو محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ (٣) ولعل أبا الفضائل الحسن بن محمد الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠ أحد المتأخرين الذين شاركوا في هذا الموضوع وكتابه معروف (٤)

واختلف الرأي عند القدماء في مشكلة الأضداد فقد أنكرها جماعة وابطلوها وذهبوا إلى أنه لايمكن أن يدل اللفظ على الشيء وضده وقد ردوا بالتأويل ما ورد من الأضداد في كلام العرب ومن هؤلاء أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه فقد وضع كتاباً في إبطال الأضداد (٥) وقد تصدى جماعة للرد على هذا الرأي ومنهم أبو الحسين أحمد بن فارس فقد وضع في إثبات الأضداد ليرد بـه على مذهب ابن درستويه واضرابه قال في كتابه (الصاحبي) : وأنكر ناس هـذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده

---

(١) المزهر ١/٣٩٢ وقد طبع الكتاب عدة مرات وقد حققه أخيراً أبو الفضل ابراهيم وطبع في الكويت سنة ١٩٦٠

(٢) المزهر ١/٣٩٧ وقد حققه الدكتور عزة حسن ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٣

(٣) المزهر ١/٣٩٧ وقد طبعه الشيخ محمد حسن آل ياسين (النجف ١٩٥٢) في المجموعة الأولى من نفائس المخطوطات

(٤) المزهر للسيوطي وقد طبع في ذيل المجموعة التي أشرنا اليها في الحاشية (٢) بتحقيق اوغست هفنر.

(٥) السيوطي ، المزهر ١/٣٩٦ .

وهذا ليس بشيء وذاك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهنداً ، والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به وذكرنا رد ذلك ونقضه » (١)

ويبدو أن الشعوبيين الذين يزرون بالعرب ويرمونهم بكل نقيصة هم الذين سلكوا هذا الطريق ليثبتوا ان لغة العرب قد خلت من الحكمة وافتقرت الى الدقة والبلاغة في اطلاق الألفاظ وتحديد المعاني وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم ابن الأنباري في « أضداده » « أهل البدع والزيغ والإزراد بالعرب » (٢)

وكأن ابن الأنباري أراد أن يثبت حقيقة الأضداد والوجوه التي تنصرف اليها ليجيب عن الحجج التي أبداها « أهل البدع والزيغ » فذكر :

أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار الا معنى واحد ، فمن ذلك قول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جَلَل والفتى يسعى ويلهيه الأَمَلْ

فدلّ ماتقدم قبل « جَلَل » وتأخر بعده على أن معناه : كل شيء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز ان « الجلل » ها هنا معناه « عظيم » (٣)

وكلام ابن الانباري هذا يشير ضمناً أن اللفظة لا يمكن أن تدل على الشيء وضده في الوقت نفسه أما خصوصية التضاد فهي مستفادة من خارج اللفظة وأعنى بهذا «الخارج»

---

(١) ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ص ٦٦ — ٦٧

(٢) ابن الأنباري ، الأضداد (الكويت ١٩٦٠) ص ١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢

أن في الكلام من القرائن والمجوزات ما أدّى الى هذا التوسع في المعنى ومعنى هذا أن فكرة التضاد تكون نتيجة التطور في الاستعمال و نتيجة الجديد في الدلالة ومن أجل هذا فدراسة الأضداد تؤلف موضوعاً لغوياً تاريخياً من حيث علم الدلالة التاريخية Sémantique Historique وبهذا التفسير يمكن ان نرد كثيراً مما اعتبر من الأضداد إلى هذه الحقيقة من التطور في الاستعمال. ألا ترى أن قولهم: «رغب في» و« رغب عن» يشتمل على مطلق الرغبة في كلا الاستعمالين أما خصوصية التضاد فهي حاصلة من حرفي الجر (في) و (عن) في أن الأول يعبر عن اتجاه ايجابي وهو يفيد (نحو) في حين أن الثاني يفيد الاتجاه السلبي وهو المجاوزة فاذا استفيدت خصوصية التضاد فهي من هذا الطريق في حين ان مادة الفعل احتفظت بالرغبة في كلتا الحالتين وقد تقول : كيف حدث هذا الانتقال من الناحية الايجابية إلى الناحية السلبية ؟ أقول : إن ذلك أمر اقتضاه التطور في الاستعمال عبر الزمان الطويل وذلك يعرض للغات عامة وا كبر الظن أن من أراد بـ (الأمين) المؤتمن على صيغة اسم الفاعل ، هو غير من أراد به المؤتمن على صيغة اسم المفعول ، وان زمان الاول غير زمان الثاني غير أن العربية تفتقر إلى مثل هذا التحديد في الزمان والاستعمال ، وملاك الأمر راجع إلى البحث والتنقيب في النصوص المختلفة ليستطيع الباحث ان يثبت الاستعمالات ويردها إلى أزمنتها . وسأقول في القدر الذي اشتملت عليه هذه الكلمة من فكرة الضدية في كلتا الصيغتين عند عرضي لمفردات الأضداد عامة

وليس في طوقنا أن نقول : إن الفعل « يظن » من مواد الأضداد كما ذهب الاقدمون ففسروا الفعل في قوله تعالى « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله »[1] أراد الذين يتيقنون ذلك ليثبتوا أن اليقين غير الظن المعروف الذي هو أضعف من اليقين والعلم .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٩

أقول : إن الضدية لم تثبت لهذا الفعل أما ما ذهبوا إليه فهو مستفاد من الآية الكريمة كما سيأتي فلا يسوغ لمتكلم أن يجري الفعل على هـذا النحو من اشتماله على التضاد والأمر في الآية الكريمة غير هذا ، فلم يذهب وهم عاقل إلى أن الله عز وجل يمدح قوماً بالشك في لقائه كما يعلل ذلك ابن الانباري [1] وهكذا فان التضادّ حاصل في الآية لما عرفنا من الحقيقة في أن لقاء العبد بربه حاصل لا محالة

ثم إن استقراءنا لاستعمالات الفعل « ظن » في لغة التنزيل يدلنا على أن معاني أخرى تستفاد دون أن يكون في ذلك شيء من التضاد ففي قوله تعالى حاكياً عن يونس : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقـدر عليه » [2] قال المفسرون : أراد : رجا ذاك وطمع فيه ، إذ ليس جائزاً أن يكون يونس تيقن ان الله لا يقدر عليه

وهـذا المعنى الذي ذهبوا اليه يشير إلى ان المعاني قد تختلف باختلاف الأحوال التي يجري فيها الكلام ، وأن ما يستفاد منها داخل في باب الاستعمال وما يجد فيه من صور مختلفة في زمن واحـد أو في أزمنة مختلفة فقد يجوز أن يحصل في هـذا الاختلاف في الاستعمال ما يمكن أن يجري على التضاد كما رأينا ، فاذا حصل ذلك فهو داخل في باب ما اسموه بـ « ما اتفق لفظه واختلف معناه » وقد كتب في هذا غير واحد من الأقدمين وعرض ابن الأنباري لرأي جماعـة أخرى وهؤلاء يرون : « اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع » [3] .

فمن ذلك : « الصريم » ، يقال : لليل صريم ، وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع .

---

(١) ابن الأنباوي ، الأضداد ص ٣

(٢) سورة الأنباء ٨٧ .

(٣) ابن الأنباري ، الأضداد ص ٨ .

وكذلك الصارخ المغيث ، والصارخ المستغيث ، سمّيا بذلك لان المغيث يصرخ بالاغاثة والمستغيث يصرُخ بالاستغاثة فأصلها من باب واحد

أقول : هذا الرأي يؤيد ما ذهبنا اليه من أن في طوقنا أن نرد الاضداد إلى لون من الاستعمال الذي جرى على طريق التوسع وان القائلين بهذا يؤمنون أن التضادّ مستفاد مما يتصل بالكلمة من خصوصية في المعنى تصرفها إلى الضدية

وذكر محمد بن القاسم الأنباري : « إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا : فالجوْن الأبيض في لغة حيّ ، والجوْن الأسود في لغة حيٍ آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر

أقول : هذا صحيح جائز ، ولكن معاجم الأضداد لا تقيد الكلمة بأصحابها القائلين بها وإنما تذكر طرفاً من ذلك قال الأصمعي : « القُرء عند أهل الحجاز الطهر ، وعند أهل العراق الحيض » [١] ومن هذا ما ذكره أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب في كتاب الأضداد « سامد تعنى عند طيء « حزين » وتعنى « فَرِح » عند أهل اليمن » [٢]

أما « القرء » ودلالتها على الطهر والحيض فقد أوضح فيها أبو عمرو بن العلاء رأيه فقال : انما القرء فقد يجوز أن يكون وقتاً للطهر أو الحيض » [٣] وقوله : « فقد يجوز » يوحي إلى أنه لم يعتقد ان هذه المادة تنصرف إلى الأضداد ذلك أن فكرة التضاد

---

(١) الأصمعي ، الأضداد (نشرة هفنر بيروت ١٩١٣) ص ٥

(٢) قطرب ، الأضداد (طبعة للمستشرق هانزكوفلر في مجلة Islamica المجلد الخامس ١٩٣١ (٢٤٧ — ٢٩٣)

(٣) الأصمعي ، الأضداد ص ٥

قد حصلت من ملابسة الطهر للحيض واتصالهما ببعضهما في الزمان فقد يتوسع في الاستعمال فتحصل فكرة التضاد

وقد دفع اعتبار الشعوبيين الأضداد نقيصة من نقائص لغة العرب إلى تحمس القائلين بالاضداد فاندفعوا ينقبون في كلام العرب ولغة التنزيل مستقصين هذه المسألة ، مستدلين بها على مقدرة العربية في الاعراب عن دقيق المعاني فتهيأ من ذلك مادة ضخمة . وكأن هـذا الحماس قد دفعهم بقوة فراحوا يتلمسون أبعد الوجوه للتقريب بين لفظين على سبيل التضاد

قال قطرب : « إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم ، وان مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والاطالة والاطناب »[1]

ومن هؤلاء الذين قبلوا فكرة الأضداد وتوسعوا بها دون أن يوجهوها كما فعل ابن الانباري وغيره ، أحمد بن فارس فقد قال : « من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون الأبيض » ثم قال : « وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده وهذا ليس بشيء وذلك ان الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً ، والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد »[2]

وقد يحلو لنفر من الباحثين في الفيلولوجية العربية من المستشرقين[3] أن يفترضوا

---

(١) ابن الأنباري ، الأضداد ص ٨

(٢) ابن فارس ، الصاحبي ص ٦٦ — ٦٧

(٣) لقد كتب المستشرق الألماني نولدكة منذ ما يقرب من نصف قرن في « الأضداد » في كتابه الشهير: Th. Nöldke, Neue Beiträge Zur Semitische Sprachwissenschaft.:

شيئاً في مسألة الأضداد فيقولوا : « إذا كان الشعوبيون وجلهم من الفرس الاعاجم قد استدلوا بالأضداد على ان لغة العرب تفتقر إلى الدقة والسداد ، فلعل هؤلاء هم الذين شاركوا في البحث عن الاضداد فتوسعوا فيه توسعاً كثيراً وتلمسوه لادنى سبب »

أقول : إن الشعوبيين وهم طبقة من الفرس قد عابوا العرب في هذه المسألة ، ولكن الباحثين ليسوا جميعاً من الفرس فقد تصدى للتنقيب عن هذه المواد جماعة فيهم العربي وفيهم غير العربي ومن الطريف أن نذكر أن بين المتعصبين للعربية الذابّين عنها جماعة من أصل فارسي كابن قتيبة الذي يشيد بالعربية ايما إشادة وابن فارس كما رأينا

والحقيقة ان اهتداء الرواة وعلماء اللغة إلى مواد الاضداد كا نتيجة ولعهم بالتماس فرائد العربية ونوادرها وغريبها فقد تتبعوا هذه « الفرائد » في كلام العرب وفي « كتاب الله » وسنأتي على بيان ذلك ولا سيما ما كان خاصاً بكتاب الله الكريم

وربما كان شوقهم إلى معرفة هذه الفرائد والنوادر هو الذي دفعهم الى تسجيل الاضداد والتوسع فيها أكثر مما دفعهم حرصهم على الرد على الشعوبية

وتشتمل معجمات الأضداد على طائفة من المواد التي وجدت في لغة القرءان وهي من غير شك قليلة بالنسبة للمواد الكثيرة التي التقطت من لغة النصوص القديمة

ومن العجيب أن ما اعتبر من مادة الاضداد في لغة القرءان عند جماعة من المفسرين لم يكن له هذا المعنى من التضاد عند جماعة أخرى من أهل التفسير

فقد جاء من قوله تعالى : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب »[1] ، لقد أجروا الفعل (أسروا) على التضاد على اختلاف في التفسير في الحالتين ، والمفسرون غير إجماع على اعتبار (أسر) من الأضداد فالأمام الطبري وهو من مفسري السنة يثبت ان معنى الفعل المذكور هو الإخفاء وهو المعنى الأصيل الذي تنصرف اليه الكلمة عامة في حين

---

(١) سورة يونس الآية ٥٤.

أن غيره من المفسرين كالزمخشري والفخر الرازي يعرضون لتفسير هذه الآية فيشيرون إلى المعنى الآخر المضاد وهو الإظهار كما يشيرون الى المعنى الاول المعروف وهو الاخفاء

ذهب الطبري في الكلام على المشركين في سورة يونس في تفسير الآية المشار اليها : « وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا انه واقع بهم »[1]

على ان الزمخشري قد ذكر في الآية نفسها : « لأنهم بهتوا لرؤويتهم ما لم يحسبوه ولم يخطر ببالهم ، وعاينوا من شدة الأمر وتفاقه ما سلبهم قواهم وبهرهم ، فلم يطيقوا عنده بكاءً ولا صراخاً ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب ، وقيل : أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم ، حياءً منهم وخوفاً من توبيخهم . وقيل : أسروها أخلصوها ، أما لأن إخفاءها إخلاصها ، واما من قولهم : سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل : أسروا الندامة : أظهروها من قولهم : أسرّوا الشيء وأشره اذا أظهره وليس هنالك تجلد »[2]

أما الفخر الرازي فيعرض للآية الكريمة ويعرض لهذه الوجوه جميعاً التي يحتملها الفعل (أسر) في تفصيل ومحاكمة فنقول : « واعلم ان الإسرار هو الاخفاء والاظهار وهو من الاضداد أما ورود هذه اللفظة بمعنى الاخفاء فظاهر ، وأما ورودها بمعنى الاظهار فهو من قولهم : سرّ الشيء وأسره اذا اظهره اذا عرفت هذا فنقول من الناس من قال : المراد منه اخفاء تلك الندامة والسبب في هذا الاخفاء وجوه »

وهو يفصل في هذه الوجوه فيأتي بما ذكره الزمخشري في شيء من الاسهاب ثم يعود فيقول : « وأما من فسرّ الإسرار بالإظهار فقوله ظاهر لأنهم انما أخفوا الندامة

---

(١) الطبري تفسير ٨١/١١

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣٥٢/٢ (مطبعة الاستقامة ١٣٦٥)

على الـكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة ، وفي القيامة بطل هـذا الفرض فوجب الاظهار وثانيها قوله تعالى : « وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » فقيل بين المؤمنين والـكافرين ، وقيل : بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الـكفار بانزال العقوبة عليهم »[1]

لعل هـذا الخلاف بين المفسرين يوحي لنا الخلاف بين أهل السنة من المفسرين وبين المعتزلة منهم فهذا التفصيل وهذه المحاكمة العقلية يكون من نتائجها أن يبدو في الآية لون من فكرة التضاد في هذا الفعل

ثم إنك اذا أعدت النظر في هذه الوجوه تبينت ان معنى الضدية في الفعل آت من اعتبار خارجي كما يبدو في كلام الفخر الرازي ، فقوله : « إنما أخفوا الندامة على الـكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة ، وفي القيامة بطل هذا الفرض فوجب الاظهار » يشير الى أن الاظهار قد كان من معاني الفعل لسبب تقتضيه ظروف هؤلاء الـكفار

على أن الزمخشري حين أورد معنى الاظهار ذكر ان ذلك من قولهم : « أسر الشيء وأشره اذا أظهره » ولا بد لنا ان نقف قليلاً على عبارته هذه فقوله « أشره » بالشين بمعنى أظهره قد يوحي لنا ان في (اسرّ) بالسين ابدالاً بين السين والشين وكثيراً ما يحصل هذا الابدال بين السين والشين ولنا ان نقول إن « الإشرار » هو الاظهار ثم عرض لهذه المادة الابدال فجاءت بالسين

على ان استقراءنا لمادة الاضـداد التي جاءت في كتاب محمد بن القاسم الانباري دلنا على طائفة من ذلك مما ألصق بالاضداد ولا تتوفر فيه فكرة التضاد بوجه من الوجوه وها نحن نعرض لذلك

قال : « ومما يشبه الاضداد الأصفر يقع على الأصفر ، وربما أوقعته العرب على الأسود قال الله عز وجل : « صفراء فاقع لونها » [2] فقال بعض المفسـرين : هي صفراء حتى

(١) الفخر الرازي ٥/٣

(٢) سورة البقرة الآية ٦٩

ظلفها وقرنها اصفران وقال آخرون : الصفراء السوداء وقال جل اسمه : كأنه جمالة صفر »[1] فقال عدة من المفسرين : الصفر : السود ، وقال الفراء : إنما قالت للجمل الأسود : اصفر ، لان سواده تعلوه صفرة فسموه أصفر ، »[2] وهكذا عضي ابن الانباري فيأتي بأقوال من أوقعوا الاصفر على الأصفر الحقيقي

وقال : « وقال ابن قتيبة : «توسَّدَ» حرف من الأضداد يقال قد توسد فلان القرءان اذا نام عليه وجعله كالوسادة له ، فلم يكثر تلاوته ولم يقم بحقه ، ويقال : قد توسد القرءان اذا أكثر تلاوته ، وقام به في الليل فصار كالوسادة وبدلاً منها ، وكالشعار والدثار »[3] فأنت ترى أن تحميل الفعل (توسد) معنى التضاد غير واضح في النص وان ذلك لا يوصل اليه إلا بهذا التفسير الطويل الذي لا يخلو من الاصطناع

وقال : « وأشدّ حرف من الأضداد ، يقال : بلغ فلان أشده اذا بلغ ثماني عشرة سنة ، وبلغ أشده اذا بلغ أربعين سنة قال الله عز وجل : « حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة »[4] قال الفراء : ويقال : الأشدّ أربعون سنة قال : وحكى لي بعض المشيخة باسناد ذكره أن الأشدّ ثلاث وثلاثون سنة والاستواء اربعون سنة »[5]

ومن هنا يتبين لنا اختلافهم في تحديد السن الذي يبلغ فيه الرجل الأشدّ وفي كل هذا لم تكن فكرة التضاد متوفرة

وقال : « ومما فسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله تبارك وتعالى :

---

(١) سورة المرسلات الآية ٣٣

(٢) ابن الأنباري ، الأضداد ص ١٦٠

(٣) المصدر السابق

(٤) سورة الأحقاف الآية ١٥

(٥) الأضداد ص ٢٢٢

« الله الذي رفع السموات بغير عمـد ترونها » [1] يقال : معناه خلقها مرفوعة بلا عمد ، فالجحد واقع في موضعه الذي يجب كونه فيه ، ثم قال بعد (ترونها) أي لا تحتاجون مع الرؤية الى خبر » ويفسر تفسيراً آخر ، وهو : الله الذي رفع السموات بعمد لا ترون تلك العمد فدخل الجحد على العمد في اللفظ وهو في المعنى منقول الى الرؤية ... » [2]

وفي هذا دليل على أن الذين تصدوا لجمع الأضداد اندفعوا في هذا السبيل اندفاعاً عجيباً فصاروا يتلمسون هذه المادة في ضروب من التأويل والتفسير ، والنظر الصحيح لا يمكن أن يثبت ذلك ومثل ذلك ما جاء في الكتاب :

« ومما يفسر تفسيرين متضادين قول الجعدي :

إنك أنت المحزون في أثر الحي فان تنو ِ نيَّتهم تُقِم ِ

. . . . . .

قال الأصمعي في (فإنْ تنو ِ نيَّتهم تُقِم ِ) معناه تقمْ صدور الإبل وتلحق بأهلك ؛ قال كيسان : كذب الأصمعي لم يرد النابغة هذا ، وقد سمع الجواب من أبي عمرو ولكنه نسيه وإنما أراد : فانْ تنو ِ ما نووا من البعد والقطيعة تقم ولا تتبعهم حتى يوافق فعلهم فعلَك وما تنوي ما ينوون » [3]

وفي هذا توسع وتجوز لاثبات حقيقة التضاد في حين أن التضاد غير واقع فيه وقال محمد بن القاسم الأنباري في كتابه :

و«أو» من الأضداد تكون بمعنى الشك في قولهم : يقوم هذا أو هذا ، أي يقوم أحدهما وتكون معطوفة في الشيء المعلوم الذي لاشك فيه كقول جرير :

---

(١) سورة الرعد الآية ٢

(٢) الأضداد ص ٢٦٨

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٩

نال الخلافة أو كانت له قدراً   كما أتى ربّه موسى على قدر

أراد وكانت [1]

وهذا أيضاً ضرب من الاصطناع لأثبات شيء لا يتوهم فيه التضاد إلا بسبب ضعيف واتخاذ البيت حجة على ذلك لايقوم دليلاً مطلقاً

ومثل هذا ما جاء أيضاً :

« ومما يفسر من القرآن تفسيرين متضادين قول الله عز وجل : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادت لتبدى به » [2] فيقول المفسرون : معنى الآية : واصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل هم إلا من الاهتمام بموسى والاشفاق عليه وإن كادت لتبدي باسمه ، فتقول : هو ابني

وقال بعض أهل اللغة : معنى الآية وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من الحزن لعلمها بأن موسى لم يقتل ، إذ كان الله عز وجل قد أوحي إليها أنه يرده عليها ويجعله من المرسلين إن كادت لتبدى به ، أي بذهاب الحزن » [3]

ولا أريد أن أطيل في ذكر هذه الأمثلة التي تثبت أن مادة الأضداد لم تكن على هذا النحو من الاتساع والشمول في لغة العرب ولكن أسباباً كثيرة عرضنا لها دفعت الرواة الأقدمين وعلماء اللغة على الذهاب بعيداً في هذا السبيل فأدخلوا في الموضوع أشياء كثيرة لم تكن تشتمل على طبيعة الأضداد : وقد أحصيت من هذا القبيل ما يقرب من مئة وخمسين مادة حفلت بها كتب الأضداد وهي لا تملك الضدية إلا بهذه الوجوه البعيدة من التأويل والتفسير منها :

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٩

(٢) سورة القصص الآية ١

(٣) الأضداد ص ٢٨٩

ظنّ ، رجا ، خال نـدّ ، ضدّ ، قرء ، الوامق ، صرى ، سواء ، ضرّاء ، مسجور ، ذعور ، بردْتُ ، قانع ، أخفيت ، المستخفى ، سارب ، وثب ، نبل ، طرب ، مأتم ، بعد ، مقتوين ، عائذ ، أون ، ضعف ، مثل ، سمع ، خاف ، حميم ، خجل ، راغ ، غفر ، تأثم ، قلع ، تصدّق ، تخنّث ، بعض ، عقوق ، موسّد ، الدغطاية ، حرف ، الصّرعان ، شرف ، فادر ، خلوف ، الجربّة ، معصر ، حزوّر ، بعل ، أخلف ، ظهريّ ، يديّة ، الدرع ، أمّة ، نسل ، مشيح ، مرى ، حافل ، طبخ ، ذاع ، أراح ، إجلعبّ ، طلع ، ثنيّ ، اعتذر ، حجر ، صفر ، بعل ، ناس ، غانية ، زبية ، فوق ، صلاة ، ساحر ، أحنف جرموز ، هيك ، عاديات ، أعور ، ربع ، خابت ، تبيع ، جمّر ، زوج ، عاقل ، فارض ، استقصى ، هوى ، ثلّ ، أسود ، نسي ، أصغى ، سلف ، نجد (١)

وهذه المادة قد حفلت بها كتب الأضداد وقد اعتمدت فيها على كتاب محمد بن القاسم الأنباري والرجوع إليها يؤيد ان هذه المادة قد توسع فيها فشملت مواد لم تكن منها

ولا بد لنا أن نلاحظ أن طائفة من الأضداد يمكن ردها الى اعتبارات اجتماعية ومن ذلك جملة من المواد التي تنصرف الى الناحية الايجابية بدلاً من سلبية مقيتة وهذا الانصراف على سبيل التفاؤل ومن ذلك (بصير) للأعمى وفي هذه الكلمة شيء آخر غير التفاؤل هو إن في إطلاق (بصير) على الأعمى تكريماً واحساناً للأعمى وهو لون من التأدب والتظرف

ومن ذلك (السليم) للديغ ومثله (جلل) للأمر الحقير والأمر العظيم

ومنه أيضاً (المفازة) للصحراء وهي مهلكة في حقيقتها أما استعارة (المفازة) لها تفاؤلاً أي أن قاصدها والسالك فيها يعود منها فائزاً

---

(١) أنظر فهرس الألفاظ الأضداد (كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري)

وقد نلجأ إلى التضاد في لغتنا العامية الدارجة على سبيل التهكم فنطلق « النجيب » على من يفتقر إلى النجابة ، وقد نطلق (العاقل) على مجنون ومثله (الكريم) على البخيل الشحيح

على أن العامية قد تلجأ إلى فكرة التضاد تفاؤلا على نحو ما عرفنا في اللغة الفصيحة فهم يكنون عن الأعور بـ (كريم عين) كما وجدت ان التونسيين يطلقون على النار (العافية) وهذا ما ورد في اللغة الفصيحة أيضاً كما يسمون (الفحم) (بياضاً) هروباً من سواد الفحم الى البياض الذي يتفاءل به

هذا عرض سريع لمواد الأضداد في العربية أتيت فيه على موادها وعلى حقيقة التضاد فيها وكيف تطورت وعلى مكانة الأضداد في الدراسات التاريخية اللغوية وسأتبع ذلك بالمواد الأخرى التي تدخل في تاريخ المشكلة اللغوية

ابراهيم السامرائي

باب الكتب

العبر في خبر من عبر[1]

تأليف المؤرخ الكبير المحدث الشهير شمس الدين الذهبي ، وتحقيق الأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومن منشورات « التراث العربي » وهي سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت

هذا الجزء الثالث وهو في « ٣٥٧ » صفحة من الورق الأبيض الصقيل النفيس ، ما عدا الفهارس ، وقد طبع بحروف كبيرة ، بمطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٦١ ، وهو المنشور السابع من منشورات الدائرة المذكورة من التراث العربي الذي أخذت تحيي نفائسه الثقافية بالطبع والنشر ، واستحقت الثناء الحسن والشكر ، وكانت الدائرة قد وكلت إخراج هذا التاريخ المختصر المفيد إلى الدكتور صلاح الدين المنجد والأستاذ فؤاد سيد فاقتسماه ، وبدأ الدكتور المنجد بالاخراج فأخرج الجزء الأول من أجزائه سنة

---

(١) المطبوع هو « غبر » والراجح هو « عبر » ومصدره العبور على المشهور ، قال مؤلف اللسان : « ويقال : عبر فلان إذا مات فهو عابر ، كأنه عبر سبيل الحياة ، وعبر القوم أي ماتوا قال الشاعر :

فإن نعبر فإن لنا لمات ... وإن نغبر فنحن على نذور

يقول : إن متنا فلنا أقران وإن بقينا فنحن ننتظر ما لا بد منه ، كأن لنا في إتيانه نذراً » ، فالغبور هو البقاء والغابر هو الباقي على الصحيح

« ١٩٦ » ، وقدّم كما ينبغي للكتاب مقدّمة تحقيق ذكر فيها موجز سيرة المؤلف شمس الدين الذهبي ، وأنهم اعتمدوا في النشر على مخطوطتين من الكتاب جيّدتين إحداهما بخط الحافظ محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني ، وهي من دار كتب باريس الوطنية، والأخرى من مخطوطات المكتبة الأحمدية بحلب بخط ابن حجر العسقلاني العالم الفقيه المؤرخ المشهور ، قال الدكتور المنجد : « إن مخطوطة الحسيني صحيحة على الغالب إلا أننا لاحظنا أحياناً هناك تصحيفات قليلة في أسماء الاعلام ، ولقد قرأ هذه النسخة عالم آخر لم يذكر اسمه ، وصحّح ما أخطأ فيه الحسيني ، ولعل هذه الأخطاء من السرعة فقد ذكر ابن حجر أن الحسيني نسخ العبر في خمسة أيام ، وقد اتخذنا نسخة الحسيني أصلاً ورجعنا إلى نسخة ابن حجر لاستيضاح ما التبس علينا أمره من الألفاظ ولاستكمال ما في نسخة الأصل من خروم وقد كان جلّ اهتمامنا عند تحقيقنا هذا الكتاب هو ضبط أسماء الأعلام بالشكل أو باللفظ ، ذلك أننا وجدنا الكثير من كتب الرجال طبعت دون العناية بضبط أسماء الرجال فيها ، لذلك كانت الفائدة منها قليلة وكذلك أشرنا إلى الأماكن وأحلنا [1] إلى المراجع التي ذكرها ، وقد جعلنا أمام كل حادثة أو وفاة نقطة سوداء ليسهل الرجوع اليها ، وفيما عدا ذلك رجعنا الى قواعدنا في تحقيق النصوص » [2]

والذي أشار اليه الدكتور المنجد من العناية بضبط أسماء الأعلام بالشكل أو باللفظ لم يتم كما أرادوا فقد جاء في الجزء الأول من العبر « ص ٥١ » وهو بتحقيق الدكتور المقدم ذكره : « وفيها ـ يعني سنة ٤٣ ـ توفي عبد الله بن سلاّم الاسرائيلي حليف الانصار » وقد شدّد اللام من سلام مع أنها مخففة ، قال الذهبي في المشتبه ـ ص ٢٨٢ : « وبالتخفيف عبد الله بن سلام الحبر واخوه سلمة بن سلام وابن اخته سلام صحابيّون »

---

(١) الصواب « على المراجع » لأنه يقال « أحال عليه »

(٢) العبر « ج ١ ص : ج ، د ، ه » .

وجاء في مادة س ل م من المصباح المنير « والسلام : اسم من سلّم عليه ، والسلام من أسماء الله تعالى قال السهيليّ : وسلام اسم رجل لا يوجد بالتخفيف إلا عبد الله بن سلام وأما اسم غيره المسلمين فلا يوجد إلا بالتثقيل » فالذي يعنينا من قوله هو أن سلاماً أبا عبد الله هذا مخفف اللام

والأستاذ فؤاد سيد محقق هذا الجزء ظاهر الفضل في إخراجه ، مجيد له كدأبه فيما أخرج من الكتب والفهارس ، فقد علّق عليه ما يوضح كثيراً من مستبهمه ويعرف كثيراً من مجهوله بالنسبة الى كثير من القراء كالأنساب والألقاب والبلدان ، وقد رجع في التعليق والتحقيق إلى ثمانية وخمسين كتاباً ، إلا أنه فاتته أشياء طفيفة في ذلك التحقيق ، وهي :

١ — إهماله الخاء في اسم « محمد بن النضر أبي الحسين الموصلي النخاس » الوارد في الصفحة الثالثة عشرة « ص ١٣ » والصواب إعجام الحرف المذكور ، لأن صاحب الترجمة كان « نخاساً » لا نحاساً ، قال شمس الدين الذهبي في المشتبه ـ ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ ـ : « وبمعجمة خلق كثير مهم مفضل بن صالح الكوفي النخاس وممد بن النضر النخاس الموصلي ، عن أبي يعلى الموصلي » فاته ذلك مع ذكره أن من مراجعه للتحقيق كتاب « مشتبه الأسماء والأنساب والكنى والألقاب » كما جاء في الصفحة « ٥٠٠ »

٢ — استبهام « السيف » عليه في قول الذهبي في حوادث سنة ٣٩٨ قال الذهبي كما جاء في الصفحة السادسة والستين : « وزُلزلت سيراف والسيّف وغرق عدة مراكب » وجاءت كلمة « السيف » التي هي مكسوة السين مصحفة فيها سين وحرف غير منقوط يشبه الباء والتاء والثاء ، فقال الأستاذ فؤاد سيد في الحاشية : « كذا في الأصل بدون نقط وفي الشذرات (السبب) بباءين موحدين ، ولعلها (السيب) بكسر السين المهملة وسكون الياء التحتية ثم الباء وهي كورة من سواد الكوفة ، والسيب أيضاً موضع أو جزيرة

بخوارزم في ناحيتها السفلى » وأحال على معجم البلدان ، والصواب هو « السيف » بالفاء لا بالباء ، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم « ٧ : ٢٣٨ » قال : « وورد الخبر من شيراز بعصوف ريح سوداء أحرقت الزروع وهدمت قطعة من البلد وأن رجفةً كانت بسيراف والسيف غرق فيها عدّة مراكب وأهلكت كثيراً من الناس » ، وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان « سيف بني زهير » من سواحل بحر فارس ، وسيف بني الصفّار ، وذكر أن لهم منازل على سواحل بحر فارس ، وسيف آل المظفر ، وذكر أن مسكن المظفر بالساحل ، فكل هذه الأسياف الثلاثة موافقة للخبر لأنها أسياف متصلة على البحر المذكور ، وسيراف كانت في تلك الأصقاع

٣ — وجاء في الورقة ٦٦ من الجزء المذكور أن الحاكم الفاطمي أمر النصارى سنة ٣٩٨ « بتعليق صلبان » كبار على صدورهم ، وزن الصليب أربعة أرطال بالمصري وبتعليق خشبة مثل المكمدة وزنها ستة أرطال في عنق اليهودي إشارة إلى رأس العجل الذي عبدوه ، فقيل : كانت الخشبة على مثال رأس عجل »

فقال الأستاذ محقق الكتاب معلقاً على المكمدة : « كذا في الأصل والشذرات ولم ترد هذه الكلمة في المعاجم بهذا المعنى ولعلها (المضمدة) وهي خشبة تجعل على أعناق الثورين في طرفها ثقبان في كل واحد منها ثقب بينهما فرض في ظهرها ثم يجعل في الثقبين خيط يخرج طرفاه من باطن المضمدة ويوثق في طرف كل خيط عود ويجعل عنق الثورين بين العودين » وأحال على تاج العروس في مادة ضمد

قال ذلك مع أن « المكمدة » وجمعها المكامد وردا في « ذيل المعجمات العربية » للأستاذ دوزي المستشرق الهولندي الذائع الصيت « ٢ : ٤٨٨ » وقد استرجح أنها كالسندان ، والذي ذكره ابن الجوزي في المنتظم أن الحاكم أمرهم بأن يتعلقوا خشبة كالمدقة وزنها ستة أرطال « المنتظم ٧ : ٢٤٠ » فعلم بذلك أن المكمدة كالمدقة » ، وأن قول

الأستاذ فؤاد سيد ترجيح بلا مرجح ، لأنّ صورة الكاف لا تشبه صورة الضاد .

٤ — وذكر الذهبي في وفيات سنة ٤٠٢ الأمير أبا علي منتخب الدولة لؤلؤاً « ص٨٤» وقد ورد في الجزء المطبوع من العبر « لؤلؤ السمراوي » فعلق عليه محقق الكتاب عما صورته « كذا بالأصل وفي الشذرات (الشراوي) وفي النجوم ومرآة الزمان وعقد الجمان الشيرازي) قلت : الذي ورد في تلخيص معجم الألقاب تأليف ابن الفوطي في الجزء الخامس منه المطبوع بالهند « الشيراوي » قال ابن الفوطي : « منتجب الدولة أبو الفوارس لؤلؤ بن عبد الله الشاري الشيراوي والي دمشق ، ذكره حمزة بن أسد التميمي في تاريخ الشام [1] وقال : وولي الأمير القائد دمشق من قبل الحاكم بأمر الله الخليفة بمصر ولقب منتجب الدولة في يوم الأحد سابع جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة وقرىء سجل ولايته على منبر الجامع ، ووافى كتاب عزله فعزل بعد أيام وانصرف ، فلم نعلم مَن تولى وعُزل أقرب منه قال ابن عساكر : وولي بعده أبو المطاع ذو القرنين ابن حمدان وجرى بينه وبين لؤلؤ قتال ، وقتل لؤلؤ في المحرم سنة اثنتين وأربعمائة » [2]

٥ — وورد في الصفحة ٨٦ « وابن الباقلاّني » بتشديد اللام ، وكرّر ذلك في الصفحة ١٧٣ والصفحة ٢١٦ ، والصفحة ٣٢٤ والصفحة ٣٥٦ والذي نعلمه أن اللام في هذه النسبة مخففة ، ولم يذكروا التشديد إلا مع القصر أعني « الباقلي » ، ألا ترى أن السمعاني في الأنساب وعز الدين بن الأثير في اللباب قالا : « الباقلاني : بفتح الباء الموحدة وكسر القاف بعد الألف واللام ألف وفي آخرها النون » وقال ابن خلكان في ترجمة « أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني » المتكلم المشهور : « والباقلاني : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف وبعدها نون ، هذه النسبة إلى الباقلّى وبيعه ، وفيه لغتان : من شدّد اللام قصر الألف ومن خفّف اللام مدّ الألف فقال (باقلاء)

---

(١) ص ٦٦ ، ٦٩

(٢) تلخيص معجم الألقاب « الترجمة ١٧٤١ من باب الميم

وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها وهي نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء (صنعاني) وإلى بهراء (بهراني) وقد أنكر الحريري في كتاب درة الغواص هذه النسبة وقال : من قصر الباقلى قال في النسبة (باقلي) ومن مده قال في النسبة اليه (باقلاوي وباقلائي) ولا يقاس على صنعاء وبهراء لأن ذلك شاذ لا يعاج عليه »[1] وجاء في لسان العرب « والباقلاء والباقلي : الفول : اسم سوادي ، وحمله الجرجر ، إذا شددت اللام قصرت وإذا خففت مددت فقلت : الباقلاء ، واحدته باقِلاّة وباقلاءة ، وحكى أبو حنيفة الباقلى بالتخفيف والقصر »

٦ — وورد في الصفحة ٨٨ « علي بن اسحاق المادرائي » ، فعلق عليه محقق الكتاب « المادرائي : بفتح الميم وسكون الألف وفتح الدال المهملة والراء وسكون الألف الثانية آخرها ياء تحتها نقطتان نسبة إلى ما درايا من أعمال البصرة » وأحال على اللباب والمتعارف المشهور « ماذرايا » بالذال المعجمة لا المهملة ، قال ياقوت في معجم البلدان : « ماذران بفتح الذال المعجمة وراء وآخره نون » ثم قال : « ماذرايا مثل الذي قبله إلا أن الياء ههنا في موضع النون هناك ، قال تاج الاسلام أبو سعد : هي قرية بالبصرة ينسب اليها الماذرائيون كتاب الطولونية بمصر أبو زينور وآله قلت : وهذا فيه نظر والصحيح أن ماذرايا قرية فوق واسط ، من أعمال فم الصلح ، مقابل نهر سابس ، والآن قد خرب أكثرها ، أخبرني بذلك جماعة من أهل واسط » فالصواب إذن « ماذرايا » وأنها من أعمال فم الصلح لا من أعمال البصرة

٧ — وورد في الصفحة ١٣٤ في حوادث سنة (٤٢٠) ما صورته « وفيها جمع القادر بالله كتاباً فيه وعظ ووفاة النبي ﷺ وقصة ما تمَّ لعبد العزيز صاحب الحيرة مع بشر المريسي والرد على من يقول بخلق القرآن » فما هذه الحيرة التي لم يعلق عليها الأستاذ

(١) الوفيات « ٢ : ٥٦ طبعة بلاد العجم »

فؤاد سيد وتركها كأنها من البديهيات ؟ والصواب « الحيدة » بالدال المهملة ، جاء في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون « الحيدة والاعتذار في ردّ من قال بخلق القرآن لأبي الحسن عبد العزيز بن مسلم المكي » وقال الخطيب البغدادي : « عبد العزيز ابن يحيي بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي ، سمع وقدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسيّ مناظرة في القرآن وهو صاحب الحيدة وكان من أهل الفضل والعلم وله مصنفات [1] » والحيدة مطبوعة منذ سنين

٨ — وورد في الصفحة ١٤٣ « والجمّال أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الأصبهاني » فعلق عليه محقق الكتاب « كذا بالأصل وفي الشذرات (الحمال) بالحاء المهملة ، ولم رد النسبتان عند ابن الأثير في اللباب » وبقي الشك الذي أثاره المحقق قائماً في النسب ، والصواب هو ما ورد في الأصل ، قال الذهبي في المشتبه ـ ص ١١٣ ـ : « الجمّال : أسيد ابن زيد الكوفي ... وأبو عبد الله الجمال صاحب ذاك الجزء » وإيّاه أراد الذهبي فانه قال في العِبر : « له جزء معروف » ، ونعيد قولنا هنا أن محقق الكتاب عدّ كتاب المشتبه للذهبي في مصادر تحقيقه

٩ — وجاء في الصفحة ١٨٦ « ومحمد بن عبد العزيز أبو عبد الرحمن النيلي شيخ الشافعية بخراسان ... » فعلق محقق الكتاب ما هذا نصه « النيلي بكسر النون وسكون الياء وبعدها لام ، نسبته الى النيل وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة » ، وأحال على اللباب ، ولكن ما شأن عالم خراساني في نيل الفرات ؟ لاصلة له بالنيل ، وإنما هو منسوب إلى النيل الذي يصبغ به فمؤلف اللباب الذي اعتمد عليه المحقق يقول : « وجماعة نسبوا إلى بيع النيل وشرائه وما ينسب إليه من صناعته وفيهم كثرة بنيسابور » ، فهذا المترجم منهم وهو خراساني ونيسابور إحدى مدن خراسان العظيمة

---

(١) تاريخ بغداد « ١٠ : ٤٤٩ »

١٠ — وجاء في الصفحة ١٩٦ ما صورته « وقرواش بن مقلّد بن المسيب الأمير أبو المنيع معتمد الدولة العَقيليّ صاحب الموصل ... » بفتح العين وكسر القاف من العقيلي ، وكرّر هذا الضبط في الصفحة ٢٣٠ ، والصفحة ٢٩٢ ، وهذا قرواش وغيره من الأمراء من هذا البيت هم « عُقيليون » بضمّ العين وكسر القاف نسبة إلى قبيلة « عُقيل » المشهورة ، وقد ذكر ابن خلكان والد قرواش هذا قال هو : « أبو حسّان المقلد بن المسيب بن رافع ابن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا عبد الرحمن بن يزيد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن العقيلي الملقب حسام الدولة صاحب الموصل ...[1] » . ومن المتعالم أن قبيلة عقيل مصغرة الاسم وإن كانت كبيرة والأمير المذكور منها

١١ — وجاء في الصفحة ٢٠٤ في أخبار بعض رؤساء العيارين الشطّار « فجمع الطقطقي طائفة من الأعوان وكنَس نهر طابق من الكرخ وقتل رجلين ونصب رأسيهما على مسجد القلايين »

وقد ورد « كنس » بالنون والصواب « كبَس » أي هجم فجأة وغانص ، وقد ورد قبلا في الصفحة ١٥٣ « ثم زادت العملات والكبسات ووقع القتال في القلائين »

١٢ — وورد في الصفحة ٢٢١ في أخبار طغرلبك السلجوقي « ووزيره عميد الملك الكُنْدري » فعلق الأستاذ فؤاد سيد على الكندري قوله : « الكندري : بضم أولها وسكون النون وضم الدال وفي آخرها راء نسبة الى بيع الكندر الذي يمضغه الانسان » إلا أن هذا لايصح على هذا الوزير فانه منسوب إلى « كندر » من نواحي نيسابور ، قال ياقوت في معجم البلدان : « كندر مثل الذي قبله بنقص الألف والنون : موضعان أحدهما قرية من نواحي نيسابور من أعمال طريثيث وإليها ينسب عميد الملك أبو نصر محمد بن أبي

---

(١) وفيات الأعيان « ٢ : ٢٣٦ طبعة بلاد العجم »

صالح منصور بن محمد الكندري الجراحي وزير طغرلبك أول ملوك السلجوقية ... »

١٣ — وجاء في الصفحة ٢٥٨ في ترجمة ألب أرسلان بن جغري بك أنّ جغري بك هو « داود بن ميكائيل بن سلجوق بن نفاق بن سلجوق و نفاق بالتركي : قوس حديد ، و نفاق أول من دخل في دين الاسلام ... » ولم يعرف « نفاق » في أسماء هؤلاء التركمان ، والصحيح « تُقاق » بالتاء والقاف وهي لغة في « دقاق » بضم الدال وتخفيف القاف ، جاء في مختصر الدول لابن العبري «وأما طغرلبك وداود وأخوهما بيغو وهم بنو ميكائيل بن سلجوق بن تقاق فانهم كانوا بما وراء النهر » [١]

١٤ — وجاء في وفيات سنة ٤٦٩ ـ ص ٧١ ـ « وأبو محمد الصَّريفيني عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن هزارمرد المحدث ، خطيب صريفين توفي في جمادى الآخرة عن خمس وثمانين سنة ... » فعلق المعلق الفاضل على « الصريفيني » بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وسكون الياء وكسر الفاء وآخرها نون ، نسبة الى صريفين قرية من أعمال واسط » وأحال على اللباب ، ويفهم من تلك الاحالة أن أبا محمد الصريفيني هذا منسوب الى صريفين واسط ، مع أنه منسوب الى « صريفين دجيل » ومع أن مرجعه « اللباب » صرَّح بأن الرجل المذكور هو من صريفين الثانية لا من الأولى ، ففيه ورد وفي الأنساب أصله « والثانية صريفين بغداد وينسب اليها جماعة منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن هزارمرد الصريفيني خطيبها ... » وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « وصريفون في سواد العراق في موضعين إحداهما قرية كبيرة غنّا شجراء قرب عكبرا ، وأوانا على ضفة نهر دجيل ، إذا أذن بها سمعوه في أوانا وعكبرا... » ، ومن العجيب أنّ محقق الكتاب علّق في الكتاب في بعض تعليقه ـ ص ٣٥٠ ـ (أن بردان قرية من قرى بغداد ، على سبعة فراسخ منها قرب صريفين وهي من نواحي دجيل اللباب . وياقوت) أفما كان أسهل عليه

(١) تاريخ مختصر الدول « ٣١١ طبعة المطبعة الكاثوليكية » .

أن يتم قراءة المادة في معجم البلدان أو في الأنساب واللباب

١٥ — وجاء في الصفحة ٣٥٢ « ومحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قيداس أبو طاهر التوثي الحطاب .. » فعلق على التوثي ما نصه : « التوثي : بضم التاء وفي آخرها الثاء المثلثة نسبة الى توث من قرى مرو » ، مع أنه لا صلة للمترجم بتوث التي هي من مرو ، وإنما هو منسوب الى توثة بغداد ، وهذا اللباب معتمده في الألقاب والأنساب يقول مؤلفه : « التوثي بضم التاء من فوق وفي آخرها التاء المثلثة هذه النسبة إلى عدة مواضع منها قرية توث وهي من قرى ... ومنها محلة من محال بغداد يقال لها التوثة بالجانب الغربي ... » وقال الذهبي في المشتبه ـ ص ٦٣ ـ : « وبمثلثة إلى توثة محلة متصلة بالشونيزية منها أبو طاهر محمد بن أحمد بن قيداس التوثي عن أبي علي بن شاذان وعنه السلفيّ » ، وهذا دليل واضح يدل على ان الرجل منسوب إلى توثة بغداد لا إلى توثة مرو

١٦ — وقد فاتت محقق الكتاب الفاضل أمور أخرى في ضبط الأفعال والأسماء فقد جاء في الصفحات ١١ ، ٤٥ ، ٥١ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ذكر « العملات » جمع العملة بفتح العين وسكون الميم وهي السرقة أو الخيانة ، جاءت بتسكين الميم مع أنّ القياس المطرد هو فتح العين أي الميم من هذه الكلمة ، وإنما يندّ عن هذه القاعدة الوصف كالضخمة والفخمة والسهلة والبرزة ، ودونك جمهرة التصحيحات لأمثال ذلك : ص ٣ كَمُل أمره : كَمَل ص ١٥ وأمر الخليفة : أمر الخليفة ٢٣ الفلوخة : الفلوجة ٤٢٠ نَظَروه : نَظَّروه ٤٣ نَجَبَ أصحابه : نجُبَ أصحابه ٥٠٠ له معاني بديعة : معانٍ بديعة ٧٠٠ مُفضَّلا على العلماء : مُفْضِلا على العلماء وعَمَر الجامع : وعَمّر الجامع ١٠٥٠ : باديس عامَله : باديس عامِله ١٠٩ ، ١١٤ المشايخ : المشائخ ١١٠ وأخطأه الغنى: وأخطاه الغنى ١٥٣ الكبْسات : الكبَسات ١٤١٠ وقد صَمّ : وقد صُمّ ١٤٨ مُخضب شيبه : يَخضبُ شيبه ١٣٥٠ فأنفذ الخطيب : فأُنفِذَ ص ١٩٠ ، ٢٩٢ المُطوِّعة :

المُـطَّـوَّعة هنا نقف ونأمل بعون الله أن نعرّف بالجزء الرابع من كتاب العبر هـذا في جزءآت من هذه المجلة

وهذه كلهـا مؤاخذات تعد يسيرة قليلة بالاضافة إلى هـذا التحقيق الواسع والتعليق النافع والضبط الواقع ، في كتاب تاريخ فيه ألوف أسماء ، ومئات أنباء وقـد طبع أول طبعة ، وإنّ أول طبع للمخطوط العربيّ من أعسر الأمور الأدبية وأصعب الأعمال التحقيقية والله الموفق للصواب

مصطفى جواد

دراسة حول كتاب :

تاريخ المن بالامامة تأليف ابن صاحب الصلاة

للأستاذ عبد الهادي التازي

لطالما أنحى الناس باللائمة على اهمال المغاربة لتاريخهم وقد كان باعث هذا العتاب من أولئك « الناس » أن المغرب ظل فعلا ملاذاً للعلم والعلماء دون ما ان يستهدف لعواصف من النوع الذي عرفته سائر البلاد الاسلامية الأخرى .. فلو أن المغاربة اتجهوا للناحية التاريخية لحفظوا كثيراً من التراث الضائع .. والواقع أن المغرب بقي حصناً منيعاً لكل مقوماتنا .. تستطيع أن تلمس هذا في آثاره الباقية التي يرجع بعضها لأوائل الدولة الادريسية .. بل أن فيها ما يرجع لما قبل هذا التاريخ بكثير

وقد حاول بعض المؤرخين أن يعزو أسباب ذلك الاهمال إلى « عزوف » المغربيين عن التصدي لاخبار الماضي لما فيذلك من « نبش » .. وما قد يتعرض له ذلك التصدي من احكام خاطئة .. كما أن في بعض العلماء من عزا ذلك إلى « الظروف » التي يعيشها المؤرخون فان تاريخاً ما لا يمكن أن يستجيب للحقيقة ، إذْ لا بد من تأثير وتوجيه .. ولهذا نخير - حتى يرتاح الضمير - أن يترك الكلام ، ما دام القول قد يعرض صاحبه للملام ..!

بيد أن الملاحظ - وخاصة في الازمان الأخيرة - أن المغاربة كانوا يهتمون - مهما يكن - بالرواية اهتمامهم بالدراية .. وأنهم ألفوا في هذا الباب ما شاء الله من المصنفات ،

ولكن لسبب أو آخر اختفت هذه (المصنفات) عنا .. واليوم وبعد أن تضافرت جهود الباحثين والمنقبين أخذنا نقف يوماً عن يوم على ما يثبت أن التقصير كان منا نحن الجدد لا من أولئك الأولين .. وقد ظهر لحد الآن من الكتب ما يمكن أن يعطي فكرة عن التاريخ المغربي عبر السنين التي مرت

وفي عصر الموحدين على الخصوص يمكن للباحث أن يلمس عناصر (المدرسة الموحدية للمؤرخين) مما اكتشف حتى اليوم من مخطوطات ، وما نشر منها مما يضفي كثيراً من الضوء على أيام العرب في هاتيك العصور .. حيث الامبراطورية الموحدية تمتد من جنوب أوربا إلى تخوم السودان .. إلى طرابلس الغرب

وأن في أهم هذه المخطوطات هذه الوثيقة التي نقدمها اليوم (تاريخ المن بالامامة) ، فهي وثيقة لا تؤرخ فقط للاحداث السياسية العادية ، ولكنها سند أركيولوجي يستفيد منه الذين يتبعون الآثار المغربية ، وهو بالاضافة إلى هذا سجل يعكس النور على الحياة الأدبية في حقبة مهمة من التاريخ نعتها بعض الناس إلى الامس القريب بانها حقبة قحط وضحالة

وكان مما زاد في قيمة هـذه الوثيقة ووزنها أن الذي قدمها الينا علامة أديب مؤرخ عاش نفس المرحلة من التاريخ فهو يحكي عن شهادة عيان

ينتمي المؤلف عبـــد الملك ابن صاحب الصلاة إلى أسرة كانت تسكن بباجة ؛ « وصاحب الصلاة لقب لخطة من الخطط الدينية التي عرفت بصفة خاصـــة منذ أواسط القرن الثالث الهجري إلى جانب خطة الشورى والقضاء .. وهي تعنى بكل بساطة خطة الذين كانوا يؤمـّـون بالمسلمين في بيوت الله ، وهو لقب ظل معروفاً في تاريخ الغرب الاسلامي سواء في الاندلس أو افريقية أو تلمسان أو المغرب الاقصى كذلك ، بل وصمد إلى تاريخنا المعاصر ، فعلاوة على ما نص عليه صاحب كتاب العز والصولة في نظام الدولة ، نسمع إلى الآن في جملة وظائف رجال القصر الملكي بالمغرب الاقصى : صاحب الوضوء .. وصاحب

السجادة .. ومن المؤكد أن عبد الملك كان ينحدر من جدٍّ انتظم في سلك هذه الوظيفة، هذه الوظيفة التي كانت تسند إلى خيرة الناس ورجال الفضل فيهم نعم لم يلبث - بعد أن تلقى دراساته الأولى - أن سمي كاتباً في دوائر الحكومة ، عندما وصل الأمرباستيطان قرطبة سنة ٥٥٧ هجرية ، ولم يلبث أن نزل للمغرب سنة ستين وخمسمائة ، وقد دعاه تأثره بنصيحة الأمام ابن العربي إلى مصاحبة أولياء الأمر ، فلازم ركب السيد أبي حفص ، واتصل في طريقه بعلماء فاس ، فتحدث اليهم .. وقد أتم دراساته في مدينة مراكش حيث أخذ عن أبي الحسن ابن الاشبيلي (كتاب الطهارة) و (كتاب أعز ما يطلب) لابن تومرت ، وقد عمل في البلاط الموحدي بحاضرة مراكش ، وظل ينتقل بين العدويتين في مهات حكومية ، ويلازم الركب الأميري في ظعنه واقامته ، بعد أن تسلم ظهير الولاء منذ سنة ٥٦٦ ، وقد نعم بمركز مرموق في أواخر أيام أبي يعقوب لا يقل عن مركز الطبيب ابن زهر ، والفيلسوف ابن رشد الذين زارا بمعيته قبر ابن تومرت وعبد المؤمن سنة ٥٧٨ ، وقدختم حياته باعتزال السياسة والتمسك بوظيفة الخطبة بالجامع الأعظم في اشبيلية، أما عن وفاته فان ابن الايار وكذا ابن عبد الملك المراكشي ، كل منهما لم يعين تاريخاً لها ، وأن أقرب الاحتمالات لدي أنه توفي على رأس المائة السادسة

وقد شعر ابن صاحب الصلاة بعد أن حظى من أمير المؤمنين بذلك الوسام الذي لا يناله مطلق الناس ، بان الواجب يفرض عليه أن يعبر عن ذلك الولاء بتناول قلمه ليكتب شيئاً عن تاريخ الموحدين أو بالاحرى عن تاريخ أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وفعلا ظل ماسكا لقلمه طيلة ثمان وعشرين سنة من حياته أي من سنة ٥٦٦ إلى سنة ٥٩٤ على الأقل

ثورة المريدين

وقد كان الكتاب الأول الذي دشن به ابن صاحب الصلاة نشاطه في التأليف - على

ما يظهر – هو كتابه المعنون بـ (ثورة المريدين) ، وهو كتاب لم نعثر له على أثر في في الخزائن المعروفة ، بيد أننا بفضل ابن الابار في كتابه « الحلة السيراء » وبفضل ابن عبد الملك في كتابه « الذيل والتكملة » وقفنا على بعض العناصر التي تناولها كتاب (ثورة المريدين) – فهو على ما يتأكد من ابن الابار – تحدث عن هذه الطائفة الدينية التي ظهرت في أعقاب الدولة المرابطية بزعامة أبي العباس أحمد بن قيس الذي استطاع بفضل دهائه أن يجمع حوله انصاراً آمنوا بأفكاره ، ولم يلبث أن أخذ يزاول تدريس كتب أبي حامد الغزالي باشبيلية نفسها ، بل لم يلبث أن اتجه إلى احتلال بعض الجهات في الاندلس فهذه المرحلة القلقة من تاريخ الاندلس هي التي عالجها ابن صاحب الصلاة في مؤلفه الذي أحال عليه في كتابه (تاريخ المن بالامامة) عدداً من المرات

تاريخ المن بالامامة

لقد كان تدرب على الكتابة في مؤلفه الأول الصغير هذا ، ولذلك فقد عكف هذه المرة إلى جانب التزاماته – على تدوين ثلاث مجلدات ضخام .. وإذا كنا إلى الآن لم نقف على أثر للمجلد الأول ولا المجلد الثاني من كتاب المن بالامامة ، فان من حسن الحظ حقاً أن ساعد القدر على رعاية المجلد الثاني الذي يؤرخ لاوج أيام الموحدين من جهة ، والذي يصادف من جهة ثانية ظهور المؤلف ودخوله المعترك السياسي

أجل .. يحمل هذا الكتاب اسماً طويلا على خلاف الحال في الكتاب الأول ، فهو : « تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، وظهور الامام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الامام الخليفة أمير المؤمنين وأخير الخلفاء الراشدين

نستشف من هذا العنوان الطويل :

أولا ... الاشارة التي يقصدها المؤلف من التلميح للآية الشريفة (ونريد أن نمن

على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فالموحدون يحاولون بشتى الوسائل أن يجعلوا أنفسهم دائماً مصداقاً لآيات معينة تحقيقاً لفكرة « المنقبية » التي يضفونها على دولتهم .. ولذلك نجد المؤلف يريد أن يشير إلى أن ما في ثنايا الكتاب من أيام الموحدين ، إنما هو مما يدخل ضمن (المن) الذي وعد به أولياءه المقربين

ثم ثانياً ... الاشارة إلى العنصر الثاني وهو فكرة الامامية و (المهدية) التي جعلها الموحدون في رسائلهم وفي خطبهم وفي تاريخهم لازمة مقدسة لا يفتأون يرددونها على ألسنتهم وخاصة قبل ظهور المأمون الموحدي الذي ثار على هذه (المهدية)

وثالثاً .. التنصيص بكيفية واضحة على أن الكتاب مؤلف في الواقع على شرف أحد خلفاء الموحدين ، ألا وهو أمير المؤمنين أبو يعقوب ... الذي كان أنعم على ابن صاحب الصلاة بظهير الولاء ، وهكذا أيضاً يتضح أن المجلد الأول تناول ظهور المهدي ، وأن المجلد الثالث تناول بقية حياة أبي يعقوب

وقد ورد ذكر الكتاب في القرطاس مختصراً باسم (كتاب المن بالامامة) وورد ذكره عند المقري باسم (تاريخ الموحدين) ، ولكنه في مرة ثانية أعطاه اسم (تاريخ الدولة اللمتونية ..) اعتباراً لكونه تناول الأيام الأخيرة للدولة المرابطية ـ فيما يظهر ـ

***

يقع هذا المجلد الثاني في ثمان وثمانين وثلاثمائة ورقة ، يبتدىء بنشاط الموحدين منذ سنة اربع وخمسين وخمسمائة (١١٥٩ ـ ١١٦٠) عندما كان الخليفة عبد المومن متغيباً في افريقية لافتكاك المهدية الشرقية من سيطرة روجي الثاني وينتهي عند بداية سنة تسع وستين وخمسمائة (١١٧٣ ـ ١١٧٤) عندما كانت الدولة في أوج عظمها

وقد نسخ هذا المجلد بارض المغرب على ما يتأكد لدي ، لانه مكتوب بنفس الشكل الذي كتبت عليه بعض المخطوطات المغربية المعاصرة بالاضافة إلى وجود اشكال الاعداد

التي تحمل اسم (القلم الفاسي) على أول لوحة وآخر لوحة من المخطوط ، هـذا أيضاً إلى عنصر ثالث أكثر أهميـة يؤيد مغربية المخطوط ... لقد كان الكتاب ملكا بالشراء لاحد الفضلاء : علي بن عبد الله بن علي ، كما تشير إلى ذلك طرة بآخر الكتاب ، ثم أمسى بعد هـذا في حوزة المستشرق الهولاندي كوليوس الذي عاش أول القرن السابع عشر ، ومن مكتبة كوليوس أمسى بيد رئيس اسـاقفة الانجليز نارسيس مارش الذي وهبها لمكتبة البودليان باكسفورد .. فكيف صار المخطوط إلى كوليوس ..؟

لا بد أن نفتح قوسين لنتحدث قليلا وقليلا فقط عن فترة قصيرة من تاريخ المغرب على عهد الدولة السعدية بعـد أن أجهزت اسبانيا على عرب الاندلس ، طردت أيضاً « الموريسكوس » أوائل القرن السـابع عشر الميلادي ، ولـكي تضمن حمايتها من عودة ثانية للعرب أخـذت تقلص من المغرب بعض المدن .. بل واتجه الاسبان إلى مدينة « المعمورة » فاحتلوها ، وكانت خطـة لاكتساح السـاحل الذي يربط بين المعمورة والعرائش .. وقد أمعن القراصنة الاسبان في الاسـتفزاز واستولوا على مركب للسلطان زيدان كان فيه من جملة التحف ثلاثة آلاف مجلد من كتب الأدب والفلسفة والدين

في هذه الظروف بالذات عقد العاهل المغربي حلفاً ثلاثياً مع كل من تركيا ، وهولندا ، وهكذا بعث بسـفيره عبد العزيز التغلبي إلى صاحب القسطنطينية العظمى وحصل على جيش قوامه اثنا عشر ألف جندي .. وفي هذه الاثناء أيضاً كانت في طريقها إلى المغرب بعثة هولاندية لتزويد البلاد بالسفن والعتاد .. وفي هذا النطاق طلب المغرب من هولاندة تشييد ميناء على الاطلسي توجه منه الضربات ضـد المراكب الاسبانية المغيرة .. فلاجل اختيار المكان الصالح ـ الذي حمل فيما بعد اسم (الوليدية) نسبة للوليد بن زيدان الذي تمّمه فيما يظهر ـ لاجل ذلك بعثت هولاندا باخصائيين في الموضوع ، وقد كان من ضمن الوفـد العالم الهولندي جاكوب كوليوس ، الذي كان مهندساً ورياضياً ومستشرقاً في الوقت ذاته

لقد مكث كوليوس سنتين في المغرب بمدينة أسفي .. وقد اغتنم هذا المقام لفائدته العلمية فاقتنى عدة مخطوطات هامة ، وان من يعرف قرب مدينة أسفي من مدينة مراكش ويعرف مع هـذا أن مراكش كانت عاصمة للسعديين انداك ، وأن فكرة تأليف تاريخ المن بالامامـة ولدت بمراكش يوم تسلم ابن صاحب الصلاة ظهير الولاء هناك .. أقول كل من يعرف كل ذلك يتأكد لديه أن الذي حمل الكتاب من مراكش إلى ليدن هو الاستاذ كوليوس فكيف حصل عليه ؟ بالشراء ..؟ ممكن لانه فعلا اقتنى عدة كتب من المشرق أيضاً .. ولكن قد يكون هذا الكتاب بالذات سلم اليه هدية من العاهل المغربي .. وثمة مناسبة تقرب هـذه الالتفاتة من السلطان زيدان ، لقد كان ـ كما رأينا ـ على حرب مع الاسبان الذين طردوا العرب من الاندلس فهو يريد أن يؤكد للمبعوث الهولانديبواسطة تلك الوثيقة الهامة تحديد المواقع التي كان الجيش المغربي وصل اليها بالامس ، وهو يريد أن يستدل بذلك فيما يظهر على جشع الاسبان وعدم وقوفهم عند حد

مهما يكن فان المخطوط أمسى في هولندا .. وعند وفاة كوليوس كانت جامعة ليدن تعيش في أزمة مالية ، ولذلك فهي لم تشتر جميع مخطوطات كوليوس ومن أجل هذا تجد الاسقف مارش يشتري بالمزاد العلني (تاريخ المن) .. ويصحبه معه إلى انجلترا .. لتحتضنه اكسفورد بعد ذلك

ظهر اسم الكتاب فيسجل مخطوطات البودليان ففتح أعين المهتمين بالتاريخ الاندلسي والمغربي والافريقي من كبار المستشرقين ، وحرك نوازعهم للاستفادة منه إذ إن اسمه كان سبق سلفاً للاذهان فلقد سمعوا بذكره من خلال مخطوط ابن القطان في نظم الجمان وابن عذارى في البيان المغرب ، وابن الابار في تكملته ، وابن عبـد الملك المراكشي في الذيل والتكملة وابن أبي زرع في الانيس المطرب ، والجزنائي في زهرة الاس ، وابن الخطيب في الاحاطـة ، والمقرى في نفح الطيب ، وصاحب الحلل الموشية .. بل أن في العلماء المغاربة

كابن عميرة المخزومي من قام باختصار نبيل لـكتاب ابن صاحب الصلاة على ما روى

وقد كان في صدر من استفاد من بعض فصول الـكتاب الاساتذة دوزي الهولندي ولوبيس البرتغـالي ، وگوديرا الهولاندي ، وأماري الايطالي ، وكايانكوس الانجليزي وجوزيف اشـــباخ الالماني ، وميلتشور انطونيه ، وكارسـيا كوميز ، وطريس بالباس ، وأخيراً ويثي ميراندا وكل هؤلاء أسبان ، بيد أن الاستفادة منه كانت محدودة ومحدودة جـداً فاذا ما استثنينا الاستاذ ويثي ميراندا الذي استفاد منه كثيراً في كتابه الذيظهر بالاسبانية حديثاً بعنوان : (Historia Politica del Amperoi Almohade) نجـــد :

أولا — أن الاستاذ دوزي ترجم الفصل القصير الخاص بموقعة مرج الرقاد التي جرت بنواحي غرناطة الحالية من صفحة ٥٠ إلى صفحة ٦٢ ، وذلك في الجزء الأول من كتابه :

Recherches sur l'Histiire et la Litterature de l'Espagne Pendant le Moyen age.

ثانياً — المستشرق البرتغالي دافيد لوبيس الذي استمد منه في كتابه :

Arabes nos obras de Alexandro Herculano

ثالثاً — ونجد الاستاذ كوديرا ينقل عنه في كتابه : انحلال الدولة المرابطية

Decadencia y des aparition de los almoravides on Espana

رابعاً — نجد أن الاستاذ ميكيلي اماري نقل النبذة القصيرة في المخطوط التي تتعلق بغزوة الموحدين للاقطار التي كان النورمانديون ـ وهم في صقلية وقتئذ ـ قد فتحوها على ساحل افريقية ، وذلك في المـكتبة العربية الصقلية Biblioteca arabo sicula

خامساً — بينما نجد أن الاستاذ جايانكوس في كتابه : « تاريخ المسلمين في اسـبانيا » قد استفاد منه في ترجمته لنفع الطيب (The History of the Mohamedan dynasties In Spain)

سادساً — أما الأب ميلشور انطونيه فقـد ترجم قطعتين فريدتين منه ولكنهما قصيرتان كذلك

(٧) الأولى : تتعلق بحملة الموحدين على مدينة (وبذة) ، وقد ضمنهـا كتابه :
(Campanas de los Almohades En Espana)

والثانية : تتعلق بالآثار التي خلفها الموحدون بمدينة أشبيلية وقد ضمها بحثاً له اسماه :
(Sevilla y sus monumcntos arabes)

كما ترجم قطعة شعرية منه الى الاسبانية الأستاذ غارسيا غوميس ، وذلك في أول عدد من مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، كما أخذ منه عند حديثه عن جبل طارق الأستاذ طريس بالباس في بحثه بمجلة الأندلس الأسبانية بعنوان : (Gibraratar lavey guada de Espana)

وعلى ذكر تلك « النسخة المصورة » التي توجـد بالمكتبة العامة بالرباط ، أرى من المفيد أن أذكر انيعندما تصفحها شعرت منذ البداية بان الأمر يتطلب مزيداً من الجهد وكثيراً من الصبر ، فالكتاب منسوخ بخط جميل ولكني أعرف سلفاً أن الخطوط الجميلة قد تحمل وراءها حظوظاً غير جميلة ! فان في الاغلب أن يكون الناسخ زواقاً أكثر منه عالماً ! ولذلك فقـد كنت أقرأ الخط في حذر ثم أن الصورة المذكورة ليست على ما ينبغي لانها — فيما يظهر — لم تؤخـذ من « الشريط الأصلي » ولذلك فان بعض الجهات فيها كان لا يشجع على الاستمرار ، بالاضافة إلى بترٍ شعرت به في بعض الفصول .. ولم يكن من السهل بالنسبة إلى أن أعرف أين توجد النسخة الأولى من المخطوط حتى أرجع اليها ، فقـد ذكرت فعلا بعض المصادر المطبوعة أنها بالاسكوريال ، واشارت أخرى إلى أنها في ليدن ، نعم اتصلت بعد بالمعلومات الدقيقة عن المخطوط .. فحصلت من الاكسفورد على شريط أصلي نظيف جعلني أراجع عملي من جديد على ضوئه ، ومع كل ذلك فقـد

ظللت مصطدماً ببعض المصاعب ، فالخروم المتفشية في الكتاب والتنقلات الفجائية في بعض نواحيه جعلتني أتوق إلى الوقوف على الأصل ذاته ، وما من شك في أن المقام بالاكسفورد أدخل علي سروراً بالغاً بالرغم من الظروف القاسية التي صادفت وجودي هناك في شتاء ١٩٦٢

لقد وصلت إلى حقائق كان علي لزوماً أن أصل اليها .. وحتى لا أطيل في الحديث أذكر فقط شيئين اثنين :

١ — وجدت أن بعض الورقات مصابة حقيقة بخروم وقد كان في امكان الباحث أن يصل إلى تضميدها ومعالجتها ، وبالتالي إلى قراءتها مع شرط واحد - أن تبقى خروماً مستقلة عن كل خلط أو تشويش اضافيين ، لكن الذي حدث أن المصور كان يأخذ صورة الورقة المخرمة وهي موضوعة على ورقة أخرى مكتوبة .. فيلتقط ما يوجد في الورقة السفلى على أنه من الورقة المصورة ! وهكذا فقد ملأ الخرم بحروف متطفلة بل وبكلمات غريبة تعكر على الباحث طريق سيره الحثيث ولنذكر مثلا واحداً من الامثلة التي أتعبتني ولكنها في الاخير أضحكتني ، فقد كتبت كلمة حصن فطنيانة على شكل جعلها تقرأ هكذا : حصن قطمنيانة بينما كانت الميم المتطفلة ثقباً يقع على ميم في الصفحة السفلى

٢ — والشيء الثاني الذي تأكدت منه أن ذلك البتر الذي كنت أشعر به وأنا أحقق المخطوط كان في الواقع ناشئاً عن خطأ في جمع الكراسات ، وتخييطها، لقد جلد دون شك - من لدن شخص غير مختص ، ولهذا فقد تقدمت الورقات الست الأولى من الكراسة السابعة التي تحتوي على ثمان ورقات ، أقول تقدمت لتحل مكان الورقات الخمس المكملة للكراسة السادسة .. ووردت هذه « الخمس » بعد الست المتسرعة ولكنها بعد أن كانت تحمل رقم ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ أمست ذات رقم ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ ٦٦ .. وتأتي - بعد هذا التفكك - الورقتان الباقيتان من الكراسة السابعة .. وأكد

لي عن هذا الخطأ حمل بعض الكراسات في طرفها الأعلى بأحرف باهتة رقم كل كراسة ، هذا طبعاً إلى الانسجام بين الصفحات الذي كان رائدي من قبل ومن بعد وثمة شيء ثالث تمكنت من الوقوف عليه ، ذلك استطاعة قراءة السطور التي توجد على هامش المخطوط

وقد اغتنمت فرصة مقامي هناك للاتصال برجال الاستشراق في هذه المدينة للتزود مما قد يعينني على الوصول إلى غايتي .. واتضح لي ان التعريج على الاسكوريال متأكد ، فان هناك مخطوطات رددت أسم الكتاب الذي اشتغل به

وقصدت أسبانيا لاخلو في دير الاسكوريال بالمظان التي كنت أخذت بها مذكرة ، ولم تذهب جهودي سدى ، فبالاضافة إلى أنني تأكدت أنه لا توجد هنا نسخة أصلية لكتاب المن بالامامة ، استطعت أن أعرف كثيراً عن الذين نقلوا عنه واستمدوا منه كما استطعت أن أحقق مع بعض الذين نقلوا خطأ أن هناك مخطوطات بالاسكوريال استمدت من ابن صاحب الصلاة وذلك كالمسند الصحيح الحسن لابن مرزوق .. وأزاء المعلومات الفريدة التي قدمها المؤلف عن جبل طارق رأيت لزاماً علي أن أقوم برحلة خاصة اليه من أجل الوقوف على ما تبقى من تلك المباني والقصور التي تحدث عنها واستعنت على ذلك بالبروفسور بوريس المعروف ببحوثه عن الجبل ، وقد كان لهذه الزيارة أثر كبير على التعليقات التي حليت بها المخطوط مما يرجع لجبل طارق

ثم أن توفقي في تحقيق بعض المواقع جعلني اتوق إلى الرحلة مرة أخرى إلى الاندلس ، وقد أتيحت لي الفرصة هذه المرة أن ألتقي بكبار المختصين من رجال جامعة غرناطة والمهتمين بشؤون الآثار بها وقد قدم الي الدكتور سيكودي لوثينا ، والبرفيسور بير موديث معلومات جعلتني ألمس بعض المواقع التي عددها ابن صاحب الصلاة

ثم أن تساهل ابن صاحب الصلاة في بعض الحكايات التاريخية جعلني أصمم على زيرة

اقصى آخر نقطة وصلتها أسرة ابن طولون بطرابلس من افريقية

وقد كان اهتمامي بتحقيق الاعلام مدعاة كذلك لعدت اتصالات قمت بها داخل المغرب وخارجه ولقد توفرت على ملف ضخم من الرسائل والجوابات التي كنت استنجد عن طريقها بكل ما أشعر لديه بالنجدة سواء هنا بالمغرب أو بالقاهرة أو بتونس أو مدريد أو لندن أو روما وبلرم أو ليدن .. لكن الذي أثلج صدري هو شعوري بأنني امام مخطوط يستحق مني كل هذا الجهد .

أما عن الذين حاولوا نشر المخطوط فقد ذكر الدكتور حسين مؤنس منذ سنة ١٩٥٥ في ترجمته لكتاب بالانثيا ان المن بالامامة يهيأ للنشر من قبل الأستاذ غارسيا كوميز

وقد ذكر لي الأستاذ ويسى ميراندا ان المشاغل الدبلوماسية التي اضطلع بها غارسيا حالت بينه وبين النشر .. وفي لقاء مع البروفسور جيب قال لي : أنه كان ينوي منذ عشرين سنة القيام بهذا العمل بيد أن حاجة الكتاب إلى التحقيق والتعليق جعلته يحجم ، إذ إنه — على حد تعبيره المتواضع — لا يسمح لنفسه أن يصدر الكتاب عاري الجسم بادي العظام ...

وقد أفادني الأستاذ إبراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمغرب أن « النسخة المصورة » التي توجد حالياً بالمكتبة العامة كان حصل عليها الأستاذ دي جيا كمو المستشرق الفرنسي على نية استنساخها ونشرها .. ولكن ظروفاً طارئة عدلت به عن الفكرة فاختفت « المسودة »

وقد أخبرت بان « مبيضة » للمخطوط توجد لدى الأستاذ عبد السلام الفاسي، فحاولت الاستفادة منها والإفادة ، وعلمت بعد أن الهمة « تحركت » لنشر هذه (المبيضة) المذكورة وأحب بعد هذا وقبل أن أتناول الحديث عن جوانب المخطوط أن أقول كلمة قصيرة عن النهج الذي طبع أسلوب ابن صاحب الصلاة

يظهر أن مؤلفنا كان يحاول أن يكتب تاريخه مرتباً سنة سنة على طريقة الطبري ، لكنه وقد اصطدم فيما يظهر بمساويء طريقة السنويات ، وجد نفسه مضطراً لتناسي هذه الترتيبات وذلك في حالة ما إذا كان هناك قطع للحوادث قد يسيء إلى الغرض المتوخى من تسلسلها ولأجل هذا نجده عند بداية المجلد يسرد التاريخ سرداً ولكنه عند الأثناء حاول أن يقلد الطبري

والمؤلف لم يسلم مما وقع فيه كثير من المؤلفين القدامى ممن يستسلمون لتداعي الأفكار فيستطردون بذكر بعض الأشياء التي قد لا تكون من صميم الموضوع ، وقد كان يشعر في أغلب هذه الاستطرادات بأنه يأتي شيئاً قد لا يغفره القاريء ، ولذلك فهو يقول في أكثر من مرة كالمعتذر : قال المؤلف وفي المثل : الحديث شجون

وقد حرص المؤلف كثيراً على أن يوفق بين التاريخ القمري والتاريخ العجمي ، كما كان حريصاً على التثبت في كلامه فهو يحكي الحقيقة التاريخية في هذا الفصل ولا يتردد أن يعزز كلامه بقوله مثلاً : على ما ذكرته « أو » على ما أذكره ...

وقد استطاع ابن صاحب الصلاة أن يبرهن على أنه علاوة على هوايته التاريخية يتمتع بذوق أدبي رفيع فهو ما ينفك — كلما سنحت له الفرصة — راكباً على متن السجع والاقتباس والتلميح .. وقد يتم تسجيعه دون تكلف ولا تعمل ولكنه في بعض الجمل لا يملك نفسه دون التهافت على قوافي قد تسيء الى السجع الذي يأتي عفواً دون إرهاق .. وقد « زهد » أسلوبه بعض الباحثين ممن اشتغلوا به فراحوا ينحون عليه باللائمة متهمين إياه بالولوع باستهلاك الكلمات الفضفاضة التي لا تحتوي على معنى ملموس .. وإن الذي يبرهن أكثر من أي شيء آخر على « الهواية » الأدبية التي كانت تتملك عبد الملك انه لم يفتأ مذكراً بنتاج الشعراء والأدباء ، وربما أشار لنقد بعض النتاج أو لاستساغته ، الأمر الذي يدل على أنه من الأسرة الأدبية وإليها ، ولو أن شعره — وخاصة في البداية — لم

يكن في عيون ما قيل من شعر ...

والمتتبع للغة ابن صاحب الصلاة سيعثر أحياناً على بعض الألفاظ المعربة التي رأى أن إدراجها في الكتاب مما لا يضير ، وذلك (كالببوج ، والقومس أو القمط والمركطال) بل اننا سنقف بقلة على بعض الكلمات البربرية المستعملة وذلك (كالمزوار و « إميتيقيمّي (Imintigemi)

وقد ردد كلمات ظلت إلى الآن محتفظة بجدتها وحياتها مثل (الظهير بمعنى المرسوم الملكي ، والمخزن بمعنى الدولة ، والرقاص بمعنى ساعي البريد ، والمحلة لكتائب الجيش)

ولنرجع بعد هذا الاستعراض لبعض جوانب المخطوط ، فالكتاب من الناحية التاريخية أمتاز بتقديم بيانات صادقة ودقيقة عن كثير من الجوانب التي ظلت غامضة والتي قدمت الينا على شكل ملتوي وسأحاول في هذا العرض الوجيز أن « أجسم في اختصار بعض النواحي التي تلفت النظر في المخطوط

لقد استطعنا بفضل ابن صاحب الصلاة أن نصحح أخطاء وقع فيها بعض المؤرخين القدامى من أمثال المراكشي صاحب المعجب الذي ذكر - وهذا أحد الأمثلة — أن ولاية العهد أنتزعت من محمد بن عبد المؤمن من طرف الشعب بعد وفاة والده بينما نرى ابن صاحب الصلاة وهو شاهد عيان يثبت في عبارات لا تقبل التأويل ان عبد المؤمن هو الذي أقصى ابنه محمد عن ولاية العهد في حياته عند ما ضبط عليه بعض الانحرافات التي لا تليق بأولياء العهد ، كما صححنا بفضله بعض التساهلات التي وقع فيها ابن أبي زرع ففي معرض حديث ابن صاحب الصلاة عن حركة أمير المؤمنين سنة ٥٥٨ إلى الأندلس ونزوله بغبولة بظاهر سلا ، ذكر أن عدد الراجلين كان زهاء مائة ألف فارس وزهاء مائة ألف راجل ، بينما نجد ابن أبي زرع يذكر أن عدد الفرسان كان زهاء ثلاثمائة ألف ، وانه علاوة على مائة ألف أخرى من الراجلين كان هناك ثمانون ألف متطوع (٢٨٠ ألف زيادة !)

فلو عرفنا مساحة الفحص الذي تم فيه هذا التجمع لكنا نميل إلى أرقام ابن صاحب الصلاة ، وتحضرني بهذه المناسبة مؤاخذة ابن خلدون على بعض المؤرخين مجازفاتهم في ذكر الأرقام هذا وقد ذكر الحميري في كتابه الروض المعطار معلومات عن جبل طارق مثلاً لا تستند على الحقيقة التي رآها عبد الملك ابن صاحب الصلاة رؤيا عين فقد ذكر مثلا ان الأمر ببناء المدينة الجبلية كان من حفدة عبد المؤمن ونحن نرى أنه كان من عبد المؤمن نفسه ، وكما أفادنا الكتاب آراء الأقدمين فاننا استطعنا بفضله أن نحاسب بعض المستشرقين المحدثين في بعض التساهل الذي أرتكبوه عند ذكر بعض الحقائق .. ولقد ساق الأستاذ بروفنصال خطأ الرسالة الموحدية التي تتعلق بموضوع الحملة الموجهة من الموحدين ضد زعيم أبله ، أقول ساقها فيما بين تاريخ ٥٥٥ و ٥٥٦ مع أن الحملة المذكورة وصفت بتفصيل من لدن ابن صاحب الصلاة ، وقد كانت سنة ٥٦٨ لا سنة ٥٥٦ كما أفترض ذلك الأستاذ المذكور

ولقد سلط ابن صاحب الصلاة الضوء على بعض الجوانب الغامضة التي آستعصت على الباحثين فراحوا يقنعون فيها باليسير من القول ، ولنشر هنا الى المعلومات الممتازة التي قدمها عن مدينة جبل طارق .. وذلك بمناسبة حديثه عن المباني التي شيدت فيه سنة خمس وخمسين وخمسمائة .. فلقد أبرز أن الأسباب الداعية لتأسيس هذه المدينة كانت عسكرية في الدرجة الأولى ، وتعرض لذكر طائفة من المهندسين والعرفاء ممن أشرفوا على عمليات التشييد ثم أعطى وصفاً مدققاً عن قصور الجبل ودياره ، وعن مغروساته ومياهه ورحاه الهوائية وأبوابه :

« وأحكم البناؤون فيه — يقول ابن صاحب الصلاة — من القصور المشيدة والديار واخترعوا في أسسها طيقانا وحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور والجيار ، مما هو عجيب في الآثار ، وكما قيل : « الملوك تبني على قدرها من الأقدار » وبما لو عاينها

المتقدمون من آل شداد بن عاد ، لأقروا لهم بالعجز وفضلوهم على الذين بنو القصر من سنداد .. واستقل من جميع الفواكه كشجر التين والعنب والتفاح والكمثرى والسفرجل والمشمش والاجاص والأترج والموز وغير ذلك .. وماؤه عذب زلال مروق سلسال. وكان الحاج يعيش المهندس مدة إقامته للبناء قد صنع في اعلاه رحى تطحن الأقوات بالرّيح عليها الثقاة مدة البناء المذكور .. واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناء السور والباب المسمى بباب الفتوح .. فجاء فرداً في المعاقل التي لايتمكن لطامع فيه طمع ، ولا يخطر على خاطر ساكنه جزع »

معلومات خفيت على كثير ممن أرخوا للمغرب في القديم والحديث .. وقد كانت نعم النبراس للذين أخذوا اليوم على عاتقهم التاريخ لجبل الفتح ولمبانيه الأثرية

أما عن مدينة الرباط فنحن نعلم أنها كانت محل عناية من المؤرخين القدامى والجدد ، لكن ما كتبوه كان يحتاج فعلاً إلى « ترميات » خلت منها سائر المصادر المعروفة ، سوى كتاب المن بالامامة : فلقد عرفنا من خلاله أن الرباط كان يحمل اسم « المهدية » على عهد ابن صاحب الصلاة ، وكان يحتوي قبل أن يصبح « مهدية » على « برج للسكنى » وعلى محرث ومسرح وكان بين ثلاثة شركاء : الدولة تملك نصيباً منه ، ولأهل مدرسة سلا الحظ الثاني ، بينما الحصة الباقية لابن وجاد الأشبيلي ، وكان الذي أمر ببناء (المهدية) من الموحدين هو أمير المؤمنين عبد المؤمن سنة ٥٤٥ ، وهو الذي جلب المهندسين المختصين لتشرب الماء لها تحت الأرض من عين غبولة .. وإذا كان ابن خلكان شبهها بالاسكندرية ، فان ابن صاحب الصلاة لذّ له أن يلحقها بالعراق ، فيما احتوت عليه من بهجة وإشراق

وهكذا نرى أن الموحدين وقد استولوا على مهدية أفريقية الشرقية يفكرون في أن يجعلوا في موازاتها (مهدية غربية) .. وبهذه المناسبة نشير إلى أن مدينة المهدية المعروفة الآن في « المعمورة » اكتسبت هذا الاسم حديثاً أعني على عهد المولى إسماعيل وذلك

عند ما سلم له الأسقف مفاتيح المدينة فاذا ذاك أطلق عليها المولى إسماعيل اسم « المهدية » إعتباراً لما استولى عليه من عتاد حربي هام كان بمثابة « الهدية » التي جعلها القدر بين يديه — بفضل كتاب المن بالإمامة —

وقد عرفنا معلومات عابرة ولكنها قيمة عن حاضرة مراكش المرابطية والموحدية : قصورها ، أبوابها ، حدائقها ، وبحائرها وجناتها .. ثم كان حديثه عن المعالم الأثرية بأشبيلية بما فيها القصور المكرمة خارج باب جهور « لقد أربَتْ هذه القصور على مباني الخورنق والسدير — يقول ابن صاحب الصلاة — وقد جلب إلى بحيراتها عشرات الآلاف من الأشجار المختارة من زيتون الشرف وغرست على نسق عاماً بعد عام ، وجلب اليها من وادي آش ضروب الاجاص المسمى عند الأطباء بالكمثرى ، والاجاص المسمى بالغبقر : والمسمى بالازرة ، تصل بذلك القطار أثر القطار ، بجميع الثمار المختارة للاغتراس والأثمار » ، ثم كان حديثه عن عملية تسريب الماء إلى أشبيلية من أمتع الأحاديث ... فقد وصف فيه محاولات المهندس الحاج يعيش وعاديه في عمليات التنقيب عن الماء حتى وجد المسرب ، وإذ ذاك « وزن الأرض من ذلك الموضع وساقه على ما وزنه من الأرض حتى إلى البحيرة ... ثم أمر المهندس ببناء خزان للماء بداخل أشبيلية وجلب إليه الماء المذكور .. وحضر أمير المؤمنين في عسكر من كبار الموحدين والفقهاء والطلبة وضربت الطبول على أجراء الماء والسرور بوصوله إلى محبسه »

ثم كان حديثه الثمين عن الجامع الكبير باشبيلية .. فبالرغم مما التقطه المستشرقون من معلومات عن هذا المسجد العظيم من ابن أبي زرع أو صاحب الحلل الموشية أو غيرهما فانهم ظلوا بعيدين عن الواقع .. هذا الواقع الذي عاشه ابن صاحب الصلاة نفسه وراح يحكي عنه مستطرداً بذكر السنين التي لم تصل بعد ، بل واستطرد داخل هذا الاستطراد فاعطى معلومات عن جامع اشبيلية العتيق الذي يحمل اسم جامع ابن عَدَبَّس القاضي على

عهد عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢١٤ ، لقد وصف بناء المسجد ، وتشييد مناره ، وتركيب تفافيحه ، ولم يغفل أسماء المهندسين والعرفاء الذين عملوا فيه

ونحن نعلم أن أهل فاس كانوا قد طمسوا معالم الفن المرابطي في البلاط الاوسط وكذا في المحراب من جامع القرويين ، وذلك عند ظهور طلائع الدولة الموحدية ، وقد فعلوا ذلك خشية من غضب الموحدين اذ إنهم ظهروا للناس أول الأمر يحملون شعارات التقشف لكن هؤلاء الموحدين أمسوا في عداد الذين ينفقون بسخاء على القصور سواء في الاندلس أو المغرب ، ولنفتح بعض الصفحات في المن بالامامة

« قرر العاهل اختطاط هذا الجامع العتيق لخضر - يقول ابن صاحب الصلاة - على ذلك شيخ العرفاء أحمد بن باسه واصحابه العرفاء البناؤن من أهل اشبيلية وجميع عرفاء أهل الاندلس ومعهم عرفاء البنائين من أهل حضرة مراكش ومدينة فاس وأهل العدوة .. وكان من الحفاز على هذا البناء أبو بكر بن زهر وأبو بكر ايناقي وابن سعيد الغرناطي .. واهتبل العرفاء بصناعة الجيش والاقباء بالبناء ، ونجارة الخشب بغاية الاحتفال واقبوا عن يسار المحراب ساباطا في الحائط يمشي في سعة فيه الماشي معداً لخروج الخليفة عليه من القصر إلى هذا الجامع وصنع المنبر أغرب ما قدر عليه الفعلة .. ومن أكرم الخشب مفصلا منقوشاً مرقشاً محكماً بانواع الصنعة من غريب العمل ، وعجيب الشكل والمثل ، مرصعاً بالصندل ، مجزعاً بالعاج والابنوس متلألأ كالجمر بالشعل وبصفائح الذهب والفضة ، واشكال في عمله من الذهب والابريز بتألق نوراً ويحسبها الناظر لها في الليل البهيم بدوراً » ويستمر ابن صاحب الصلاة في وصف المقصورة .. واهتمام الخليفة باعمال البناء ووقوفه عليه بنفسه

لكن بعد كل هذا لا بد أن نسوق طائفة من حديثه المتعلق بصومعة هذا الجامع الكبير المعروفة اليوم تحت اسم (الخيرالدا) لقد استمر الناس يتساءلون عن المهندسين

المعماريين الذين عملوا في هذه الصومعة.. ودونكم ابن صاحب الصلاة يتحدث في الموضوع :

« وهذه الصومعة الفايت وصفها للناطقين ، السابق حديثها إلى المخبرين .. لا صومعة تعد لها في جميع مساجـــد الاندلس سمو شخص ، ورسو أصل ، ووثاقة عمل ، وغرابة صنعة .. قـــد ارتفعت في الجو وعلت في السماء تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية مع كواكب الجوزاء أمر ببنائها أمير المؤمنين أبو يعقوب .. عنـــد وصوله إلى اشبيلية في غزوته إلى شنترين في الثالث عشر من صفر من عام ثمانين وخمسمائة .. فعندما تحرك من اشبيلية أمر عامله أبا داود يلول أن يشتغل ببناء سور حصين على قصبة اشبيلية .. وببناء صومعة للجامع ، وببناء دار صنعة للقطائع .. فابتدأ أبو داود بهدم الديار وحفر الاساس.. ثم توفي .. وتوفي أثر ذلك الخليفة أمير المؤمنين حسب ما أشرحـــه .. فلما بويع أمير المؤمنين أبو يوسف .. أعرض عن بناء السور وأمر العامل الذي ولي باشبيلية ببناء الصومعة المذكورة وامضاء أمر أبيه في بنائها والجد في عملها وكان المهندس أحمـــد بن باسه فتح أساسها لصق الجامع فوافق فيه بئراً معينة الماء فردمها بالاحجار والجيار وبلـط فوق الماء حتى امن قعود الاســاس .. فابتدأ في بنائها .. بالحجر المنقول من قصر ابن عباد وصنعها بغير ادراج ، إنما يصعد اليها في طريق واسعة للدواب والناس والسدنة ... ثم عزل عامل اشبيلية .. فتعطل بناؤها إلى أن وصل أبو بكر ابن زهر من حضرة أمير المؤمنين في عام أربعة وثمانين .. وقد أمر باعادة بناء الصومعة وببناء ما اختل من الجامع فشرع فيها بعمل العريف علي الغماري .. ودام في ذلك أعواماً .. فلما وصل أمير المؤمنين وعزم الله اذفونش الطاغية أمر رضي الله عنه بعمل التفافيح الغريبة الصنعة العظيمة الرفعة ، الكبيرة الجرم المذهبة الرسم الرفيعة الاسم والجسم فرفعت في منارها بمحضره ، وحضر المهندسون في اعلائها على رأيه وبلوغ وطره مركبة في عمود عظيم .. زنته مائة واربعون ربعاً من حديد (١٫٧٥٠ كيلو) ، يكابد من زعازع الرياح وصدمات الامطار ما يطول التعجب من

مقاومته وثباته .. وكان عدد الذهب الذي طليت به هذه التفافيح الثلاث الكبار والرابعة الصغرى سبعة آلاف مثقال كبارا يعقوبية (ان اعتبرنا الوزن فهي ٣٠ كيلو تقريباً من الذهب ، وان اعتبرنا القيمة فهي ٧٠٠٠ دينار) ، ولما كملت سترت بالاغشية من شقاق الكتان لئلا ينالها الدنس من الايدي والغبار ، وحملت على العجل مجرورة حتى إلى الصومعة بالتكبير عليها والتهليل حتى وصلت ورفعت بالهندسة حتى إلى أعلى الصومعة ووضعت في العمود وحصنت بمحضر أمير المؤمنين أبي يوسف وبمحضر ولي عهده أبي عبد الله الناصر لدين الله ، وجميع بنيه وأشياخ الموحدين والقاضي وطلبة الحضر وأهل الوجاهة من الناس وذلك في يوم الاربعاء عقب ربيع الآخر به بموافقة التاسع عشر من مارس العجمي من عام أربعه وتسعين وخمسمائة ، ثم كشفت عن أغطيها فكادت تغشى الابصار من تألقها ، بالذهب الخالص الابريز وبشماع رونقها

كذا .. تحدث ابن صاحب الصلاة عن مسجد أشبيلية ، وقد آثرت أن أورد معظم حديثه لنأخذ فكرة عن كثير من النقاط التي ظلت مجهولة أو تكاد قبل هذا النص الثمين فبالاضافة إلى أننا أخذنا فكرة عن أسلوب صاحب الصلاة الذي سبق أن عرضنا اليه في صدر العرض .. لمسنا زيف الشائعة التي تؤكد أن أبا يوسف الموحدي هو صاحب كل المباني الموحدية فقد عرفنا أنه فقط منفذ لبعض مشاريع والده العظيم ، وأقول بعض لاننا كما نرى من النص ذاته نراه يعدل عن مشروعين :ـ الأول بناء السور الذي يحصن القصبه ، والثاني بناء دار القطائع المقرر بناؤها على ضفة الوادي .

ثم يتجلى النقاب عن اسم المهندسين اللذين عملا في الصومعة التي تعتبر احدى عجائب الفن المعماري لقد كان المهندسان من العدوة المغربية .. وهما أحمد أبي باسه أحد أفراد أسرة ابن باسه المعروفة إلى الآن بمدينة فاس ، بهوايتها في البناء ، والثاني علي الغماري المنسوب كما نرى إلى قبيلة غمارة شمال المغرب

واستفدنا من النص أنه لكثرة إهتمام العاهل الموحدي بالمسجد الأعظم بعث بطبيبه الخاص أبي بكر بن زهر للإشراف على أعمال البناء ، وهذه حقيقة خفيت — فيما وصل اليه العلم — على سائر الذين تحدثوا عن تاريخ المسجد

ثم يعطي المؤلف وصفاً حياً لحفلة التدشين التي تمت بحضر امير المؤمنين وولي عهده وأعيان مملكته ، الأمر الذي لم تتعرض له المؤلفات الأخرى أيضاً

ثم ونحن ما نزال بصدد ذكر بعض مزايا الكتاب التاريخية .. لا ننسى أن نذكر أننا ظللنا — نحن الذين يحاولون أن يؤرخوا الجامعة فاس العتيقة المعروفة بجامع القرويين — في متاهة حيال بعض علامات الاستفهام التي انتصبت أمامنا في إصرار وعناد

يوجد بالبلاط الأوسط لجامع القرويين (نواقيس) جمل بها سقف القرويين بعد أن أمست ثريات متلألئة ، وتحدث ابن القاضي في جذوة الاقتباس أن بعض هذه النواقيس حمل من ناحية معينة في الأندلس بواسطة عاهل مريني وان بعض النواقيس — وهو أكبرها يحمل نقوشاً في هذا المعنى ، لكنا أمام ضعف المرينيين في الأندلس ، وامام خلو هذه النواقيس من كل النقوش التي تحدث بها وامام صمت سائر المؤرخين القدامى ، أمام كل ذلك شككنا في أمر هذه النواقيس .. وقد استطعنا بفضل ابن صاحب الصلاة أن نظن أن هذه النواقيس حملت من مدينة (وبذة) أيام عزة المسلمين بالأندلس ، وأنها علقت في وقت واحد مع الثريا الكبرى بالقرويين التي هي عمل موحدي صرف

والكتاب ترجم في عدة مناسبات لطائفة من الشخصيات فيها الفقيه ، وفيها الوزير وفيها العامل ، ويمتاز حديثه عن هذه الشخصيات بأنه طويل النفس غزير الفائدة ، وأن معظم المترجمين في كتاب المن بالامامة لا يوجد لهم ترجمة فيما وقفنا عليه عند معاجم الموحدين وذلك كالحديث المسهب عن الوزير عبد السلام الكومي والكاتب أخيل آبن إدريس، وأبي بكر بن ميمون القرطبي وأبي الحسن الإشبيلي ، وأبي عبدالله بن ابي أبراهيم..

ويروقك في ابن صاحب الصـــلاة أنه من المتحفظين المحتاطين حينما يخفى عنه تاريخ « لحادثة أو يتردد في علم من الأعلام ، ولذلك فهو يفضل أن يترك المـكان بياضاً دون أن يتحمل تبعة كتابة « شيء » .. إلا أننا — ولا بد أن نسجل هذا — نلاحظ أنه من حيث التاريخ قد تزل قدمه إذا كان يتحدث عن تاريخ بعيد لم يشهده ، فقد ذكر مثلاً أن ٱبن طولون بلغت سـلطته إلى الزاب ومع أن المعروف أن العباس ٱبن طولون لم يتجاوز مدينة لبدة التاريخية في أفريقية

أما من الناحية الجغرافية فقد استطعنا أن نعرف الشيء الـكثير عن شبكة الطرق التي كانت تربط بين بعض أجزاء المغرب والأندلس وأفريقية ، ووقفنا على أسماء جديدة تستحق من المشتغلين بجغرافية المغرب القـديم أن يرجعوا اليها .. أمثال ناحية (بندغل) بظاهر مدينة الرباط و (توقطين) و (تونين) ، و (الحمام) و (مكول) و (وادي كساس) .. مواقع بين الرباط ومراكش ، وقد استأثر ابن صاحب الصلاة بذكر الوصف الدقيق لبعض المدن والقرى معاً خلت منه سـائر المصادر سواء منها المصادر الاسلامية او المسيحية ، ونذكر على سبيل المثال وصفه المدقق لمدينة قونـكة الأندلسية Cuenca التي تقع على مقربة من مدينة وبذة شرقيها ، فقد وصفها كما لو كان يرسم لها صورة مجسمة ناطقة : - (لقد دخل أمير المؤمنين — يقول ٱبن صاحب الصلاة — المدينـة المذكورة وقصبها الشهيقة المنيعة الرفيعة المتصل علوها بالجو ، تدل على آثار من الغبطة بها عند ملوك الاســلام ، وٱهتبالهم للاحتضـان فيها بحوادث الأيام ، قد أحدق بها من جهـة الغرب وادي شُوقرْ المذكور بأجراف وحافات لا يمكن فيها الوصول ومن شرقها وادٍ آخر على مثاله في المنعة ، يصبان الماء في بحيرة عظيمـة لشربهم ، وهي لصق السور ، ويدخل إلى المدينـة على قنطرة عظيمة في جانبيها برجان عظيمان مانعان على الواديين في حكم المدينة المذكورة ومن جهة

الجوف من المدينة حفير قد حفر في الحجر الصلد في عمقه نحو قامتين ، عليه ستارة منيعة ، وفي الحفير أدراج قد حفرت تحت الأرض ينزل فيها إلى الوادي لشرب الماء ولطحين القوت في الأرحاء التي على الوادي ويرجع في الأدراج على أمن ، وعلى الستارة التي على الحفير « برج عظيم من بناء الأوائل ، وفيأسفل الأدراج عند الماء في الوادي باب مصفح بالحديد متملك للقصبة المذكورة ، وليس لهذه المدينة موضع يقاتل فيه إلا من جهة الحفير المذكور، وفي هذه البحيرة كروم وشجرهم الجوز وغير ذلك والجوز أكثرها ... »

ولقد أمكننا من خلال كتاب المن بالامامة أن نعرف المركز الهام الذي كان لمرسي المعمورة علىتلك العهود ، إذ كانت — كما يؤكد — أعظم « دار صنعة » فيالعدوة المغربية بل أعظم مركز للذخيرة والعتاد ، وقد ضمت وحدها في بعض الأحيان مائة وعشرينقطعة حربية وقف عليها راوية ابن صاحب الصلاة وعددها واحدة واحدة كما أن المرسي المذكور كان يتوفر من القمح والشعير وسائر الحبوب على ما عاينه الراوي مكدساً « كأمثال الجبال بما لم يسمع به في جيل من الأجيال »

أما عن نظام الدولة فإننا نرى عن كثب بل وفي مقاطع كثيرة كيف كان الجهازالتنظيمي للحكم القائم فيالبلاد وكيف كان يعتمد علىالشورى وأخذ الرأي وعلى نظام «الهيرارشية» التي كانت ترتب القبائل والهيئات ترتيباً دقيقاً لايحاد عنه : هسكورة — صنهاجة — كومية — السادة — الشيوخ — مجلس العشرة — ثم أهل الخمسين ، وأبناءالجماعةوطلبة الحضر وطلبة الموحدين والحفاظ والمزاوير وأهل الحزب والرماة والجند والعبيد ، وقد ظلت القبائل المؤسسة للدولة هي المسيطرة في الأغلب على كل الإطارات السياسية والعسكرية ..

وكما كانت هذه « الهيرارشية » محترمة بالنسبة للموحدين كذلك كانت أيضاً بالنسبة للعرب ، والقبائل التي اعتنقت مذهب ابن تومرت بادىء الأمر هي التي تحظى في الدرجة

الأولى باستقبال العاهل ، ... الخ

وقد كانت الرسائل الرسمية للدولة توجه من الأمراء أولاً وبالذات إلى الأشـــياخ والطلبة ، الأمر الذي يفســـر عبارة (دولة الطلبـة) التي تجدها في بعض مراجع التاريخ الموحدي ... ويستطيع المؤرخ أن يلمس من خلال سطور الكتاب أن الموحدين — على عكس المرابطين — كانوا لا يمانعون في انتقاد بعض تصرفاتهم من لدن المؤرخين ولوكانوا مؤرخين رسميين للدولة لان التاريخ ما دام لم يمتزج بحكاية مواقع الصواب والخطأ ، وما دام يحرص فقط على ناحيـة الصواب أو يحرص فقط على ناحية الخطـأ تاريخ لا يستجيب للواقع الذي هو « مجموعة الخطأ والصواب » يقع فيها البشر بحكم أنهم بشر

وهكذا نجد أن ابن صاحب الصلاة عنـــد حديثه عن الخسارة التي منى بهـا الجيش الموحدي على أبواب مدينة وبذة بسبب بعض الأخطاء التي ظهر له أنها ارتـكبت مـن طرف (الحاشية الخليفية) نجده يندد بانشغال الوزراء عما كانت تقتضيه الظروف ويقول بالحرف الواحد : « ... ولم يبق من سورهم (أي الوبذيين) موقع فيه قتال إلا الركن من جهة الغرب قاتل فيـــه أبو العلاء ابن عزون حتى عجز ومشى إلى أمير المؤمنين وطلب منه العون فلم يجاوبه لاشتغاله مع الطلبة في المذاكرة ..! أما الرماة فرأيت الشيخ المقدم عليهم محمد بن تيفوت يمنعهم من رمي النصارى بالسـهام فلم تقع الآلات ولا الرماح ولا الدروع السابغات ولا البيضات حدثني أبو العلاء ابن عزون فقال لي : لما أشرفت على الفتح والغلبة لم أرَ أحداً من أهل الأجنـاد ولا من الشيوخ والقواد فمشيت بنفسي إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع أخيه السيد أبي حفص ومع طلبـة الحضر يتكلم معهم في المسائل ، فقلت يا سيدنا يا أمير المؤمنين ! عون عون فقد أشرفت على الفتح ! وإنما كنت طامعاً أن يركب فيراه الناس وجميع العساكر فيدخلون المدينة في حيهم ، فلم يجاوبني واشتغل عني بما كان فيه ! ولا جاوبني السيد الأعلى أبو حفص فعلمت إن النية في الجهاد قد فسدت ، وإن الغزوة

قد تنكدت ورجعت يائساً من النصر في غاية الهم والفكر ..)

بهذه الحكاية يبرز ابن صاحب الصلاة أسباب الانكسار في موقعة وبذة في نظره ، وهـذا النص علاوة على ما أسلفته من دلالته على تمتع المؤرخ بحرية تسجيل انطباعاته وبتفتح فكرة السلطة الحاكمة للنقد البناء ، أقول علاوة على ذلك فهي تفند في نظرنا من جهة ثانية ما رمى بـه العلامة دوزي مؤرخنا ابن صاحب الصلاة من التحيز والتنكر للحقيقة التاريخية ابتغاء مرضاة أولياء الأمر ..!

ثم أن الكتاب يؤكد أن الموحدين كانوا ـ بالرغم من اعتزازهم بالعربية وبالرغم من أن العربية كانت اللغة الرسمية للدولة ـ لا يترددون في استعمال اللسان الغربي على حد تعبير ابن صاحب الصلاة يعني اللسان البربري وخاصة عندما يتعلق الأمر بارادة تبليغ المواطنين في الوقت المناسب تعليمات عاجلة تستند عليها الظروف .. فهم مع إيمانهم بقداسة العربية كانوا يتوسلون لمن يفهمها بابلاغه القصد بلسانه حتى يتلقى التوجيهات التي تقتضيها المصلحة العليا وبالاسلوب المعتاد

وقد كشف الكتاب عن أن الموحدين كانوا كثيراً ما يركبون متن الحيل في حروبهم وتحدث في اسهاب عن أساليبهم في مقارعة خصومهم ومن الطريف أنهم في بعض مفاوضاتهم مع الرؤساء المسيحيين كانوا يتعمدون تجاهل اللغة العجمية .. ليتمكنوا من معرفة ما يدور بين الترجمان ورئيسه من خبايا قد تنفعهم .. وقد نقل ابن صاحب الصلاة عن أحد المتفاوضين قوله : « دخلت على فرنانده في خبائه ومعه اقماطه وأشياخه النصارى فتكلم معي بلسانه العجمي فقلت لترجمانه : لست أفهم العجمية » وإنما قلت ذلك كتماناً مني وحيلة لأفهم من كلامه ما يريده من خير وشر .. »

والكتاب يكشف عن « التنظيم المالي » الذي كانت تعتمده الدولة والتي يسر لها أن تقوم بالمشاريع البنائية الكبرى علاوة على تكاليف الغزو سواء في افريقية أو الاندلس ..

ولقد وقفنا على النظام الدقيق الذي كان لشعارات الدولة ولباس الجند الملون ولون الراية المغربية التي كانت تعتمد على الأحمر ، ونظام التشريفات سواء عند السفر أو حضور صلاة الجمع أو استقبال السفراء والخلفاء ، كما وقفنا فيه على خطوط السياسة الداخلية للموحدين وخاصة في الأيام العصيبة حيث كانت المناصب الرئيسية في الدولة تسند للسادة أعني أعضاء الأسرة الموحدية

وبصرف النظر عن هذا نراهم يهتمون اهتماماً زائداً بالاساطيل البحرية فالموحدون وهم مضطرون للاتصال كل لحظة وحين بالاندلس من جهة وسـاحل افريقية من جهة أخرى كان لهم جسر دائم من هذه القطائع العائمة من مختلف الاشكال والاحجام ، ففيها المراكب الكبيرة وفيها الاغربة الطيارة ، ونتيجة لهـذا فان المصانع كانت منتشرة في أهم الجهات سواء بالعدوة المغربية أو العدوة الاندلسية كل هذا نجد له ذكراً في كتاب المن بالامامة وبتفصيل مسهب في بعض الاحيان »

وابن صاحب الصلاة في حكاية رحلاته دقيق الوصف قوي الملاحظه فعلاوة على أنه لا يفوته ذكر المراحل التي قطعها ولا ذكر الاصـدقاء المرافقين ، علاوة على ذلك يسجل أسعار السوق المتنقل مع العملة على عهد الموحدين فمنها المثقال لليعقوبي ، الدينار الجشمي والمد المراكشي ، والمراجع القديمة وهنا المشرف والقبالة الخ ...

ولنفتح الكتاب مرة أخرى لنقرأ بعض السطور عند عودة الجيش من غزاة وبذة

« واتصل سير العساكر المؤيدة .. حتى وصلوا إلى جبل الصومعة على عشرة أميال من قونكة ونزلوا فيه على ماء طيب وسرح خصيب واشتد السعر في هـذه الليلة فبلغ المد المراكشي من الشعير درهمين ، ورطل الدقيق بدرهم واحد ثم أقلع يوم الأحد .. ونزل في جبل حصين والناس معه دون حمولات ولا اخبية لأن الناس ضعفوا عن المشي ، وتأخرت الحمولات ومشت على طريق ومشى الناس على طريق أخرى فبات أكثر الناس دون علف

ولا قوت ، وعدم الشعير حتى بيع المد المراكشي بثلاثة دراهم .. ولما أصبح يوم الأثنين أمر الناس بالرحيل وجاع الناس وكثر فيهم الموت .. ولا قوت يوجد إلا لحم جَمَل يؤذي وشحم منه يردي ! وعندما وصل الناس إلى حصين بنيول تقدم من لم يكن له اسم في زمام ولا رسم إلى مدينة بلنسية لطلب القوت والحياة بعد هذه الشدة ، وكنت مما تقدم إلى حصن بنيول فما وجد أحد فيه شيئاً من قوت إلا بعض حبات من تين أخضر في أول زمانه الحبة الواحدة من ذلك بدرهم فاشتراها من اضطر اليها وكنت واحداً ممن اشتراها تقوتت بها ثم وجدت فقدها .. »

وقد اعطى ابن صاحب الصلاة وصفاً عن حفلات الاستقبال التي تجري عادة في القصور والبحيرات الملكية ولم يخف أن الدولة كانت تقدم للناس في أيام أفراحها شراب الرب الذي كانوا يهافتون عليه في الاحواض المعدة هذا الشراب الذي تكون النشوة من أبرز خصائصه والذي تنبهت الدولة إلى مفعوله في الناس فعمدت إلى منعه عليهم في رسالة رسمية

ولم يفت ابن صاحب الصلاة أيضاً أن يبرز في عدة جهات من كتابه — ومن طرف خفي كذلك سلوك العرب الذين « جلبهم عبد المؤمن إلى المغرب لحماية رعيته » فقد نعهم ابن صاحب الصلاة بالفوضى ثلاث مرات ووصفهم بالجبن في مرة رابعة ...

أولاً — عند ما كان الخليفة يرحب بالعرب الواردين بالبحيرة في مراكش .. حكي عن « هوشة » وقعت بين اتباع العرب وصبيان الموحدين أدت إلى الجرأة على سوء الأدب وإلى اختطاف الثياب واستلاب الجلباب وتحزب الجهال من الأعراب الخ .. وثانياً عند توزيع الثياب والعدة عليهم من لدن الخليفة في مراكش كانوا يتهافتون ، ويتقدم الواحد منهم بعد ان ينزل من فرسه ويغير ملابسه ويتقدم مرة أخرى ليأخذ « أشياء أخرى » ! وثالثاً عند اجتيازهم لقنطرة وادي أم الربيع خالفوا النظام وازدحموا على الجسر الأمر الذي

أدى إلى الفتنة وقتل بعض الأرواح .. وقد وصفهم في مرة رابعة .. بالجبن عند اللقاء على ظهر الجبال ومنعرجات الغاب بدعوى ان حربهم تحتاج إلى انفساح في الأرض

والكتاب حجة للذين يثبتون أن نية الموحدين كانت تتجه إلى تأسيس وحدة شاملة تمتد عبر الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب ...

ثم ان الكتاب من الناحية الفكرية كان وثيقة جمعت من بديع الشعر وبليغ النثر ما يستحق ممن تصدوا للدراسات الأدبية في المغرب والأندلس وإفريقية أن يراجعوا ما كتبوه .. فنحن أمام طائفة من الشعراء والمنشئين لم تكن معروفة من ذي قبل، وأؤكد انني بعد أن وقفت على هذه الثروة الثمينة حرصت على أن أتصفح جل الكتب التي صدرت إلى الآن عن تاريخ الأدب في المغرب والأندلس .. لكني كنت ألمس في كل ناحية من النواحي التي عالجتها تلك الكتب الضرورة الملحة لاضافة بعض الملحقات بها ..

فنحن أمام (رسائل موحدية) لم توجد - ولو واحدة منها - ضمن الرسائل الموحدية التي نشرها للاستاذ بروفنصال معهد الدروس العليا سابقاً ، وهي في مواضعها وفي أسلوبها طريقة تستدعي منا دراسة خاصة على حدة ، وقد كان في أبرز محرريها عبد المؤمن نفسه وابنه أبو يعقوب والكاتب عبد الملك بن عياش وأبو القاسم المواعيني وابن مصادق الخ

وقد وصف ابن صاحب الصلاة بعض الرسائل بأنها أربت على وصف الصاحب ابن عباد أو البليغ عبد الحميد ، وأعجزت كتابة أبي الفضل بن العميد ... وفي هذه الرسائل ما يعتبر مادة لدستور الحكم على عهد الدولة الموحدية هذا الدستور الذي كان يعتمد على الاصلاح القضائي الذي دعا اليه ابن تومرت والذي يتلخص في الاسترشاد بروح النصوص المقدسة قبل الاعتماد على أي مذهب من المذاهب الجارية

ونحن مع هذا أمام ديوان حماسة ومديح كذلك .. ولنتصور أنه عند كل بشرى بنصر — وياما أكثر أيام إنتصار الموحدين ! — .. كان الشعراء يهبون لعقد الندوات .

لا يعنيهم أن يكون ذلك في المهدية الشرقية بمناسبة الانتصار على جيوش روجي الثاني ، أو على قمة جبل طارق بمناسبة بناء المدينة الكبرى عليه ، أو في مدينة المهدية الغربية بمناسبة انتصار جبل السَّبِيكة أو في مدينة مراكش عند تجديد البيعة والتسمية بأمير المؤمنين أو عند البشرى بوفاق ، أو سلامة وصول أو إبلال من سقام بل وعلى قمة جبل الكواكب من قبيلة غمارة .. وفي أشبيلية بمناسبة حلول الأعياد أو تسجيل نصر أو استسلام مناوئ ، أو مصالحة حليف ...

لقد قرأنا شعراً لعبد المؤمن وابن حبوس وابن سيد المالقي وابن المنخل الشلبي وأبي العباس اللص والشاعر الطليق وأبي الحسين ابن صاحب الصلاة وأبي الوليد الشواش وابن المسفر وابن ميمون ، واليكي وابن حربون والشاطبي وأبي مروان ابن صاحب الصلاة والمواعيني وابن طفيل وابن عياش وأبي الحكم البلنسي ...

إلا أن الشعر (الرسمي) الذي يضمه الكتاب لا يخرج عن طابع الجدية .. فلا أثر فيه للتشبيب والمجون ، وأحب أن أذكر هنا بمناسبة الحديث عن هذا الديوان الذي يحتويه الكتاب أن نشيد مرة أخرى بالهواية الأدبية لابن صاحب الصلاة الذي حرص على مزج تاريخه بهذا التراث الفكري الذي كنا في حاجة اليه والذي أعطانا فكرة عن الحياة الأدبية إلى جانب الحياة السياسية على عهد الموحدين ، إلا أننا لا ننسى أن « العاطفة » فيما يتأكد قد دفعت بابن صاحب الصلاة دفعاً إلى اغفال أسماء بعض الشعراء ممن أنشدوا في بعض الندوات السابقة ، ويتعلق الأمر بشاعر فحل من عيون الشعراء المغاربة الذين نعتز بهم في هذه الحقبة من التاريخ وهو أبو العباس الجراوي صاحب كتاب الحماسة المغربية .. فابن صاحب الصلاة لم يردد صدى لذكره ولا لشعره ولم أجد لذلك تفسيراً إلا التفسير الذي « تفرس » به بعض المؤرخين المغاربة الذين عنوا بالبحث عن اسباب اختفاء اسم الجراوي من كتاب المعجب للمراكشي ، هذا التفسير الذي يمكن ان نلخصه في

« ثعبانية » لسان الجراوي التي قد تكون مست بعض الناس على أنه ممكن أن يكون للغَيْرة أيضاً أثرها على هذا الاهمال .. ولعل من اللائق تتميما للحديث أن نذكر ان ابن عذاري الذي سلخ جل كتابه من ابن صاحب الصلاة لم يفته أن يسوق جميع الشعر الذي نطق به الجراوي كأنما كان ينتقد صنيع من سلفه ، بل كان أحياناً يذكره وهو يستنزل عليه الرحمات ..

***

لقد حرصت في (المقدمة) التي وضعتها لهذا الكتاب أن أجسد ـ بقدر الامكان ـ مخطوط المن بالامامة كما هو ، وصححت بعض الاخطاء التي تناقلها المستشرقون الذين ترجموا لابن صاحب الصلاة ، ورأيت أن اشفعها بتذييل أسوق فيه النصوص التي نقلت عن ابن صاحب الصلاة في المؤلفات القديمة ، وذلك محاولة مني في أن أعطي للقارىء بعض الرأي عن محتوى المجلدين الضائعين الأول والثالث ، وهكذا نقلت من مخطوط نظم الجمان لابن القطّان في معرض حديثه عن طبقات الموحدين نصاً عن « أهل الخمسين » وأهل الدار ..

ثم نصاً عن غزوة تادلا سنة ٥٣٠ أول غزوات عبد المؤمن

ورسالة موحدية هامة بتاريخ سنة ٥٤٣ من انشاء ابن عطية المعروفة بالرسالة ذات الوصايا أحال عليها ابن صاحب الصلاة على أثر رسالة من انشاء ابن عياش سنة ٥٦١

كما نقلت عن كتابه (ثورة المريدين) الذي كان يحيل عليه ما أمكن الوقوف على بعض نصوصه في كتاب (الحلة السيراء) لابن الابار الذي نشره الاستاذ دوزي

ونقلت كذلك عن مخطوط ابن عذاري (البيان المغرب) عن فتوح عبد المؤمن منذ سنة أربع وثلاثين .. بما فيها فتح تلمسان وفاس ومراكش .. ثم نصوصاً تتعلق بالاحداث التي ذكرت دون شك في المجلد الثالث مثل الوباء الذي استهدفت له مراكش سنة ٥٧٢

وفتح الخليفة أبي يعقوب لمدينة قفصة سنة ٥٧٥ والشعر الذي أنشده ابن صاحب الصلاة بهذه المناسبة ، ثم حركة الخليفة لبلاد السوس لحماية المعدن سنة ٥٧٨ .. وأخيراً أخبار ابن صاحب الصلاة عن غزوة شنترين سنة ٥٨٠ ومشاهداته بنفسه الواقعة الكبرى وحديثه عن مراحلها وانطباعاته فيها حديثاً يذكر بحديثه عن غزوة وبذة ، ولم أغفل بعض القول مما ورد في الذيل والتكملة لابن عبد الملك

ثم ألممت بما نقل عنه في زهرة الآس وروض القرطاس ، والحلل الموشية والاحاطة في أخبار غرناطة ونفح الطيب

هـذا وقد رأيت لزاماً لمن يريد الوقوف على مواقع المدن والقرى والأودية التي عرضت لها نصوص الكتاب أن أقوم باعداد خريطة تاريخية خاصة تجمع سائر الأمكنة التي جرى ذكرها في الكتاب وكان ذلك بالنسبة الي فرصة أخرى للتأكد من كل التعريفات التي أعطاها المؤرخون والجغرافيون للبقاع المذكورة ، وقد استعنت في وضع الخريطة بمصادر وثيقة واستأنست في وضع سلمها وتقدير المقاييس بين جهاتها بمختصين في وضع الخرايط

وحتى أضمن للقارئ الرجوع بسهولة إلى ثنايا الكتاب بمختلف مظاهرها ومواضيعها « طلّعت » عشرة فهارس : الموضوعات ـ الشعر ـ الرسائل ـ أسماء الأشخاص ـ القبائل ـ الأمكنة ـ الكلمات التي لها مدلول خاص ـ الكتب المذكورة في المخطوط ـ الأمثال العربية ـ المصادر

وقد حرصت في فهارس الرجال والنساء على تسهيل البحث ، لذلك فاني أذكر الشخص تحت الحرف الذي تبتدئ به أسرته ، وقد أذكره كذلك تحت الحرف الذي يبتدئ به اسمه أو لقبه أو كنيته متى كان قد اشتهر بشيء من ذلك ، ثم أنني جعلت أمام أسماء المدن الأندلسية أسماءها بالأسباني ، ليتسنى الرجوع إلى المعاجم المختصة من أجل التثبت

من المعلومات المقدمة عن المدينة أو القرية

وبعد .. فان (تاريخ المن بالامامة) ليعتبر بكل تأكيد ذخراً نفيساً من الآثار العربية التي لا يكفي فيها تقديم سريع كهذا .. ولكنه تراث يستحق كلٌ جانبٍ منه دراسات خاصة ومتفرعة ، ولنا الأمل في أن نشرنا له بكامله سيساعد رجال التاريخ والأدب على استكمال العناصر التي عملت على ازدهارها تاريخنا وأدبنا في العصر الوسيط

بغداد في ١/٢/١٩٦٤ عبد الهادي التازي

تحية المجمع

حيا المشير الركن عبد السلام محمد عارف مجمعنا العلمي العراقي بالكلمة التالية : .

بسم الله الرحمن الرحيم

يرتكز تاريخ العرب والمسلمين ويعتمد تراثهم الفكري على صنفين من القادة : قادة الفتح وقادة الفكر

لقد أنجز المجاهدون الأولون من قادة الفتح بعد الاسلام مهمهم الكبرى في فتح الامصار ونشر لغة القرآن ومبادىء القرآن في ربوع البلاد المفتوحة ؛ فكان الفتح الاسلامي بحق فتحاً (مستداماً) ؛ لانه كان فتح مبادىء وعقائد ؛ اما غيره من الفتوحات القديمة والحديثة ؛ فقد عفى الدهر على آثارها بعد انحسار مدها لأنها كانت (استعماراً) لا (فتحاً) ، فهي سيطرة قوة واستغلال موارد وطاقات

وكما كان للمجاهدين الأولين من قادة الفتح الاسلامي فضل على جعل هذا الفتح (مستداماً) خلافاً لغيره من الفتوح ؛ فقد كان لقادة الفكر فضل لا يقل أهمية عن فضل قادة الفتح في ترسيخ أركان الفتح الاسلامي العظيم

واذا كان دور قادة الفتح قد انهى ؛ فان دور قادة الفكر لم ينته ولن ينتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها

إنّ المجمع العلمي العراقي الذي هو أعلى هيئة علمية في البلاد ؛ لا بدّ ان يتحمل رسالته

كاملة في بلورة أهم أهداف ثورة ١٤ رمضان المبارك في نشر الثقافة العربية والاسلامية التليدة ، والعمل على رفع مستوى الثقافة العربية والاسلامية الجديدة

ولست أشك أبداً ، في أن المجمع العلمي العراقي في هيئته الجديدة التي انبثقت بعد هذه الثورة المباركة سيتحمل رسالته هذه بصبر وعزم واصرار وتصميم ، وسينجح باذن الله في ترسيخ أقدام الثقافة العربية والاسلامية في العراق خاصة وفي البلاد العربية والاسلامية عامة .

وسأكون أول من يأخذ بيد هذا المجمع لأداء رسالته على أحسن وجه وبأقرب وقت ، وسأعمل على تذليل كافة العقبات التي تعترض طريقه الشاق الطويل

وسأكون شاكراً للمجمع في ديوان الرئاسة وفي هيئته العامة فيما لو تقدموا بما يريدونه من معاونة حين استمع الى رغباتهم المفيدة من الأخ الكريم اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع

تحيةً خالصةً من أعماق القلب للمجمع العلمي العراقي في عهده الجديد ، والله أسأل أن يأخذ بأيدي أعضائه العلماء الافاضل لخدمة العروبة والاسلام

المشير الركن

عبد السلام محمد عارف

رئيس الجمهورية العراقية

جواب السيد الرئيس الأستاذ محمد رضا الشبيبي عن الرسالة المذكورة

السيد عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية المحترم

تحية طيبة وسلاماً

وبعد تلقى المجمع العلمي العراقي ببالغ الشكر وفائق الاغتباط تحيتكم الجميلة التي تفضلتم بتوجيهها اليه ، وقد كانت رسالة مجمعنا بحاجة ماسة إلى هذه اللفتة الواعية والبادرة الحسنة من جانبكم لأنها مفتاح التعاون بين السلطات العراقية العليا والمجمع ، وذلك في سبيل النهوض به وتمكينه من اداء رسالته ، وتحقيق اغراضه في نطاق اشمل وحدود اوسع مما كان عليه قبل اليوم ، هذا واغراض المجمع كما لا يخفى لا تعدو النهوض بالدراسات والبحوث على اختلاف موضوعاتها من علمية إلى ادبية او فنية ، ومن اهم اغراض المجمع معاضدة حركة التأليف والنشر والترجمة بشتى الوسائل الممكنة ، والمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الفنون والعلوم ، هذا إلى تعزيز صلة المجمع بالمجامع العلمية الأخرى وبالجامعات ، وكذلك العناية التامة بحفظ تراث العرب والاسلام ومصنفاتهم سواء أكانت مخطوطة ام مطبوعة نادرة ، والعمل على تحقيق ما يحتاج إلى التحقيق منها ، ونشره بعد ذلك ، ولا يخفى ما يتطلبه القيام بهذه المهام من الجهود المضنية والنفقات الكافية .

ومما يضاعف اغتباطنا ذلك الوعد الجليل الذي قطعتموه في رسالتكم الموجهة

الى هذا المجمع مؤكدين له كما ورد في الرسالة انكم « أول من يأخذ بيد المجمع لاداء رسالته على احسن وجه وباقرب وقت وستعملون على تذليل كافة العقبات التي تعترض طريقه الشاق الطويل »

وعلى هذا الوعد القاطع ، وعلى الأخذ بيد المجمع والتعاون معه يعتمد اعضاؤه العاملون وديوان رئاسته في النهوض به حثيثاً ، وتحقيق اغراضه الشريفة ، والمجمع على ثقة بان الوفاء بهذا الوعد الصادر من جانبكم لا مناص منه ان شاء الله ، ونعتقد أن السيد وزير البلديات والشؤون القروية - وهو من اعضاء المجمع العاملين - باذل جهده في سبيل تحقيق مطالبه ، وتيسير حاجاته الملحة في عهده الجديد ، هذا ولا يسع مجمعنا عوداً على بدء إلا أن يتقدم اليكم بجزيل الشكر وختاماً تقبلوا ايها السيد الرئيس مني ومن اخواني اعضاء المجمع فائق التقدير والاحترام

محمد رضا الشبيبي

رئيس المجمع العلمي العراقي

العقــاد

فقيد مجامع اللغة العربية

نص الكلمة التي القاها الاستاذ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي في حفلة تأبين الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله وهي الحفلة التي اقامتها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين في قاعة الشعب ببغداد مساء الخميس ٢ محرم ١٣٨٤ هـ الموافق ١٤ مايس ١٩٦٤ م

أيها السادة الأفاضل :

سلام الله عليكم وبعد : أرى لزاماً علي أن اتقدم بوافر الشكر إلى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين على دعوتها أياي للمشاركة في هذا الاحتفال الذي تقيمه لتأبين الكاتب العربي الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله

سأقتصر في كلمتي على عرض بعض الملاحظات والارتسامات عن سيرة الزميل السيد العقاد في مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي ينعقد في القاهرة كل عام

لا يخفى ان للعربية في عصرنا هذا بالذات خصوماً تفننوا في غمزها بحجة ضعفها وعدم وفائها او قصورها في التعبير عن مطالب الحياة في هذا العصر ، وقد رأينا الفقيد الجليل ينتهز كل فرصة تسنح له سواء أ كان ذلك في الصحف التي يحرر فيها أم في الهيئات التي ينتمي اليها ، ومنها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، والمجمع اللغوي ، ومؤتمره مبرهناً بالحجج الدامغة على أن لغتنا أوفى اللغات ، قديمة وحديثة ، غربية وشرقية بالتعبير عن مطالب الحياة ، فالعربية فيما يرى العقاد اداة عالمية من أصلح أدوات البيان الانساني ولا يعرف علماء اللغات ـ في مذهب العقاد ايضاً ـ لغة تتراءى لنا من خلال مصطلحاتها

وجملها ومفرداتها ، ملامح الناطقين بها ، ومظاهر اخلاقهم وطبايعهم وصفات أوطانهم واطوار حياتهم فيها ، وذلك في مختلف اساليبها البيانية من حقيقية ومجازية

واما عن صعوبة الكتابة في الابجدية العربية وتوريط قرائها بكثير من الاوهام والاغلاط على ما يزعمون ، وحاجتها إلى الاصلاح او إلى التغيير بخلاف غيرها من الكتابات الفرنجية فان العقاد رحمه الله طالما نهض من مكانه في المؤتمر اللغوي قائلا : ليس في الامكان ابدع مما كان ، ولا توجد عندنا حروف او ابجدية مفتقرة إلى اصلاح كبير إلا في مخيلة الضعفاء والمقلدين ، ولنا أن نقول : كان الرجل فذاً بين أعضاء مجمعنا اللغوي بل كان في غنائه وتأثيره وسلامة منطقه وإيمانه الراسخ بفكرته مجمعاً عربياً قائماً بذاته ، وكان له من جهارة صوته في المؤتمر ووضوح ملامحه ومن قوامه الفارع ما يدعم وجهة نظره في حومة النقاش الذي يجري في قاعة المؤتمر اللغوي المنعقد في القاهرة بشأن تلك البحوث ، وقلما رأينا احداً اخذ عليه غلطاً او سقطاً في جملة من تلك الجلسات مع أنه كان يرتجل ما يقول ارتجالا يستغرق مدة غير قصيرة في كثير من الاحيان

اختير العقاد عضواً عاملا في المجمع اللغوي سنة ١٩٤ فهو أقدم عهداً بهذه العضوية من هذا الشخص الماثل بينكم بثماني سنين ، ومن ذلك الحين ثابر العقاد على شهود دورات المؤتمر واجتماعات مجلسه ولجانه ، واختير عضواً في اكثر من لجنة فهو عضو في لجنة احياء التراث العربي وفي لجنة اللهجات ولجنة المعجم الكبير ولجنة الاصول إلى غير ذلك

والحق ان مظاهر نشاط العقاد كلها سواء أكانت في اللجان ام في المجلس ام في المؤتمر جديرة بالتقدير والاكبار ، ولا ننسى كلماته الرائعة في استقبال زملائه الجدد من اعضاء المجمع فان له اكثر من كلمة رائعة استقبل فيها اكثر من عضو عامل جديد ، ومن ذلك كلمته في استقبال زميله الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني رحمه الله ، وأخرى في استقبال الشاعر عزيز اباظة ، والعقاد هو الذي استقبل كاتب هذه الكلمة عضواً في المجمع وذلك في الدورة

الخامسة عشرة المنعقدة سنة ١٩٤٨ بخطاب حافل بكل ما يم عن حسن ظن ورأي جميل وبحث دقيق ، وكان واجباً علي ان ارد على تلك التحية بمثلها قائلا ما هذا لفظه : ـ من بواعث اغتباطي في هذا اليوم الذي يحتفل فيه المجمع باستقبال من يستقبل من اعضائه الجدد ان يتفضل الاستاذ السيد العقاد فيلقي كلمة بهذه المناسبة فاذا هي كلمة كريمة كان لها ابلغ الأثر في نفسي ، وغير كثير من الاستاذ هذا التشجيع إذ مضى عليه زمن ليس بالقصير وهو ينشد تعزيز هذه الرابطة الوثيقة بين ابناء الاقطار العربية ، ونحن في العراق نعقد الآمال الجسام على تعزيز هذه الروابط الجديدة ، ونرى من خلالها طلائع عصر من عصور التعاون والاصلاح في هذه الاقطار ، ولهذا لا يسعني إلا ان اشكر للسيد العقاد فضله ولطفه الجزيل واني لسعيد حقاً ان اشهد هذا المؤتمر حاملا اليكم تحية عاطرة من العراق واعجاباً عظيماً من ابناء الرافدين بالاغراض النبيلة والمقاصد الجليلة التي تأسس من اجلها مجمع اللغة العربية

هذا ومما تميز به فقيد المجمع عناية ظاهرة بمتابعة مراحل النهضة الادبية والحركة الفكرية العامة في الشرق العربي ، وهي عناية انفرد بها عن كثير من اعلام الأدب بين اخواننا المصريين فهو معني باعداد بحوثه وكلماته في نقد المؤلفات التي تظهر في بعض هذه الاقطار او في الكتابة عما يخرجه ادباؤها من بحوث ودراسات ، ومن هذا القبيل عناية أخرى له في التعقيب على بحوث الاعضاء الذين يمثلون الاقطار العربية في المجمع اللغوي من عراقيين وشاميين ولبنانيين وغيرهم ، وهي عناية تشف في الغالب عن ضرب من التقدير والتشجيع ولهذه النظرة معناها في تعزيز روح الاخاء والوحدة الثقافية بين ابناء الاقطار المذكورة

هذا ولا ننسى كلماته البليغة في تأبين اعضاء المجمع الراحلين ، واحسن ما في هذه الكلمات براعته في التعريف بخصائص زملائه المنتمين إلى مجمع اللغة العربية واحاطته بجهودهم ومجالات نشاطهم احاطة تامة ، كما كتب عن عدد من اعلام العلم والأدب في مصر احياء

وامواتاً وترجم لهم ، ومنهم الاستاذ احمد لطفي السيد رحمه الله وذلك بمناسبة انتخابه لرياسة المجمع اللغوي على انه قلما كتب عن احد فيما نرى كما كتب عن الكاتب المصري الأديب احمد حافظ عوض مؤلف كتاب فتح مصر الحديث وقصة اليتيم إذ جاءت كلمة العقاد في تأبين هذا الكاتب وهو عضو عامل في المجمع رائعة حقاً اشاد فيها بملكاته الأدبية على شكل يشعرنا بان العقاد كان متأثراً بهذا الاديب ماخوذاً باسلوبه بل كان فيما نرى يحتذي مثاله ويترسم خطاه في الترسل والكتابة ، وهذا فيما ارى رأي جديد في بعض من احتذاهم العقاد الكاتب الأديب في منهجه وفي اساليبه الكتابية ، ولنا أن نقول إن الزميل الفقيد رحمه الله ساير المجمع اللغوي بعلمه الغزير وثقافته الواسعة ، وذلك منذ ان اختير عضواً عاملاً فيه سنة ١٩٤ إلى ان وافاه الاجل المحتوم في هذا العام

اربع وعشرون سنة خلت ثابر العقاد خلالها على المشاركة في دوران المؤتمر ، وفي اجتماعات مجلسه باستثناء السنتين الاخيرتين فقد لاحظنا تخلفه عن عدد من الجلسات لحاجته إلى الاستجمام في بلده اسوان ، واتضح لنا من ضعفه وهزاله الظاهر تمكن العلة منه وقد افتقدناه في آخر دورة من دوران المؤتمر التي شهدناها منذ عهد قريب وهي الدورة الثلاثون التي عقدت ـ في ٢٤ شباط سنة ٦٤ إلى شهر مارت ١٩٦٤ ـ وقيل لنا انه نقل إلى بعض مستشفيات مصر الجديدة اثر اصابته بمرض عضال منع عواده من الوصول اليه، وبارحت القاهرة وهو في المستشفى ونعاه الناعي رحمه الله فور وصولي إلى بغداد

كان مؤتمر المجمع اللغوي يجمع بيننا في كثير من الجلسات ، وكان رحمه الله لطيفاً في مبادأته بالترحيب ، وقد جرت عادته ان يتحفني باحدث مؤلفاته مطرزة بارق العبارات ، ومن آخر هداياه بحث موجز عن مزايا التعبير والفن في اللغة العربية عنوانه ـ اللغة الشاعرة ـ وما الطفه من عنوان وما امتعها من رسالة ـ رحم الله العقاد امير البيان والكاتب المبدع والمصنف المجود والمترسل البليغ ، وفي هذا القدر كفاية والسلام عليكم ورحمة الله

عباس محمود العقاد

١٨٩٩ - ١٩٦٤

فقـدت الامة العربية بوفاة العقاد ، علماً من اعلام نهضتها الفكرية ، واماماً من ائمة التجديد في آدابها الحديثة ، ومجاهداً مستبسلاً في الدفاع عن حق الانسان في الحرية ، وفي تقرير نزعته الأصيلة إلى الايمان

وان للفقيد في حياته العريضة المفعمة بالعمل ، وفي آثاره الضخمة المليئة بالعمق ، جوانب متعددة لا تستوفيها إلا الدراسات المستفيضة ، وحسبي في مقام تأبينه أن ألم ببعض خصائصه ، وان أجمل من مزاياه ما يكون التعريف به أقرب إلى سنن هذه المجلة ، وأدنى إلى الرسالة المجمعية التي تتصدى لها

وأولى هذه الخصائص أنه كان ـ رحمه الله ـ عنواناً لتبدل الحال في آداب اللغة العربية في مدى ستين عاماً ، قضاها عاملاً من أقوى العاملين وأبعدهم أثراً في سبيل ذلك التبدل . فقد بدأ حياته الأدبية في مطلع القرن العشرين والطابع الغالب على الشعر والنثر ، طابع التقليد للاقدمين ، والوقوف عند ما هو مألوف من أبواب الأدب في أغراضه وأساليبه ، مع شيوع الاسراف في الصنعة والتكلف وندرة الابداع والابتكار فكان هو وصاحباه ـ عبد الرحمن شكري وابراهيم المازني ـ من الرواد الذين قادوا حركة التجديد ، ودعوا

إلى أن يكون الأدب تعبيراً عن تجارب الحياة ، وكشفاً عن أسرار النفوس ومجالا لابداع الافكار وتجدد الثقافات ، وتباين الطباع وتمايز الشخصيات ولم يقتصروا على ارساء قواعد النقد وتقرير أصوله ، ولا على تطبيقها على الأمثلة السـائدة ، وبيان ما فيها من الضعف والزيف ، بل كان في انتاجهم من الشعر والنثر ، ما يعتبر نماذج رفيعة لدعوات التجديد وما لبثت هذه الدعوات ان وجدت طريقها إلى النفوس ، فتأثر بها الكتّاب والشعراء ، وتجلت في انتاجهم ، فاتسعت ميادين الأدب ، وصحت الأساليب ومالت إلى ترسل السليقة وخلت من بهرج الصنعة ، وارتفعت النماذج وتمايزت بتمايز شخصيات اصحابها فما كان يعتبر من البدع في أجواء الكتابة ، مما تكفل بالدعوة اليه العقاد وصاحباه ، قد أصبح من المذاهب المقررة والاصول الراسخة وإذا كان تاريخ الحركات الفكرية ، لا ينفصل عن قادتها ، فالعقاد أحد هؤلاء القادة ، فلا جرم أن يقال أنه يمثل عصره لا بمجرد التأثر بتيارات العصر والانفعال بها ، بل بالتأثير فيها ، وتحديد وجهاتها وبعث النشاط والحيوية في مجالاتها

وثانية هذه الخصائص أنه كان ـ رحمه الله ـ مثالا رائعاً لتفتح الثقافة العربية على الثقافات الاجنبية والتقائها بها فقد بدأ حياته الفكرية على أساس سليم من الثقافة العربية والاسلامية ، متأثراً مما كان سائداً في ذلك العهد ، بدعوات الاصلاح كما نادى بها السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ، وبما كان ينشر من كتب التراث العربي والاسلامي ومضى مع الأيام ينهل من معين تلك الثقافة ويستوعب أصولها ويتعمق أسرارها واتفق له أن تعلم اللغة الانكليزية منذ صباه الباكر ، وما زال يزيد حظه منها ، حتى اتقنها ، فكانت سبيلا يسد نهمه للمعرفة ويرضي تطلعه اليها ، فاحاط بالوان من الثقافة الاوربية عامة حديثها وقديمها ، وتفهم كثيراً من نماذج الأدب الاوربي والانكليزي خاصة ، ونفذ إلى أعماق طبيعته ، كما استوعب الحركات الفكرية ومذاهب الفلسفة والاجتماع وتجلى منذ

أول عهده بالكتابة الأدبية هذا الأثر المزدوج في الثقافتين العربية والاوربية ، سواء في فصاحة العبارة وسلامة الأسلوب أو في استقامة المنطق وسداد التفكير ، ووقف موقف الناقد الممحص لكل من الثقافتين ، يستمد من كل منها النماذج الانسانية الرفيعة ، التي لا تنحصر في حدود ضيقة من الزمان والمكان ، ويشيد بالقيم العالية التي ينشدها الانسان حيثما يكون ، ووعت العربية على يديه الامثلة الصالحة من أدب الغرب حتى لم يبد أنها مجرد ترجمة ، ونقلت بعض آثاره من شعر ونثر إلى اللغات الاوربية ، فجاءت كأنها قد كتبت بها أصلاً ، وتقبلها النقاد كما يتقبلون كتابات المجيدين من ادبائهم بالاستحسان والتقدير

وتجلت عنايته بأحياء التراث العربي الاسلامي وتجديده في السنين الأخيرة من حياته خاصة ، فبلغ شأواً عالياً في تصوير العبقريات الاسلامية ، وعلى رأسها عبقرية محمد (ص) ، حيث كشف فيها نواحي العظمة فيهم ، وكيف سلكوا في هداية الانسانية إلى مثلها الرفيعة وقيمها العالية كما جاءت تراجمه للشعراء ورجال الفكر من أمثال ابن الرومي وجميل بثينة وأبي نواس وابن سينا وابن رشد والغزالي، على حظ واف من الاتقان والاحكام. وامتازت عبقرياته وتراجمه بتطبيق موفق للمنهج النفسي في الدراسات الأدبية، فكان له من نفاذ البصيرة، وسداد الرأي وصدق العاطفة ، ما أدى به إلى تصوير شخصياته على حقيقتها تصويراً يجعل كلا منها متميزة بخصائصها التي تحدد وجهاتها في السلوك والتصرف ، وتعين مكانتها في مجرى الحوادث أو في تطور الفكر والأدب ويلحق بهذه الدراسات ، ما اهتدى اليه من كشوف عن الدعوة الاسلامية وما امتازت به من مبادىء وأصول ترتفع بالانسانية وتهديها إلى منزلة سامية في شؤون المجتمع وفي شؤون العقيدة والايمان وتجلى في هذه الدراسات الاسلامية عمق نظراته الفلسفية ، واتساع ثقافته ، وصدق إيمانه ، فكان فيها تفسير مجدد لأصول الدين الحنيف يعز له النظير

ويتصل بذلك، إيمانه العميق باللغة العربية، وصلاحها للتعبير عن شؤون الفكر وشؤون الفن على السواء فلم يكتف أن يجعل من شعره ونثره نماذج عالية لاتساع اللغة العربية ومرونتها، بل عمد إلى دراسات تحليلية تكشف عما في تلك اللغة من مزايا التعبير، حتى وصفها باللغة الشاعرة، وأعلى منزلتها بين اللغات وأبدى من الغيرة عليها والدفاع عنها والتمسك بأصولها ما جعله يقف في وجه كثير من الدعوات المضللة، ومنها استعمال العامية في الكتابة الأدبية، أو استعمال الحروف اللاتينية، أو التخلص من بحور الشعر وأوزانه

وآخر ما نستعرض من خصائصه في هذا المقام، تطلعه الدائب إلى المعرفة، وسعيه المتصل الى الاحاطة بألوان متعددة من الثقافة، فلم يفته متابعة التطورات العلمية الحديثة، فضلاً عن استيعابه للنماذج الأدبية وللحركات الفكرية ومذاهب الفلسفة والاجتماع فاجتمعت له معرفة موسوعية محيطة، أعانه على اكتسابها الفهم النافذ والذاكرة الدقيقة والنهم الذي لا ينقطع إلى المعرفة

تلك هي الخصائص التي جعلت من الفقيد مجمعياً من الطراز الأول، يقود الحركات الفكرية ويبدل الاتجاهات الأدبية، ويترك طابعه على عصره، فلا يغفله المؤرخون، ويكون مثالا رفيعاً وللايمان بالثقافة العربية الاسلامية وتجددها وتفتحها على الثقافات العالمية والتقائها بها على مر العصور، وللدفاع عن اللغة العربية والكشف عن مزاياها الدقيقة، فضلا عن المعرفة الواسعة الشاملة التي يقل له فيها النظراء في عصر التخصص والتفريع وهي الخصائص التي تسلكه في موكب الخالدين، والتي جعلت المجامع تعتز بانتسابه اليها

رحمه الله رحمة واسعة وأثابه ثواب الصالحين بما عمل على خدمة أمته ودينه وخدمة الانسانية والأخلاق وخدمة الفكر والثقافة

عبد العزيز البسام
عضو المجمع العلمي العراقي

الشيخ محمد رضا المظفر

عضو المجمع

كلمة الاستاذ محمد رضا الشبيبي التي القيت في حفلة أربعين الفقيد الشيخ محمد رضا المظفر عضو المجمع العلمي وهي الحفلة التي أقيمت في النجف من قبل جمعية منتدى النشر بتاريخ ١٩٦٤/٣/٢٧

حضرات الشيوخ والسادة الاجلاء

قال عز من قائل « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (صدق الله العظيم)

لا نبالغ إذا قلنا إن الفقيد تغمده الله بالرحمة كان مصداقاً لمفهوم هذه الآية الكريمة وإن سيرته الطاهرة لتشهد بأنه ممن اوتوا تلك المنزلة التي يقترن فيها العلم الواسع بالايمان الراسخ ، وهذه المنزلة هي المقصودة بالآية الكريمة « ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم »

كان رحمه الله ممن أوتوا ذلك النصيب الموفور حيث اقترن لديه العرفان بالايمان وبالعاطفة الروحية ، ولا يخفى أن المربي الصالح والراعي الرفيق هو الذي يجمع بين هاتين الخصلتين ، وقد عني فقيدنا بشؤون التربية العامة عناية بالغة مارسها على نهجين :

أحدهما تربية النشيء في المدارس والمعاهد التي أسسها ورسم خططها ومناهجها

والآخر تعليم الراشدين بعد تربية الناشئين ، وذلك بالمواظبة على تدريس علوم الشريعة الاسلامية حيث كان له مجلس درس او بحث يختلف اليه جماعة من طلاب العلوم الدينية

ولد رحمه الله بالنجف ودرس في معاهدها ، وفي مقدمة اساتذته شقيقه العلامة الكبير الراحل الشيخ محمد حسن المظفر ، هذا ولم تفت فقيدنا رحمه الله تلك الملكة القدسية ملكة الاستنباط ، ورد الفروع إلى أصولها وذلك في مقتبل عمره حيث حصل على أكثر من اجازة علمية اجاز له بها جماعة من كبار العلماء ، وقد انصب بعد ذلك على التأليف واخرج عدة تصانيف راجت رواجاً حسناً من أشهرها كتاب المنطق في ثلاثة اجزاء وكتاب اصول الفقه في اربعة أجزاء انجز منها ثلاثة ،هذا وله بحوث نشرت في جملة من الصحف والمجلات عالج فيها عدداً من الموضوعات الاجتماعية والعلمية والدينية ، وله محاضرات في مناسبات شتى القاها في العراق وغير العراق من البلدان التي زارها او دعي إلى زيارتها ، منها محاضرة القيت في مهرجان (كراجي) الذي أقيم في باكستان بمناسبة مرور اربعة عشر قرناً على ميلاد الامام علي عليه السلام ومحاضرة القاها في مهرجان (جامعة القرويين) بمدينة فاس سنة ١٩٦٠ قارن فيها بين المناهج المتبعة في جامعة النجف وجامعة القرويين بمدينة فاس

وفق الفقيد في هذه المحاضرة التي استمع اليها جمهرة ممن دعوا إلى ذلك المهرجان وكان على جانب من عمق التفكير وسداد الرأي حيث قوبل بحثه بمزيد من التقدير والاستحسان ، وقد استهله بملاحظات لطيفة عن القطيعة والجفاء بين كثير من الاقطار الاسلامية في العصور الحديثة ، وعن أثر الاستعمار في هذه القطيعة ، ثم خلص من ذلك إلى أن جامعة النجف صنو جامعة القرويين في قدم عهدها اذ تأسست أول قاعدة لها ـ أي لجامعة القرويين ـ في القرن الثاني للهجرة ، وقد ذهب في هذا البحث إلى أن جامعة النجف لا تختلف عن سائر الجامعات الاسلامية القديمة في مناهج دراستها للفنون العربية والعلوم الاسلامية وذلك من حيث كونها دراسة خصوصية حرة لا دراسة صفية مقيدة ، كما لاحظ أن الحرية مطلقة للطالب في اختيار المدرس والكتاب ، هذا هو رأي الشيخ في المقارنة بين جامعة النجف وجامعة القرويين وانهما صنوان في التاريخ والمنشأ ووضع المنهج ، والواقع ان جامعة الكوفة

ولا يوجد فرق بعيد بين النجف والكوفة ، ولا تفصل بينهما مسافة يعتد بها هي أقدم من جامعة القرويين بكثير ، وما منبر الكوفة الذي ألقيت من فوقه خطب الامام علي - وهي خطب طافحة بالعلم والفقه والحكمة وأصول الدين وأحكام الشريعة - وما جامع الكوفة الذي شهد أحكام الإمام في الاشتراع كما شهد أقضيته في الواقعات المعضلة ، نقول ما كان ذلك المنبر إلا جامعة كبرى قلما وازنها في القدم جامعة اسلامية

لولا جامعة المدينة بعد الهجرة الشريفة اليها ، ولولا جامعة الكوفة واختها جامعة (البصرة) لما نشأت الجامعات الاسلامية التي عولت عليها ورجعت إليها بعد ذلك ، ومنها جامعة القرويين وجامعة القيروان وجامعة الزيتونة وجامعة الأزهر وجامعة بغداد حتى جامعة قرطبة ، فعلى جامعة الكوفة والبصرة عولت الجامعات الاسلامية في مآخذها من علوم الاسلام وفنون العربية نحوها وصرفها ولغتها ، ولا حاجة بنا للتنويه بمذهب الكوفيين وأئمته واعلامه في هذه العجالة ، ولنا أن نقول ان جامعة الكوفة هي الأصل وباقي الجامعات فروع

يقول الشيخ رحمه الله في بحثه هذا الذي القاه في مهرجان القرويين « لقد تقدمت بنماذج من الكتب التي تدرس وتقرأ في جامعة النجف أضعها بين يدي السادة العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولتعكس لديهم المراحل التطورية لدراسة العلوم الشرعية » ويقول أيضاً « وسأحمل معي بعض الكتب التي تدرس في جامعة القرويين لاضعها بين ايدي العلماء من المشرفين على جامعة النجف كوسيلة من أهم وسائل التعاون بين الجامعتين ، وارجو أن نجد في هذه الانواع من الكتب مجالا للالتقاء تقتضيه وجهات التشابه بينها ووحدة الهدف في نشر الثقافة الاسلامية في أوسع مجالاتها » وقد ختم هذا البحث بقوله :

« وحسبنا أن نسجل لجامعة القرويين واخواتها من الجامعات الاسلامية فضلها في الحفاظ على لغة القرآن الكريم وآدابه وعلومه وذلك بعد أن اجتازت البلاد الاسلامية مراحل خطيرة مظلمة كادت تقضي على الاسلام واللغة العربية » هذا بعض ما قاله في رحلته الى

المغرب ننقله عن كلمته التي القاها في مهرجان فاس ومعنى هذا ان رحلته لم تكن رحلة عادية بسيطة وإنما كانت رحلة مصممة رسم اهدافها وغاياتها قبل القيام بها بمدة

هذا وهناك ناحية أخرى من سيرته رحمه الله لها خطورتها من حيث النشاط الاجتماعي العملي فكانت له بالاضافة إلى ما تقدم ، تلك اللفتة البارعة إلى ناحية الاصلاح الاجتماعي ، وضرورة تعديل مناهج الدراسة في النجف على أساس تنقيحها وتلقيحها بضروب من المعارف والفنون الحديثة اذ كان ينظر إلى مناهج الدراسة في المدارس القديمة نظرة فحص وانتقاد فهو يرى أن مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية وما بعدها مضنية شاقة يضيع فيها كثير من الطلاب اعمارهم ، وقد يتوقفون فيها عن السير ولا يلحقون بالطليعة المجدة فخلص من ذلك إلى ضرورة فتح مدارس حديثة منظمة هي مدارس منتدى النشر وذلك وفق مناهج يتلافى فيها كثير من النواقص التي يتشكى منها ، ولا يعلم إلا الله مبلغ العناء والجهد الذي يتطلبه فتح مثل هذه المدارس والمعاهد في مثل الظروف التي يجتازها محيط النجف خاصة والبلاد الاسلامية عامة في ذلك الحين

هكذا تيسر لجمعية منتدى النشر ان تنشأ كلية للفقه لتخرج طلاباً لهم الاستعداد الكافي لحضور حلقات دروس يلقيها كبار الاساتذة بالاضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى مزايا الدين الاسلامي وتبليغ مبادئه من على منابرهم او بواسطة استخدام اقلامهم في البحث والكتابة.

انتخب الفقيد عضواً عاملا في المجمع العلمي العراقي وذلك في شهر آب من سنة ١٩٦٣ وكان يواظب على شهود جلسات المجمع على ما كان يعانيه من المرض العضال الذي توفي فيه

هذا ولا يخامرنا ادنى شك بان هذه الجهود المضنية المثمرة كانت من جملة العوامل التي انهكت قواه ، وأثرت في صحته العامة ، والذي نعلمه أنه كان لديه مخطط آخر لانجاز غير تلك الاعمال الاجتماعية والعلمية ولكن المنية عاجلته ، ولا حيلة لنا في قضاء الله تعالى وقدره وبذلك فقدنا رجلاً فذاً من أفذاذ الرجال في علمه وعمله واخلاصه ونشاطه تغمده الله برحمته والحقه بالشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا

محمد رضا الشبيبي

الفقيد في سطور

عن سجله الخاص في المجمع

* ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٠٦

* درس في معاهد النجف علوم العربية والمنطق والفلسفة والرياضيات والفقه وأصوله وأجيز في الافتاء وبرع في معرفة العربية والفارسية

* مارس الخدمات والأعمال التالية :

١ — امانة سرّ جمعية منتدى النشر

٢ — رئاسة » » »

٣ — عمادة كلية الفقه

٤ — التدريس في معاهد النجف

٥ — تدريس الفقه وأصوله والفلسفة الاسلامية في كلية الفقه

* أختير عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٣

* اشهر مؤلفاته :

(١) عقائد الامامية (٢) المنطق (٣) أصول الفقه (٤) على هامش السقيفة

المقالات التي نشرها

(١) أحلام اليقظة في جريدة الهاتف ومجلة العرفان سنة ١٩٤٦

(٢) المثل الافلاطونية عند ابن سينا — في مجلة البذرة سنة ١٩٥١

(٣) حرية الفكر في الاسلام — مجلة النجف — السنة الأولى ١٩٥٦

* وللفقيد محاضرات غير قليلة في جملها المحاضرات الآتية :

(١) أحلام اليقظة

(٢) الشيخ الطوسي مؤسس جامعة النجف

(٣) فضائل أمير المؤمنين

(٤) مقارنة بين جامعة النجف الأشرف وجامعة القرويين في المغرب (منشورة في المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع)

* توفي في ١٧ رمضان سنة ١٣٨٣ هـ الموافق ٣١ كانون الثاني ١٩٦٤ وقد نعته الدوائر العلمية وأبنته الصحف العراقية

أقيم له حفل أربعيني شهده ممثلون عن المجمع العلمي العراقي وجامعة بغداد وجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين وتليت فيه كلمات تأبينه من دارالتقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة ومن جامعة القرويين في المغرب ، ومن الأزهر الشريف وجماعة العلماء في النجف كما ألقيت قصائد وكلمات قيمة لجماعة من مجودي الشعراء و الأدباء العراقيين ونشر أكثر ما ألقي من هذا القبيل في المجلات والصحف العراقية

جامعة النجف الأشرف وجامعة القرويين

محاضرة للشيخ محمد رضا المظفر
عضو المجمع وعميد كلية الفقه

القيت هذه المحاضرة في مهرجان جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الالف الذي اقيم بمدينة فاس في ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٠ هـ الموافق ١٠ تشرين الاول ١٩٦٠ م وكان الشيخ رحمه الله ممن دعوا الى شهود ذلك المهرجان

سادتي :

كان في الدعوة الموجهة إلي من قبل وزارة التربية المغربية الجليلة اقتراح بأن اكتب عن صدى جامعة القرويين عندنا ، وكان هذا الاقتراح الوجيه المناسب مثار حيرة عندي إذ حاولت أن أصغي إلى رجع الصدى في نفسي عندما أخذت أتساءل من كثير ممن أعرف من رجالات النجف بل العراق عن علمهم بهذه الجامعة الجليلة فما وجدت لصداها رنة عند الكثير الا مجملات مما قرأه بعضهم في بعض الصحف السيارة او الكتب النادرة ومن العجيب أن بعضهم لم يسمع حتى باسمها أو لا يعرف موقعها

لقد كان من الصعب جداً أن اصارحكم بهذه الحقيقة المرة في موقفي هذا وأنتم فرحون ونحن معكم لنحتفل بمرور أحد عشر قرناً على تأسيس هذه الجامعة التي تعتزون بها وحق لكم ولنا أن نعتز بها وهي مفخرة من مفاخر العرب والمسلمين

ولا شك أن هذا شيء مؤلم جداً ولكني مضطر إلى التصريح به وهو في الحقيقة

نتيجة القطيعة التي عزلتنا عن المغرب العربي المسلم وعزلته عنا هذه المدة الطويلة ولا أظنه يعزب عن بال أحد من الناس سر هذه القطيعة مع توفر وسائل تبادل المعرفة في هـذا العصر بنشـر الكتب والصحف بل الاذاعة ، فان المستعمرين ـ بما جنوه في حقنا ـ أرادوا لبلادنا أن تتفكك أواصرها وتتفرق كلمتها ويجهل بعضها بعضاً حتى لا يبقى سبيل إلى تجاوبها في امالها والامها وتوحيد شعورها وبالأخير لينسد الطريق على تعاونها فيما بينها لرد كيد المستعمرين وقد خاب فالهم بحمد الله

ما أظن جامعة النجف الأشرف أكثر حظاً من أختها جامعة القرويين في هذه الناحية فلو أردت أن أفتش عن سر ما تنطوي عليه نفوس اخواننا المغاربة لما وجدتهم أكثر علماً بجامعتنا منا بجامعهم ، والسبب هو السبب ، فنحن شركاء في هذا الداء الدوي الذي مني به العالم الاسلامي اجمع منـذ قرون مظلمة طويلة حجبت عنـه كل نور للتعارف ، ولم تكن إلا هذه الزوايا في النجف الأشرف والأزهر الشريف وجامع القرويين وأمثالها وفيها خبايا من رجال انقطعوا عن الدنيا زاهدين وانصرفوا في عزلتهم إلى العلوم الدينية لا يرعون عنها ، ولم يخطر ببالهم أن يفكروا في أن ينهضوا بأممهم من كبوات الدهر وعاديات الجهل وأنى لهم أن يفكروا وهم عزل من سلاح القوة والسلطان

ونحن في الوقت الذي نكبر هذه الجامعة ـ جامعة القرويين ـ فيما أدت للمسلمين ولعامة البشر من رسالة ثقافية قيمة وفيما احتفظت به من التراثين الاسلامي والعربي على تعاقب تلك القرون المظلمة وبما انجبت من علماء أعلام ، وانتجت من اثار علمية وأدبية نافعة ، لا نستطيع أن ندفع عنها اللوم اللاذع على انكماشها على نفسها وتضييق دائرة تثقيفها وقلة وسائل دعاوتها ولم تخط ـ مع الأسف الشديد ـ في سبيل الخروج عن عزلتها قيد خطوة تناسب هذا العصر الذي تنكر لها بما بشر به المستعمرون

ما أكثر شكرنا للحكومة المغربية الجليلة إذ تنبهت لهذه الناحية فأتاحت لنا ـ نحن

المسلمين في الشرق - هذه الفرصة السعيدة وفتحت لنا بها المجال لتبادل وسائل التعارف بين أكبر هذه الجامعات الاسلامية القديمة التي كان يجهل بعضها بعضاً ، وعسى أن يتاح لنا بعد ذلك التعاون الثقافي فننهض بهذه الجامعات إلى المستوى اللائق بها في هذا العصر

هذا واني لأتعهد لكم أن أنقل إلى جامعة النجف ما أحصل عليه من معلومات مفيدة عن جامعتكم في مقابل ما أتحدث به لكم بايجاز عن جامعة النجف التي أفخر بتمثيلها في هذه المهرجانات وأعتز بأن أكون أحد أبنائها الذين أنبتهم تربها وتغذوا من درها بالقدر الذي يسعه انائي الممنوح لي من الباري تعالى

سادتي :

إن جامعة النجف صنو جامعة القرويين في قدم عهدها فقد تأسست أول بناية لها في القرن الثاني الهجري وهي بناية قبر سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد .وما أسرع أن اجتذبت اليها قلوب المؤمنين من زائرين ومجاورين يتعطشون إلى الانتهال من نمير روحية صاحب هذا القبر والاستلهام من عقيدته العالية وقدسية نفسه برغم جفاف هذه البقعة وبعدها عن العمران ، وهي تقع في صحراء مرتفعة قاحلة لا ماء فيها ولا كلأ إلا ما كانوا يستنبطون من ماء اجاج في آبار عميقة الغور

لم نتحقق إلى الآن متى كان ابتداء اتخاذها معهداً للدراسات الاسلامية ولكن إذا علمنا أنها تقع في ظهر الكوفة والكوفة كانت مركزاً علمياً مشهوداً في تلك القرون يقرب إلينا ان النجف لم تعدم في مجاوريها من يشتغل بالعلوم الاسلامية يومئذ ولم نعدم الشواهد التاريخية على ذلك ، مثل بعض الاجازات العلمية التي صدرت من مدينة النجف في ذلك العهد ومثل رواية « كتاب الغري » التي ورد فيها أن عضد الدولة البويهي لما زار النجف

سنة ٣٧١هـ وزع مالاً على الفقهاء والفقراء ، فذكر الفقهاء والمجاورين يعطينا نصاً على وجود الحركة العلمية

ولكن الحقيقة التي يجب أن تقال انه لم يكن لها ذلك الشأن الذي يذكر في مركزها العلمي المرموق إلا في أواسط القرن الخامس الهجري وذلك بعدما هاجر إليها من بغداد حوالي سنة ٤٤٨ هـ الشيخ أبو جعفر بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة في الحديث والتفسير والفقه وغيرها ، ان هذا الرجل من عظماء التاريخ فيما ألف وأسس ، وكفى أن يكون له أصلان كبيران من الأصول الأربعة في الحديث هما كتاب التهذيب وكتاب الاستبصار في ثلاثة مجلدات وكفى أيضاً أن يكون لهذا الشيخ تأسيس المركز العلمي في المدينة المذكورة

أعود فأقول إن تاريخ النجف العلمي ومركزها الحساس يبتدىء من ذلك العهد حيث استمرت معهداً للدراسات الاسلامية بين مد وجزر حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري وحيث قامت الرحلة العلمية وألقت عصا ترحالها في النجف ، وذلك على يد المجتهدين الكبيرين السيد محمد مهدي المعروف ببحر العلوم والشيخ جعفر الكبير وذلك بعد أن جابت تلك الرحلة عدة بلاد في فترات متباعدة كبغداد والحلة وكربلاء واصفهان

وفي هذا العهد الأخير كثرت البنايات لسكنى الطلاب المهاجرين اليها من مختلف البلاد النائية وهذه البنايات هي التي تسمى بالمدارس ، وهي أشبه ما تكون بالأقسام الداخلية ، المعروفة عندكم في القرويين ، يبلغ الموجود منها الآن قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة بعد أن كانت بناية المشهد العلوي هي المأوى الكبير لهم من أبعد العهود ، وبعض المدارس التي اندثرت

وفي النجف الآن اليوم حوالي خمسة آلاف طالب من مختلف الأقطار الاسلامية كالهند وايران وافغانستان وباكستان والتبت وجبل عامل والبحرين والاحساء والخليج الفارسي الى

غير ذلك ، وتقوم الجهات الدينية العامة بتعيين جرايات شهرية لكل طالب وتعتمد في مواردها المالية على الحقوق الشرعية من الاموال التي يدفعها المؤمنون في مختلف الاقطار ، وعلى بعض التبرعات من المحسنين ، وليس لهذه الجهات الدينية أي مورد حكومي ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها في شؤونها الخاصة والعامة مادية أو غير مادية

وأهم شيء يحسن ذكره بهذه المناسبة بعد الاشارة إلى تأسيس مدرسة النجف هو نوع دراسها واسلوبها لتسهل المقارنة عندكم بجامعة القرويين الجليلة فانها لا تختلف كثيراً عن سائر الجامعات الاسلامية القديمة في شكل التدريس للعلوم العربية وما اليها وكونها دراسة خصوصية لا صفية وكذلك في اختيار الكتب ، ولا تزال على الاسلوب القديم في ذلك ، وإنما تمتاز جامعة النجف بطريقة تحصيل ملكة الاجتهاد في الفقه وغاية الطالب الديني القصوى أن يبلغ هذه الدرجة العليا التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم

يجتاز الطالب ثلاث مراحل تدريسية لبلوغ هذه الغاية :

المرحلة الأولى : مرحلة دراسة (المقدمات) كما يسمونها والمقصود بالمقدمات النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق ، وهي تقرأ في كتب لا يتجاوزونها إلا نادراً كشرح قطر الندى لابن هشام وشروح الفية ابن مالك ومغنى اللبيب في النحو والشمسية وغيرها في المنطق وهذه الكتب التي ذكرناها هي نفسها التي تدرس في جامع الأزهر وجامعة القرويين - فيما أظن - وتختص النجف بكتب أخرى في بعض هذه العلوم لا سيما المتون الفقهية ككتاب الشرايع للمحقق الحلي ، وشروح هذا الكتاب كثيرة

هذا وقد وضع محدثكم كتاباً في المنطق بثلاثة اجزاء بدلاً من الكتب القديمة باسلوب سهل جديد وعبارة واضحة وضعته لكلية منتدى النشر قبل أكثر من عشرين عاماً ، وكاد ان يعمم تدريسه الآن في معاهد النجف

والدراسة في هذه المرحلة دراسة فردية على الأكثر وربما اشترك فيها أكثر من

طالب واحد فيشكلون حلقة صغيرة ، وللطالب الحرية في اختيار المدرس ، بل الكتاب وليس عليه رقيب إلا نفسه أو ولي أمره ، كما أن للطالب والمدرس في هذه المرحلة كسائر المرحلتين الآتيتين حرية النقد والمناقشة ، وهذه الحرية في هذه المرحلة محدودة طبعاً بالقدر الذي يسعه افق الطالب وتفكيره ، والغرض منها التوجيه والتمرين على قوة الملاحظة

وكثيراً ما ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والعلوم الرياضية وبعض العلوم العربية الأخرى كعلوم العروض والقافية والبديع والنصوص الأدبية ، وهذا كله حسب رغبة الطالب واستعداده في المشاركة بهذه المعارف وما الى ذلك .

المرحلة الثانية : مرحلة دراسة (السطوح) كما نسميها وهي دراسة متن الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي ، واصول الفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشها بحرية كاملة وعلى الاكثر تجري هذه المرحلة على اسلوب الحلقات حيث يجتمع أكثر من طالب واحد في مجلس احد المدرسين المعروفين ، ويختلف عدد الطلاب في كل حلقة حسب اختلاف المدرس في تفوقه في اسلوب التدريس ، وسعة اطلاعه ، كما أن الحرية مطلقة للطالب في اختيار الكتاب والمدرس والكتب التي يرجع اليها للمطالعة في حدود ما جرت العادة عليه ، واهم الكتب المعروفة كتاب معالم الاصول وقوانين الاصول ورسائل الشيخ الأنصاري وكفاية الأصول هذه في اصول الفقه وقد وضعت انا كتاباً في الاصول على نمط كتابي في المنطق يدرس الآن في كلية الفقه عندنا وقدمت نسخاً من الاجزاء المطبوعة إلى خزانة جامعة القرويين

اما الكتب الاستدلالية في الفقه فأشهرها شرح اللمعة الدمشقية الذي هو كتاب ابتدائي في الاستدلال وبعده كتاب رياض العلماء والمسالك ثم المكاسب للشيخ الأنصاري وهناك مراجع أخرى أوسع دائرة وبحثاً لا يستغني عنها الطالب الباحث واذا انهى الطالب من هذه المرحلة باتقان استحق أن يسمى (مراهقاً) أي مقارباً لدرجة الاجتهاد

هذا وقد ينضم الى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والحكمة والفلسفة الالٓهية والتفسير والحديث واصول الحديث واصول الرواة

هذه المرحلة وما قبلها قد يجتازها الطالب في عشر سنين فاكثر في جد متواصل مضن وهي مرحلة شاقة يضلع فيها كثير من الطلاب فيتوقف عن الركب المغذ، وبالأخير لا يلحق بالطليعة السائرة الى درجة الاجتهاد الذي لا يوفق له إلا اسعد الناس

وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه المرحلة فلاحظنا ضرورة ان نسعى الى فتح كلية منظمة لنتلافى كثيراً من النواقص التي يتشكى منها وذلك بتبسيط بعض الكتب، وتنظيم المناهج والدروس والامتحانات، وهكذا تم لجمعية منتدى النشر ان تفتح (كلية الفقه) لتخريج طلاب لهم الاستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار العلماء بالاضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى مزايا الدين الاسلامي وتبليغ مبادئه الشريفة وقد اضيف إلى دروس المعارف الاسلامية المعروفة دروس في الاجتماع وعلم النفس والتربية والفلسفة الحديثة والتاريخ الحديث والفقه، ومنذ سنتين تم اعتراف وزارة المعارف العراقية بنظام هذه الكلية ودرجتها العلمية وهذه الكلية لا يتولى التدريس فيها إلا حملة شهادات الاجتهاد أو حملة الشهادات الجامعية من الجامعات المعترف بها

المرحلة الثالثة: مرحلة (بحث الخارج) كما تسمى هناك هي حضور مجالس دروس كبار العلماء المجتهدين في الفقه وأصوله، وهذه هي آخر مراحل الدراسة التي قد يوفق الطالب فيها الى بلوغ درجة الاجتهاد، وهي أعلى درجة وبها امتياز هذه الجامعة الاسلامية في اسلوب التدريس، وفي حرية المناقشة والرأي وفي درجتها العلمية العالية

تتكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار العلماء المجتهدين، ويبتديء المدرس منهم بدورة بحوث أصولية أو فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحاً وافياً بعرض

الأقوال من مختلف المذاهب الاسلامية ، ومناقشة الآراء فيها وأدلتها المختلفة، ويختار ما ينتهي اليه رأيه مع الدليل ، ولكل مدرس طريقته الخاصة في اسلوب البحث وسعة المنهج والاسس العلمية التي يعتمدها

وهذه الدورات لا تكون إلا اجماعية يحضر فيها عدد كبير او جم غفير من الطلاب وذلك تبعاً لشهرة المدرس في تفوقه العلمي ودقة منهجه وأسلوب تدريسه ، وقد سميت هذه المرحلة (بحث الخارج) نظراً الى أن التدريس فيها لا يعتمد على رأي خاص ولا على كتاب معين إلا ما قد يتخذ على سبيل تسهيل المراجعة على الطلاب أو للتحضير قبل الدرس

وللطلاب في هذه الدورات كامل الحرية في المناقشة وابداء الرأي أثناء المحاضرة و بعدها وقد يكون كثير من طلابها مراهقين للاجهاد في أنفسهم حتى قيل أن المجاهد الأكبر أستاذ اساتذة هذا الجيل الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ كان يحضر درسه فريق من العلماء المجهدين وعلى كل حال فان ميزة هذه الدورات عمق البحث ودقته وسعة أفقه والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها وبهذا الأسلوب يغذي الطلاب ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم والثقة بنفوسهم حيث يرجع اليهم الناس ، وتقلدهم الأمة في أمورها ، ويقودونهم الى الخير

الى هذا النهج الدراسي يعزى السر في تطور للدراسات الفقهية والأصولية في هذه الجامعة على ممر القرون ومن يقرأ كتاباً في الفقه وأصوله لأحد أعلام القرنين الرابع والخامس مثلاً ثم يقرأ كتاباً فيها لأحد أعلام هذا القرن يلمس مدى التطور الذي بلغه البحث في هذا الشأن

ولايضاح هذه الجهة قدمت نماذج من الكتب التي تدرس وتقرأ في هذه الجامعة

أضعها بين أيدي السادة العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليهـا ولتعكس لديهم المراحل التطورية لهذين العلمين

هذا وسأحمل معي ـ ان اذنتم ـ بعض الـكتب التي تدرس في جامعتكم المحترمة لأضعها بين أيدي اسـاتذة جامعة النجف كوسيلة من أهم وسائل التعارف والتعاون بين الجامعتين وأرجو أن نجد في هذه الأنواع من الـكتب مواضع للالتقاء تقتضيها جهات التشابه بينهما في وحدة الهدف بنشر الثقافة الاسلامية في أوسع مجالاتها وفي نوع دراستها .

وحسبنا في ختام هذه الـكلمة أن نسجل لجامعة القرويين وأخواتها الجامعات الاسلامية نضالها في الحفاظ على لغة القرآن الـكريم وآدابه وعلومه بعـد ان مرت البلاد الاسلامية بقرون مظلمة كـادت تقضي على الاسلام واللغة العربية من الأسـاس واني لمتفائل جـداً بهـذا الوعي العام في هذا الظرف بالذات ، وهذا التجـاوب في الشعور بالحاجة الى التآخي والاتفاق والنهوض بأمتنا الى المستوى اللائق فيها في هذه الأرض التي أخذت علينا من أطرافها

وقل اعملوا فسيرى الله عملـكم ورسوله والمؤمنون

والسلام عليكم

محمد رضا المظفر

خلاصة اعمال المجمع

١٩٦٣ - ١٩٦٤

بقلم الدكتور يوسف عزالدين

مقدمة

ماكان نظام المجمع قادراً على الوفاء بمهمته في المرحلة الراهنة (١) لانه لم يتوفر على مختلف الاختصاصات والخبرات فألفت لجنة لوضع قانون عوضاً عن النظام ليكسب المجمع قوة ويساير التطورات الفكرية والعلمية الحديثة وليفسح المجال امام المثقفين والعلماء للمشاركة في اعماله فألفت اللجنة من السادة الدكاترة عبد الرزاق محيي الدين (نائب رئيس جامعة بغداد يومئذ) وصالح احمد العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية وفاضل الطائي عميد كلية العلوم ومصطفى جواد الاستاذ بكلية التربية وجعل الدكتور يوسف عزالدين مقرراً لها وقد تدارست الاجنة نظام المجمع القديم ولائحة كانت قد اعدت له مع قوانين المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيرها من المجامع الغربيــة ثم قرنت ذلك بحاجات البلاد وامكاناتها فوضعت قانون المجمع المرقم ٤٩ لسنة ١٩٦٣

وقــد وسع القانون غايات المجمع وقوى من وسائله وزاد عدد الاعضاء العاملين فيه

(١) نص التقرير الموزع على أعضاء المجمع العلمي بمناسبة انتهاء دورته بعد صدور قانونه

واستوفى اغلب الاختصاصات واعطاه شخصية مستقلة في المال والادارة وناط الادارة بديوان الرياسة

وتطبيقاً للمادة الرابعة والعشرين (آ) و (ب) من القانون الجديد جرى اختيار الاعضاء السادة الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور صالح احمد العلي والدكتور عبد اللطيف البدري والدكتور فاضل الطائي والدكتور مصطفى جواد والدكتور سليم النعيمي والدكتور ابراهيم شوكة واللواء الركن محمود شيت خطاب والاستاذ كوركيس عواد ثم انتخب السادة الاعضاء الشيخ محمد رضا الشبيبي والحاج حمدي الاعظمي والاستاذ محمد شفيق العاني والمرحوم الشيخ محمد رضا المظفر والدكتور محمود الجليلي والدكتور عبد العزيز البسام ثم انتخب المجمع ديوان الرياسة من السادة الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيسا والدكتور سليم النعيمي نائب الرئيس الأول والدكتور عبدالرزاق محيي الدين نائب الرئيس الثاني والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور صالح احمد العلي عضوين وانتخب ديوان الرياسة الدكتور يوسف عز الدين اميناً عاماً للمجمع وقد عقد المجمع احدى وثلاثين جلسة كانت الجلسة الاولى منها في ١٩٦٣/٨/١٠ ثم عطل بعدها العطلة السنوية وعقد الجلسة الثانية في ١٩٦٣/١٠/١٤ وانتهت آخر جلسة في ١٩٦٤/٦/٢٩ من هذا فالمجمع قد عمل من ١٩٦٣/١٠/١٤ إلى ١٩٦٤/٦/٢٩ .. اما ملخص الاعمال التي قام بها فهي :

لجان المجمع :

وبغية تنظيم شؤون المجمع الجديد ودراسة شؤونه المختلفة ووضع أسس جديدة يعتمد عليها فقد ألف اللجان الآتية :

أ — لجنة النظر في أمر تشجيع التأليف والنشر والترجمة

الدكتور عبد العزيز البسام

الدكتور صالح أحمد العلي

اللواء الركن محمود شيت خطاب

السيد كوركيس عواد « مقرراً »

ب — لجنة المكتبة :

السيد كوركيس عواد

الدكتور عبد اللطيف البدري

الدكتور ابراهيم شوكة

الدكتور يوسف عز الدين

الدكتور صالح أحمد العلي « مقرراً »

جـ — لجنة وضع النظام الداخلي :

الأستاذ محمد شفيق العاني

الأستاذ حمدي الأعظمي

مع ديوان الرياسة

د — لجنة المصطلحات العلمية

الدكتور عبد العزيز الدوري

الدكتور فاضل الطائي

الدكتور سليم النعيمي

الدكتور محمود الجليلي

الدكتور عبد اللطيف البدري

الدكتور مصطفى جواد

الدكتور ابراهيم شوكة

الدكتور عبد العزيز البسام « مقرراً »

هـ — لجنة المعجمات

الشيخ محمد رضا الشبيبي

الدكتور سليم النعيمي

الأستاذ محمد شفيق العاني

الدكتور مصطفى جواد

اللواء الركن محمود شيت خطاب « مقرراً »

و — لجنة المجلة

الشيخ محمد رضا الشبيبي

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

الدكتور عبد العزيز البسام

الدكتور مصطفى جواد (احتياط)

الدكتور يوسف عز الدين « مقرراً »

ز — لجنة نشر المخطوطات

الشيخ محمد رضا الشبيبي

الدكتور مصطفى جواد

الدكتور صالح أحمد العلي

السيد كوركيس عواد

الدكتور محمود الجليلي « مقرراً »

العون المالي

قدم المؤلفون الى المجمع عدة مؤلفات طالبين المساعدة المالية وقد وجد منها مالايستحق المساعدة المالية لانه لا يستهدف اغراض المجمع وغاياته أو لأنه لم يصل إلى المستوى العلمي الذي يمكن المجمع معه ان يساعد مؤلف الكتاب على نشره أما الكتب التي سوعدت مساعدة مالية أو روعيت حسب الأصول منذ تجميد المجمع السابق حتى اعداد هـذا التقرير فهي :

١ — رحلة فريزر إلى العراق ترجمة السيد جعفر خياط

٢ — الاسلام والشعر تأليف السيد يحي الجبوري

٣ — مجموعة شعر الصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

٤ — رسوم دار الخلافة ، تحقيق السيد ميخائيل عواد

٥ — ديوان رشيد الهاشمي ، جمع وتحقيق السيد عبد الله الجبوري

٦ — الفيضانات في العراق ، تأليف الدكتور احمد سوسة (*)

٧ — البحرين درة الخليج العربي تأليف السيد محمود بهجة سنان (*)

٨ — ديوان محمد الهاشمي (*)

٩ — المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي (الجزء الثاني) تحقيق الدكتور مصطفى جواد (*)

١٠ — الخط العربي منذ اقدم العصور ، تأليف المهندس ناجي زين العابدين

١١ — البخلاء للخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي والاستاذ احمد ناجي القيسي

وهناك كتب يدرسها المجمع للبت في مساعدتها وهي :

١ — الدينار العراقي (الجزء الثاني) ، تأليف المرحوم ناصر النقشبندي

الكتب المؤشر عليها بعلامة (*) اقر مساعدتها المجمع العلمي السابق وايد القرار المجمع العلمي الحالي

٢ – المتنبي شاعر العرب الاكبر ، تأليف السيد طالب عبد الجبار السامرائي
٣ – الرازي ابحاثه وكشوفه ، تأليف الدكتور فيصل دبدوب
٤ – الشيخ محمد رضا الشبيبي في حكمه وامثاله ، تأليف السيد احمد حامد الشربتي

كتب تحقق بعلم المجمع العلمي

وقد أخبر السادة المؤلفون الآتي ذكرهم مجلس المجمع بأنهم يعكفون على تحقيق الكتب التالية وستقدم للمجمع لدراستها تمهيداً لنشرها :

١ – روضة الافراح ونزهة الارواح للشهرزوري يحققه الشيخ محمد رضا الشبيبي
٢ – تاريخ واسط لاسلم بن بحشل يحققه الاستاذ كوركيس عواد
٣ – جزيرة العرب للاصمعي يحققه الدكتور صالح أحمد العلي
٤ – معجم المصطلحات العسكرية يعده اللواء الركن محمود شيت خطاب
٥ – ديوان سعد التميمي ملك الشعراء يحققه الدكتور مصطفى جواد والسيد مكي جاسم
٦ – منهل الأولياء ومشرب الاصفياء تأليف محمد امين العمري يحققه السيد سعيد الديوه جي
٧ – تاريخ الدولة العباسية ـ لمؤلف مجهول يحققه الدكتور عبد العزيز الدوري

من مشاريع المستقبل :

وقد اقترح المجمع اخراج كتاب التهذيب للازهري لانه من امهات الكتب اللغوية العربية وطلب نسخه المخطوطة من المكتبات العربية والاوربية تمهيداً لاخراجه

نشر المخطوطات :

اهتم المجمع بنشر المخطوطات المحفوظة نسخها في المجمع فأوصى أن تعد للباحثين قائمة باسماء الكتب المخطوطة التي يراها جديرة بالنشر مقدماً ويدعوهم للمساهمة في تحقيقها وتقديمها اليه وهذه الكتب هي :

١ – تاريخ الموصل لأبي زكريا الازدي

٢ — المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار

٣ — الدر المكنون لياسين العمري

٤ — المصباح المضيء في خلافة المستضيء

٥ — تاريخ الجزري لشمس الدين الجزري الدمشقي

٦ — المنظوم والمنثور لابن أبي طاهر طيفور

٧ — ذيل تاريخ بغداد للدبيثي

٨ — مختار ذيل تاريخ بغداد للسمعاني

٩ — مخطوطة تواريخ مصر والشام وحلب والقدس وبغداد لم يذكر اسم مؤلفها

١٠ — العسجد المسبوك، لجمال الدين علي أبي الحسن الخزرجي المخزومي

١١ — المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي.

١٢ — التكملة لوفيات النقلة (لزكي الدين عبد العظيم المنذري)

١٣ — عيون التاريخ لابن شاكر الكتبي

١٤ — ديوان علي الرضائي

١٥ — احسن الممالك في اخبار البرامك لسيدي يوسف الميلوي

١٦ — منتخب صوان الحكمة (تاريخ الحكماء) لأبن طاهر سليمان السجستاني

١٧ — ما لا يستطيع الطبيب جهله ليوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكتبي الشافعي

١٨ — شرح ديوان هذيل

١٩ — ذكر الفضلاء في جزيرة صقلية لابن أبي البشائر أبي الحسن علي عبد الرحمن ابن أبي البشائر

٢٠ — ديوان العشاري ، نظم ملا حسين افندي العشاري

٢١ — سر الأنساب العلوية لأبي نصر سهل بن عبد البخاري النسابة

٢٢ — مطالع السعود في اخبار داود تأليف الشيخ عثمان بن سند

٢٣ — مجموعات من كتب ابن الاثير وابن خلكان وابن الوردي ـ لياسين العمري

٢٤ — مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي

٢٥ — ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء لأحمد ابن الخياط الموصلي

٢٦ — شرح المقصورة الدريدية لابن خالويه

٢٧ — طبقات الاسنوي للشافعية — تأليف جمال الدين عبد الرحمن الاسنوي

٢٨ — مجموعة صالح افندي الموصلي

٢٩ — ديوان أحمد عزة العمري

٣٠ — لامية العرب — الشاوي

٣١ — لامية العرب — السويدي

٣٢ — عمدة الكتاب للزجاجي

٣٣ — أخبار بغداد وما جاورها من البلاد / للآلوسي

٣٤ — كتاب التاريخ الغياثي لعبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياث

٣٥ — نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوزير يحيى / عبد الباقي العمري

٣٦ — الروض النضر في تراجم العصر / عثمان العمري .

جوائز للطلاب النابهين

مساهمة من المجمع في تشجيع الطلاب النابهين فقد خصص ست جوائز نقدية بالطلبة

الأوائل في كليات ثلاث : الآداب ، التربية ، الشريعة في قسمي التاريخ واللغة العربيـة مع مطبوعات المجمع

المطبوعات المهداة :

بلغ مجموع ما أهدي من مطبوعات المجمع « ٢٤١١ » مطبوعاً خلال المدة الواقعة بين ١/٤/٦٣ و٢٠/٦/١٩٦٤ وقد تسلمتها الجهات التالية :

١ — الأعضاء العاملون والمؤازرون والعلماء

٢ — كليات ومعاهد جامعة بغداد والجامعات والـكليات الأهلية والعربية والغربية .

٣ — المـكتبات العامة (الرسمية والأهلية) والعربية والأجنبية .

٤ — مكتبات بعض الجمعيات الأهلية والنقابات والشركات

٥ — مكتبات بعض السفارات العراقية والعربية

٦ — المؤسسات والدوائر الحـكومية والعسكرية

٧ — مبادلة المجلات

٨ — المجامع العلمية العربية والأجنبية

٩ — مكتبة جامعة الدول العربية ومؤسساتها

صلات المجمع الثقافية :

وقد قوى المجمع رابطته الثقافية بالمجامع العلمية واللغوية في الأقطار العربيةوالأوربية والمعاهد التي تعنى بالدراسات العربية والاسلامية ، فله الآن صلات ثقافية بكل من المجامع والجامعات والمعاهد في المدن الآتية : بغداد ، القاهرة ، الاسكندرية ، الرياض دمشق ، عدن ، الرباط ، طهران ، كابل ، مدريد ، موسكو ، ليننغراد ، روما ، لايبزك

بودابست ، كراجي ، دلهي ، بلغراد ، استكهولم ، أبسلا ، كمبرج ، هارفرد ، برنستن ، بيرو وللمجمع صلاته بالجمعيات الأدبية والعلمية والمتاحف والمؤسسات ووزارات الثقافة والارشاد في البلاد العربية والمجلس الأعلى لرعاية العلوم في دمشق والمجلس الأعلى لرعاية الأداب والفنون في القاهرة والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط والمعهد الفرنسي بدمشق ومعهد الدراسات الاسلامية في مدريد ومعهد الدراسات العربية العالية ومعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية واتحاد كتاب المغرب ومؤسسة فرانكلين وجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين وغيرها من الجمعيات والنقابات والمعاهد والجامعات

وهو لا يألو جهداً في مساعدة المعنيين في تصوير المخطوطات وتزويدهم بها فقد أهدى كتاب الصيدنه للبيروني الى الدكتور محمد نظام الدين وزود المكتب الدائم بالجامعة العربية في جنيف بقائمة تتضمن الكتب التي كتبها العرب باللغات الأجنبية

اهداء مكتبة :

وقد أهدت أسرة المرحوم المهندس علي رأفت مكتبته الى المجمع وهي تضم زهاء مئة وخمسين كتاباً ومجلة وقدر المجمع هذه الهدية وافرد لها خزانة (مسجلة باسمه)

وثائق :

زودت مكتبة المجمع بصور من الوثائق التي لها صلة بالتاريخ الحديث في العراق ومنها الوثائق التالية :

١ — فتاواي جهاد (مجموعة برقيات حول الجهاد)

٢ — مطالب زعماء الفرات المرفوعة الى سماحة محمد حسين آل كاشف الغطاء

٣ — برقية موجهة من العلماء الى جمعية الاتحاد والترقي

٤ — دعوة الموحدين الى حماية الدين / للقطيفي

٥ — مجموعة من الفتاوى الصادرة من العلماء في الجهاد

٦ — رسالة تنبيه الأمة .

٧ — قصيدة (حكومتنا الانتدابية) للرصافي بخطه

٨ — رسالة من الرصافي إلى الدفتري مؤرخة في ١ كانون الأول سنة ١٩٢٨

٩ — الأدب الرفيع للرصافي بخطه

الشعبة الفنية :

صورت الشعبة الفنية في المجمع العلمي مخطوطات عدة لباحثين ومحققين وصور القسم الأكبر من هذه المخطوطات بنسخ أضيفت الى خزانة كتب المجمع وأصبحت في متناول أيدي المطالعين وأسدت الشعبة وعاونت الشعبة مطالعي الرقوق (ميكرو فلم) إذ يسرت لهم بالآلة القارئة الموجودة في المجمع قراءة مخطوطاته المصورة وفيما يأتي عناوين أهم المخطوطات التي صورت للمحققين والباحثين والمعنيين باقتناء المخطوطات :

١ — أمثال العوام في مدينة دار السلام لمحمود شكري الآلوسي

٢ — ديوان عبد المحسن الصوري (نسخة المرحوم السماوي)

٣ — كتاب المختصر من خصايص النبي (ص) وما خصه الله به دون ساير النبيين

٤ — مجموعة رسائل أولها درة المفاخر لعبد الرحمن جامي

٥ — فتاوي باعلان الجهاد بسبب هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب

٦ — تاريخ الدولة العباسية ، لمؤلف مجهول

٧ — الجزء الأول والثاني من مهاج السنه لابن تيمية

٨ — كتاب صور الأقاليم للاصطخري

٩ — الدر الوهاج في أحاديث المعراج

١٠ — مجموعة الامام السيد الحموي (تحتوي على ٣٢ مجموعة)

١١ — مختصر السيرة النبوية لأحمد بن فارس اللغوي

١٢ — مجموع مشتمل على أجوبة ابن تيمية

١٣ — بلاد العرب المنسوب لابن لغدة

١٤ — ديوان مخطوطة ابن معصوم ، نسخة منه في مكتبة المجمع

١٥ — مجموعة جريدة حبزبوز

١٦ — كتاب الزهرة لأبن أبي دؤاد الأصفهاني

١٧ — كتاب الخيل والبيطرة

١٨ — كتاب الصيدنة لابي ريحان محمد بن أحمد البيروني

١٩ — كتاب الزهور العواطر

٢٠ — ديوان محمد ياسين بن محمد أمين العمري

٢١ — صور للاصطرلاب

٢٢ — غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام لياسين العمري

٢٣ — كتاب ضياء الثقلين

٢٤ — الأمثال العامية للكرملي

٢٥ — لوحات خطوط مسمارية

٢٦ — كتاب تنزيه الامة وتنبيه الملة

٢٧ — صفحات متفرقة من مخطوطة نزهة المشتاق للادريسي

٢٨ — وثائق المرحوم السيد خيري الهنداوي من ملفاته الرسمية

٢٩ — صفحات متفرقة من ديوان بهاء الدين العاملي

٣٠ — وثائق متفرقة لأوائل المخطوطات النادرة في مكتبة المتحف العراقي .

٣١ — كتاب فيه طبقات الأولياء ومناقب الاصفياء لسراج الدين ابن الملقن

الأعضاء :

فجع المجمع بوفاة الشيخ محمد رضا المظفر عضو المجمع العامل حيث انتقل إلى رحمة ربه في ١٩٦٤/١/٣١ وقد أبّنه كل من الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور عبدالرزاق محيي الدين في احدى الجلسات

وفجع المجمع بوفاة العضو المؤازر الأستاذ عباس محمود العقاد ، في ١٩٦٤/٣/١٢ .

انتخب السيد محمد تقي الحكيم عضواً عاملا في المجمع بناء على تزكية كل من الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور مصطفى جواد

وبناء على تزكية كل من الدكتور سليم النعيمي والدكتور ابراهيم شوكة والدكتور عبد اللطيف البدري والاستاذ كوركيس عواد فقد تم انتخاب الدكتور يوسف عز الدين عضواً عاملا في المجمع

وبناء على تزكية كل من الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور ابراهيم شوكة فقد جرى انتخاب الدكتور محمد حسين مشايخ فريدوني عضواً مؤازراً

شؤون المجمع :

هذا ولانجد بداً ونحن في هذا الصدد من أن نتطرق الى بعض القضايا التي أولها أن المجمع (هيأة مستقلة ذات شخصية حكمية واستقلال مالي واداري) غير أن ميزانيته بقيت ملحقة بميزانية وزارة التربية الأمر الذي يؤثر احياناً على سرعة انجاز جملة من الاعمال

٢ — أن مطبعة المجمع صغيرة ، تصف حروفها باليد ، وهي لا تفي بحاجاته وبالقيام

بالواجبات الموكولة اليه ، مما يحم وجود مطبعة أوسع واحدث تفي بالغرض

٣ — إن بناية المجمع الحالية غير مناسبة للمجمع وليس فيها مرافق تسد حاجاته وقد تأخر البدء بالبناية المقرر انشاؤها له ، ونرجو أن يتم ذلك عاجلاً

٤ — لقد تأخر صدور هذا العدد عن الموعد الذي قدرناه لصدوره لاسباب قاهرة .

٥ — الميزانية

أعد مجلس المجمع العلمي العراقي تخمينات ميزانيته لسـنة ٩٦٤/٩٦٥ المالية وذلك بعد دراسة مستفيضة لحاجاته وليساير عصر الثورة الذي يتطلب ثورة علمية أصيلة ، وهو لذلك قسم أبواب ميزانيته ثلاثة أقسام :

الباب الأول ـ المكافأة والرواتب ، وأرصد لذلك مبلغ ٢٦/٨٨١ ديناراً

الباب الثاني ـ تشجيع البحث العلمي ومعاضدة النشر وأرصد لذلك مبلغ ٣٨/٣٠٠ ديناراً ويتضمن هذا المبلغ (١٥٠٠٠) دينار لشراء مطبعة من طراز حديث و آلة (هايدلبرغ) و آلة لقص الورق و آلة (تتبيل)

الباب الثالث ـ الادارة والبناية ـ وقد أرصد لذلك مبلغ (٩٩٣٠) ديناراً ، وبذا كان اقتراح مجلس المجمع ان يكون مجموع ميزانيته (٧٥/١١١) ديناراً

وقد وافقت وزارة المالية على (٢٥/٠٠٠) دينار فقط لجميع أغراض المجمع ومن ذلك رواتب الموظفين والمستخدمين ومكافآت الاعضاء ، ومعنى ذلك أنه لم يخصص لتشجيع البحث العلمي ومعاضدة النشر إلا نحو خمسة آلاف دينار ، يدخل فيه نفقات طبع المجلة

الدكتور يوسف عز الدين

الأمين العام

مذكرة بوقائع المجمع العلمي العراقي

في فترة العطلة

فيما يلي نص المذكرة التي زود بها اعضاء المجمع العلمي
العراقي عن وقائعه في فترة العطلة :

الى حضرات اعضاء المجمع العلمي العراقي المحترمين

بدأت عطلة المجمع العلمي العراقي المنصوص عليها في القانون ـ ومدتها ثلاثة أشهر ـ بتاريخ ١٩٦٤/٧/١ ومن دواعي اغتباطنا موافاة الاساتذة اعضاء المجمع بوقائع العطلة المذكورة

١ — تلقى المجمع من مؤسسة كولبنكيان في البرتغال برقية مفادها تخصيص جائزتين نقديتين مبلغهما —/٤٠٠ ديناراً لأحسن رسام ولأحسن نحات في العراق وتقديم أوسمة ذهبية لهما وقد اتضح لنا ـ بعد النظر في الرسائل الواردة ـ ان مؤسسة كولبنكيان تحبذ تأليف لجنة قوامها خمسة اعضاء من بينهم رئيس المجمع والامين العام ولاحظنا ايضاً ان هناك مخابرات متعددة في هذا الشأن وقد اجبنا المؤسسة المذكورة على برقيتها بكتابنا المرقم ٩٥٧ والمؤرخ ١٩٦٤/٨/٢٢ شاكرين لها هذا التشجيع وراغبين اليها بارسال الاوسمة بالبريد المسجل مع الاعتذار عن تأخر الاجابة

٢ — اعلمنا احد الاساتذة المصريين المنتدبين للتدريس في جامعة بغداد بان مجمع اللغة العربية في القاهرة رحب مبدئياً بفكرة المجمع العلمي العراقي فيما يتعلق بانعقاد دورات

معينة للمجمع اللغوي في عواصم البلاد الممثلة فيه ومنها بغداد وافادنا ايضاً بان الاقتراح المذكور سيعرض على مؤتمر المجمع اللغوي في القاهرة وذلك في دورته المقبلة

٣ — رغبت الينا مديرية المباني بكتابها المرقم ٩٨٦٩ والمؤرخ ١٩٦٤/٧/٢ موافاتها برأي المجمع فيما يتعلق ببنايته الجديدة ، وقد زودت بعد المداولة مع المهندس الاستشاري لوزارة الاشغال والاسكان برأي المجمع مقترحين الحفاظ على المصورات التي وضعت سابقاً على ان يشيد الجزء الاول من البناية طبقها بالمبلغ المخصص وقدره (٦٠٫٠٠٠/-) ديناراً كما فوتحت مديرية المباني العامة من قبل وزارة الاشغال والاسكان بكتابها المرقم ١٢٣٩٤ والمؤرخ في ١٩٦٤/٨/٢٥ لبيان ملاحظتها في هذا الشأن

٤ — بناء على طلب وزارة التربية المرقم ٣٦٣٢٢ والمؤرخ في ١٩٦٤/٧/٢٨ رشح الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع لتمثيله في اللاجنة الوطنية العراقيـة لتنسيق التعريب وذلك بكتابنا ٩٢٥ في ١٩٦٤/٨/١٠

٥ — بناء على طلب وزارة الثقافة والارشاد المرقم ١٠٨٢٤ والمؤرخ في ٩٦٤/٧/٢٥ رشح الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع لتمثيله في لجنـة اختيار المندوبين العراقيين للمشاركة في مهام المجلس الاعلى لنشر الثقافة العربية وذلك بكتابنا المرقم ٩٠٢ والمؤرخ في ١٩٦٤/٨/٨

٦ — اهدانا محافظ الخزانة العامـة في الرباط كمية من الـكتب بلغ تعدادها (٩٢) كتابا يعنى مؤلفوها بالبحث في شؤون المغرب الاقصى ، وقد شكرنا لهم هديتهم النفيسة بكتابنا المرقم ٨٣٣ والمؤرخ في ١٩٦٤/٧/١٣ . هذا مع العلم بانه سبق للمجمع ان اهدى مطبوعاته الى الخزانة المذكورة .

٧ — دارت مخابرات بين المجمع ووزارة الثقافة والارشاد بشأن مشروع الوزارة فيما يتعلق بانشاء مكتبة بغداد التي تضم جميع ما كتب عن مدينة بغداد من مخطوط ومطبوع

وقد حبذنا فكرة الوزارة المشار اليها بشأن هذا المشروع

٨ — اعلمتنا وزارة التربية بكتابها المرقم ٣٤٦٥٠ والمؤرخ في ١٩٦٤/٧/١٩ بفكرة اسبوع الكتاب العربي الذي سيقام في المغرب راغبة بتزويدها بجميع مطبوعات المجمع وقد زودت الوزارة بجميع مطبوعات المجمع لعرضها في المعرض المذكور

٩ — كان المجمع قد اتخذ قراراً بمناسبة تخمين ميزانية السنة المالية الحالية لشراء مطبعة « لاينو تايب » وعدة طباعة حديثة (مكنة) وقد فاتحنا وزارة المالية بشأن الموافقة على رصد المبالغ اللازمة لذلك الا انها لم توافق على القرار المذكور كما جاء بكتابها المرقم ١٨٢٦٢ والمؤرخ في ١٩٦٤/٧/١٨

١٠ — زورنا المجمع التاريخي الافغاني بمطبوعاته على سبيل تبادل المطبوعات مع المجمع العلمي العراقي وبناء على ذلك زود المجمع الافغاني بقائمة مطبوعاتنا لاختيار ما يرغب باقتنائه منها

١١ — رغبت سفارة الجمهورية الهندية ببغداد باقتناء بعض مطبوعات المجمع وذلك بموجب كتابها المرقم ٨ والمؤرخ في ٩٦٤/٧/٢٢ فزودنا السفارة المذكورة بخمسة اجزاء من مجلة المجمع

١٢ — زودنا الاستاذ محمد شفيق العاني عضو المجمع برأيه فيما يتعلق بعريضة السيد عباس العزاوي ومطالبته بالمساعدة المالية لطبع كتابه (بغداد برج الاولياء) وقد ابلغت وزارة التربية برأي الخبير

١٣ — قام الدكتور صالح احمد العلي عضو المجمع بمهام الامين العام من تاريخ ٩٦٤/٨/١ لغاية ٩٦٤/٩/٥ وهي المدة التي تمتع فيها امين المجمع بالاجازة خارج العراق

١٤ — قدمت الى ديوان الرياسة خلال العطلة الصيفية طلبات متنوعة غير قليلة . منها ما يتعلق بطلب معونات مالية للقيام بتحقيق بعض المخطوطات او نشر بعض الكتب

وبعضها يتضمن شراء كمية من نسخ بعض الكتب المطبوعة ولما كان النظر في هذه المطالب من صلاحيــة مجلس المجمع ارتأينا احالتها على المجلس للبت في المطالب المذكورة وستدخل في منهاج جلسات المجمع القادمة

١٥ — قدم الدكتور صالح احمد العلي عضو المجمع مذكرة تتضمن طلب تصوير جميع الرقوق الموجودة في مكتبة المجمع حفاظاً عليها من التلف واعدادها لمراجعة الباحثين والمحققين ، وقد اقترن هذا الطلب بموافقةديوان الرياسة وتجدون مع هذهالمذكرة كشفا باهم هذه الرقوق

١٦ — استغرقت اعمـال مجلة المجمع العلمي العراقي تحريراً وطباعة وتصحيحاً جانبـاً كبيراً من فترة العطلة المجمعية ويسر ديوان الرياسة تقديم العدد الحادي عشر من المجلة الى قرائها بهذا الثوب القشيب ولا ريب عندنا ان هذا المجهود العلمي سـيقابل بمـا يستحقه من التقدير من قبل الجميع

محمد رضا الشبيبي
رئيس المجمع العلمي العراقي

قائمة بما يوجد في مكتبة المجمع العلمي العراقي من المخطوطات المصورة على رقوق

١ — ربيع الابرار للزمخشري ـ الزمخشري ج ١ ١٩٧/١ من نسخة الاوقاف

٢ — » » » » ج ٣ ١٩٨/م » » »

٣ — » » » » ج ٤ ١٩٩/م » » »

٤ — ديوان ابن الحجاج من الاول ـ ١٢٨ ورقة ـ دار الكتب المصرية

٥ — » » » من ١٤٩ ـ النهاية » » » »

٦ — » » » نسخ من الدال . زيادات الدال

٧ — قطع من شعر ابن الحجاج ـ من دار الكتب المصرية

٨ — ديوان ابن الحجاج » » » »

٩ — ديوان الطغرائي ـ مؤيد الدين ابو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي ثلاثة رقوق

١٠ — ديوان عثمان الموصلي ـ رقان

١١ — الرسالة العثمانية للجاحظ ـ ثلاثة رقوق

١٢ — سر الصناعة ـ رق واحد

١٣ — السيرة النبوية ـ اربعة رقوق

١٤ — عمدة الكتاب ـ سبعة رقوق

١٥ — الروض النضر في تراجم فضلاء العصر ـ العمري ٢٠٤/م

١٦ — الصيدنة ـ البيروني (ابو الريحان محمد بن احمد) من مكتبة مديرية الآثار العامة

١٧ — نزهة المشتاق ١٨/ نسخة من باريس

١٨ — التعريف عن عجز عن التأليف ـ تصوير مكتبة تونجن

١٩ — تفسير الماوردي

٢٠ — الموفقيات ـ تونجن

٢١ — شرح لامية العرب ـ الزمخشري ٢٠٨/م

٢٢ — كتاب السموم ـ زنطاح الحكيم ٢٠٣/م

٢٣ — المعجم المشتمل على ذكر اسماء الشيوخ ـ هبة الله ابو القاسم علي بن الحسن الشافعي

٢٤ — اخبار بغداد

٢٥ — عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ الجبرتي / عبد الرحمن بن حسن ٤٠/م

٢٦ — الذيل على خريدة القصر

٢٧ — خريدة القصر / لايدن

٢٨ — كتاب الملوك الأولين ـ باريس

٢٩ — كتاب الغزوات

٣٠ — سجلات الدولة العثمانية / ٣٤ رق

٣١ — خريدة القصر وجريدة العصر ـ العماد الأصبهاني من باريس

٣٢ — فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتب الخراج ـ الرحبي عبدالعزيز أحمد بن محمد ٢٢٢ / م عن نسخة المتحف العراقي

٣٣ — كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، وكتاب تجارب الأمم

٣٤ — أحكام الحسبة ٢٣٢/م

٣٥ — علم الحساب ـ أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب

٣٦ — الأوائل ـ أبو هلال العسكري المكتبة الآصفية — حيدر أباد

٣٧ — المقتنى في سرد الكنى ويليه نزهة الألباب ٢٠٦/م

٣٨ — المستقصى في أمثال العرب ـ الزمخشري

٣٩ — تاريخ الدولة العباسية ـ مؤلف مجهول ٢١١/م

٤٠ — التفهيم لأوائل علوم التنجيم ـ البيروني ٢٠٥/م

٤١ — جزء من كتاب الزهرة لابن ابي داود الأصفهاني عن نسخة المتحف العراقي

٤٢ — كتاب الموسيقى الكبير ـ الفارابي ٢١٤/م

٤٣ — اخبار ابن نباتة المصري

٤٤ — مختصر في الطب

٤٥ — المجلد الثاني من ديوان الحسين بن الحجاج

٤٦ — كتاب ادب القضاة ـ الشيخ شرف الدين القرشي

٤٧ — ديوان مؤيد الدين الطغرائي

٤٨ — خريدة القصر وجريدة اهل العصر ـ خط مغربي

٤٩ — كتاب ذخيرة الملك اسكندر ذي القرنين من مخطوطات القرن الحادي عشر

٥٠ — مجموع من شعر ابي الفتح ابن ابي حصينة

٥١ - المختصر الكبير في السيرة

٥٢ — الموفقيات

٥٣ — مختارات من شعر بديع الزمان

كتاب ديوان رئاسة المجمع الذي نشر بتاريخ ١١-١١-١٩٦٣

وذلك بمناسبة صدور قانونه الجديد رقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣

يسر ديوان رئاسة المجمع العلمي العراقي الجديد احاطتكم علماً بوقائع انتخابه الاخير بعد الغاء نظام المجمع السابق ، وسيحاول المجمع في عهده الجديد تعضيد حركة النشر والتأليف واحياء التراث القيم وخاصة المخطوطات وسيعنى كذلك بالأوضاع والمصطلحات العلمية واللغوية ومعجماتها ، وسيبذل جهده في تعزيز الصلة بينه وبين المجامع اللغوية والثقافية متوخياً خدمة العلم والأدب والفكر عن طريق المراسلة والمبادلة في المطبوعات ونسخ المخطوطات الى غير ذلك من الوسائل التي نص عليها القانون

« فهرس المجلد الحادي عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

باب الكتب

آراء وانباء

الصفحة

غلطة طبع في المختصر المحتاج اليه

وقعت غلطة طبع في الصفحة ١٢ والسطر ١٩ من مقدمة الجزء الثاني من المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي فاتني استدراكها في معرض الغلط والصواب وهي « سنة تسع ... » والصواب « سنة سبع... » .

مصطفى جواد